العقد الفريد

تأليف

الفقيه أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي

المتوفى سنة ٣٢٨هـ

بتحقيق

دكتور

عبد المجيد الترحيني

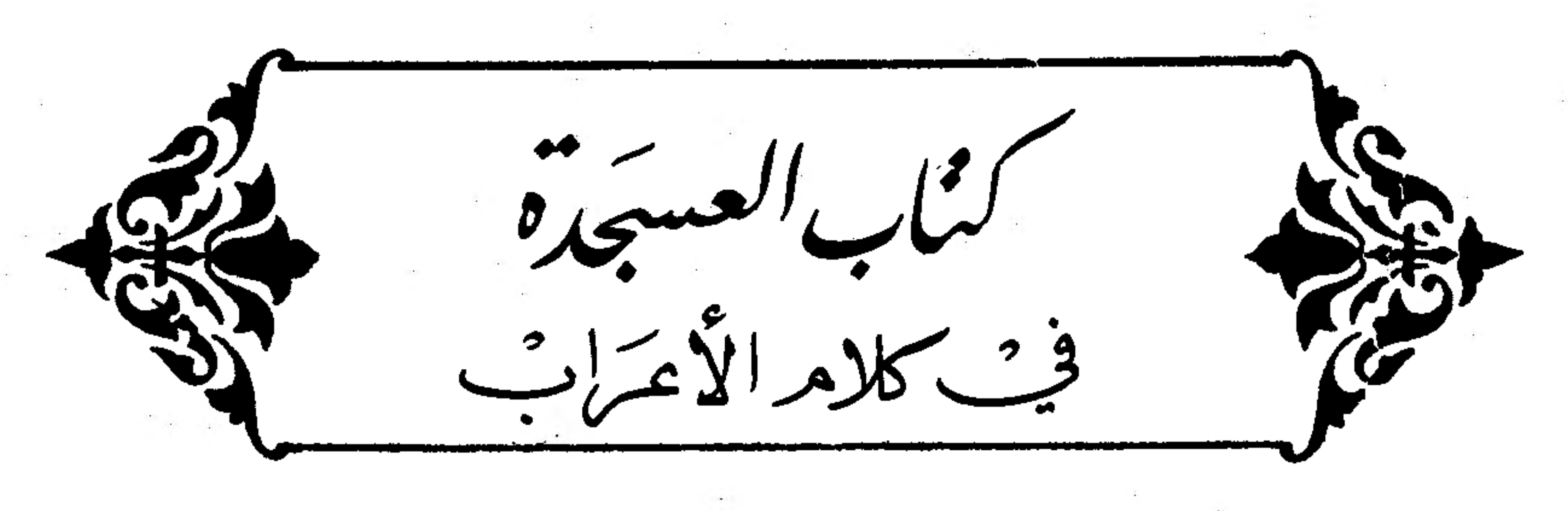
الجزء الرابع

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

الطبعة الأولى
١٤٠٤هـ - ١٩٨٣م

يطلب من: دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان
صندوق بريد ٩٤٢٤ - ١١ . هاتف ٨٠١٣٣٢ - ٨٠٥٦٠٤
الرملة البيضاء - بناية ملكارت سنتر



فرش كتاب العسجدة

قال أحمد بن محمد بن عبد ربه: قد مضى قولنا في النسب الذي هو سبب التعارف، وسُلم إلى التواصل، وفي تفضيل العرب، وفي كلام بعض الشعوبية؛ ونحن قائلون بعون الله وتوفيقه في كلام الأعراب خاصة؛ إذ كان أشرفَ الكلام حسباً، وأكثرَه رونقاً، وأحسنه ديباجاً، وأقله كلفة، وأوضحه طريقة؛ وإذ كان مدار الكلام كله عليه، ومُنتسَبُه إليه.

خالد بن صفوان وأعرابي:

قال رجل من مِنْقر: تكلم خالد بن صفوان بكلام في صلح لم يسمع الناس كلاماً قبله مثله، وإذا بأعرابيّ في بَتٍّ[1]، ما في رجليه حذاء، فأجابه بكلام وددت أني متُّ قبل أن أسمعه، فلما رأى خالد ما نزل بي قال لي: ويحك! كيف نجاريهم وإنما نحاكيهم؟ أم كيف نسابقهم وإنما نجري بما سبق إلينا من أعراقهم؟ قلت له: أبا صفوان، والله ما ألومك في الأولى، ولا أدع حمدك على الأخرى.

بين أعرابي وربيعة في مثله:

وتكلم ربيعة الرأي يوماً بكلام في العلم فأكثر، فكأن العُجْب داخَله، فالتفت إلى أعرابي إلى جنبه فقال: ما تعدّون البلاغة يا أعرابيّ؟ قال: قلة الكلام وإيجاز الصواب. قال: فما تعدّون العيّ؟ قال: ما كنتَ فيه منذ اليوم. فكأنما ألقمه حجراً[2].

---

(١) البتّ: كساء غليظ. (٢) ألقمه حجراً: أسكته عند المخاصمة.

قول الأعراب في الدعاء

قال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه: ما قوم أشبهَ بالسلف من الأعراب، لولا جفا فيهم.

وقال غيلان: إذا أردت أن تسمع الدعاء فاسمع دعاء الأعراب.

قال أبو حاتم: أملى علينا أعرابي يقال له مرثد: اللهم اغفر لي والجلد بارد، والنفس رطبة، واللسان منطلق، والصحف منشورة، والأقلام جارية، والتوبة مقبولة، والأنفس مريحة، والتضرع مرجوّ، قبل أزّ[1] العروق، وحَشَك[2] النفس، وعَلَز[3] الصدر، وتزيُّل الأوصال، ونصول الشعر، وتحيُّف[4] التراب؛ وقبل أن لا أقدر على استغفارك حتى يفنى الأجل، وينقطع العمل. أَعِنّي على الموت وكربته، وعلى القبر وغمَّته، وعلى الميزان وخفَّته، وعلى الصراط وزَلّته، وعلى يوم القيامة وروعته؛ آغفر لي مغفرةً واسعة لا تغادر ذنباً، ولا تدع كرباً؛ آغفر لي جميع ما افترضتَ عليّ ولم أؤدّه إليك؛ آغفر لي جميع ما تبتُ إليك منه ثم عدت فيه يا رب تظاهرتْ عليّ منك النعم، وتداركتْ عندك مني الذنوب؛ فلك الحمد على النعم التي تظاهرتْ، وأستغفرك الذنوب التي تداركتْ. أمسيت عن عذابي غنياً، وأصبحتُ إلى رحمتك فقيراً؛ اللهم إني أسألك نجاح الأمل عند انقطاع الأجل، اللهم أجعل خير عملي ما وِليّ أجلي؛ اللهم اجعلني من الذين إذا أعطيتَهم شكروا، وإذا آبتليتَهم صبروا، وإذا أذكرتهم ذَكروا، واجعل لي قلباً توّاباً أوّاباً، لا فاجراً ولا مرتاباً. اجعلني من الذين إذا أحسنوا ازدادوا، وإذا أساءُوا استغفروا، اللهم لا تحقق عليّ العذاب، ولا تقطع بي الأسباب، وآحفظني في كل ما تحيط به شَفقتي، ويأتي من ورائه سُبْحتي[5]، وتعجز عنه قوّتي، أدعوك دعاءَ ضعيف عمله، متظاهرة ذنوبه، ضنينٍ على نفسه ـ دعاءَ مَن

---

(١) أزّ العروق: ضرباتها. (٢) حشك النفس: اجتهادها في النزع.

(٣) العلز: القلق والكرب عند الموت. (٤) التحيّف: التنقص.

(٥) السبحة: الدعاء.

بَدنه ضعيف، ومُنّته عاجزة؛ قد انتهت عدّته، وخلقتْ جِدته، وتم ظِمؤه؛ لا تخيبْني وأنا أرجوك، ولا تعذبني وأنا أدعوك، والحمد لله على طول النسيئة، وحسن التباعة، وتشنج العروق، وإساغة الريق، وتأخر الشدائد؛ والحمد لله على حلمه بعد علمه، وعلى عفوه بعد قدرته؛ والحمد لله الذي لا يُودَى قتيلُه، ولا يخيب سُوله، ولا يُرَدّ رسوله. اللهم إني أعوذ بك من الفقر إلا إليك، ومن الذل إلا لك؛ وأعوذ بك أن أقول زورا، أو أغشى فجوراً، أو أكون بك مغروراً؛ وأعوذ بك من شماتة الأعداء، وعُضال[1] الداء، وخيبة الرجاء، وزوال النعمة، وفُجاءة النقمة.

دعا أعرابي وهو يطوف بالكعبة فقال: إلٰهي، مَن أولى بالتقصير والزلل مني وأنت خلقْتني، ومَن أولى بالعفو منك عني وعِلمك بي ماضٍ، وقضاؤك بي مُحيط؛ أطعتك بقوتك والمِنة لك، وعصيتك بعلْمك، فأسألك يا إلهي بوجوب رحمتك، وانقطاع حجتي، وافتقاري إليك، وغناك عني ـ أن تغفر لي وترحمني؛ إلهي لم أُحسن حتى أعطيتني. فتجاوز عن الذنوب التي كتبتَ عليّ، اللهم إنا أطعناك في أحب الأشياء إليك: شهادةِ أن لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك، ولم نعْصك في أبغض الأشياء إليك: الشرك بك؛ فاغفر لي ما بين ذلك؛ اللهم إنك آنسُ المؤنسين لأوليائك، وأحضرهم للمتوكلين عليك. إلهي أنت شاهدهم وغائبهم، والمطلع على ضمائرهم، وسرِّي لك مكشوف، وأنا إليك ملهوف؛ إذا أوحشتْني الغربة، آنسني ذكرك؛ وإذا أكبتْ عليّ الغموم، لجأتُ إلى الاستجارة بك؛ علماً بأن أزمة[2] الأمور كلها بيدك، ومصدرَها عن قضائك، فأقلْني إليك مغفوراً لي، معصوماً بطاعتك باقي عمري، يا أرحم الراحمين.

الأصمعي قال: حَجَجْتُ فرأيت أعرابياً يطوف بالكعبة ويقول: يا خير موفودٍ سعى إليه الوفْد، قد ضعُفت قوّتي، وذهبتْ مُنتي، وأتيت إليك بذنوب لا تغسلها الأنهار ولا تحملها البحار؛ أستجير برضاك من سخطك، وبعفوك من عقوبتك، ثم

(١) عضال: شديد. (٢) أزمة: مفردها زمام، وزمام الأمر ملاكُه.

التفت فقال: أيها المُشفقون، ارحموا من شمِلتْه الخطايا، وغمرته البلايا، ارحموا من قطع البلاد، وخلف ما ملك من التلاد[1]؛ ارحموا من وبختِه الذنوب، وظهرت منه العيوب؛ ارحموا أسير ضُرّ، وطريد فقر. أسألكم بالذي أعملتْكم الرغبة إليه، إلا ما سألتم الله أن يَهب لي عظيم جُرمي. ثم وضع في حلقة الباب خدّه وقال: ضَرَعَ خدّي لك، وذل مقامي بين يديك، ثم أنشأ يقول:

عظيمُ الذنـب مكـروبُ   مـن الخيرات مسْلـوبُ
وقـد أصبحـتُ ذا فقـرٍ   ومـا عنـدك مطلـوب

العتبي قال: سمعت أعرابياً بعرفات عشية عرفة وهو يقول: اللهم إن هذه عشية من عشايا محبتك، وأحد أيام زلفتك، يأمل فيها من لجأ إليك من خلقك، أن لا يشرك بك شيئاً بكل لسان فيها يدعى، ولكل خير فيها يرجى؛ أتتك العصاة من البلد السحيق، ودعتك العناة من شعب المَضِيق؛ رجاءَ ما لا خلف له من وعدك، ولا انقطاع له من جزيل عطائك؛ أبْدتْ لك وجوهها المصونة، صابرة على وهج السمائم[2]، وبرد الليالي، ترجو بذلك رضوانك؛ يا غفار، يا مُستَزاداً من نعمه، ومُستعاذاً من نقمه، ارحم صوت حزين دعاك بزفير وشهيق. ثم بسط كلتا يديه إلى السماء، وقال: اللهم إن كنتُ بسطتُ يدي إليك راغباً، فطالما كفيْتنيه؛ ساهياً بنعمتك التي تظاهرت عليّ عند الغفلة، فلا أيأس منها عند التوبة: ولا تقطعْ رجائي منك لما قدمت من آقتراف، وهب لي الإصلاح في الولد، والأمن في البلد، والعافية في الجسد، إنك سميع مجيب.

ودعا أعرابي فقال: يا عمادَ مَن لا عماد له، ويا ركنَ من لا ركن له، ويا مجير الضعفاء، ويا مُنقذ الهَلكى، ويا عظيم الرجاء، أنت الذي سبح لك سواد الليل وبياضُ النهار، وضوءُ القمر وشعاع الشمس، وحفيف الشجر ودوي الماء؛ يا محسن، يا مجمل، يا مُفضل، لا أسألك الخير بخير هو عندك، ولكني أسألك برحمتك، فاجعل العافية لي

---

(١) التلاد: المال الأصلي القديم. (٢) السمائم: جمع سموم، وهي الريح الحارة.

شعاراً ودثاراً[1]، وجُنَّة دون كل بلاء.

الأصمعي قال: خرجت أعرابية إلى مِنى فقطع بها الطريق، فقالت: يا رب، أخذتَ وأعطيت وأنعمتَ وسلبت، وكل ذلك منك عدلٌ وفضلٌ، والذي عظَّم على الخلائق أمرك؛ لابسطتُ لساني بمسألة أحد غيرك، ولا بذلتُ رغبتي إلا إليك يا قرةَ أعيُن السائلين، أغنني بجود منك أتبحبح في فراديس نعمتـه، وأتقلـب في رواق نضرتـه، احملني من الرُجلة[2]، وأغنني من العيلة، وأسدل عليَّ سِتْرك الذي لا تَخرقه الرماح، ولا تزيله الرياح، إنك سميع الدعاء.

قال: وسمعت أعرابياً في فلاة من الأرض وهو يقول في دعائه: اللهم إن استغاري إياك مع كثرة ذنوبي لَلُؤم، وإن تركي الاستغفار مع معرفتي بسعة رحمتك لعجْز! إلهي كم تحببت إليّ بنعمتك وأنت غنيٌّ عني، وكم أتبغّض إليك بذنوبي وأنا فقير إليك! سبحان من إذا توعد عفا، وإذا وعد وفى.

قال: وسمعت أعرابياً يقول في دعائه: اللهم إن ذنوبي إليك لا تضرّك، وإن رحمتك إياي لا تنقصُك؛ فاغفر لي مالا يضرك، وهب لي مالا ينقصك.

قال: وسمعت أعرابياً وهو يقول في دعائه: اللهم إني أسألك عمل الخائفين، وخوف العاملين، حتى أتنعمَ بترك النعم طمعاً فيما وعدت، وخوفاً مما أوعدت اللهم أعِذْني من سطواتك؛ وأجِرني من نقماتك؛ سبقت لي ذنوبٌ وأنت تغفر لمن يتوب؛ إليك بك أتوسل، ومنك إليك أفرُّ.

قال: وسمعت أعرابياً يقول: اللهم إن أقواماً آمنوا بك بألسنتهم ليحقِنوا دماءهم فأدركوا ما أمّلوا، وقد آمنا بك بقلوبنا لتجيرنا من عذابك فأدرك منا ما أمّلناه.

قال: ورأيت أعرابياً متعلقاً بأستار الكعبة رافعاً يديه إلى السماء وهو يقول رب،

---

(١) الدثار: الثوب الذي يكون فوق الشّعار، والشعار ما ولي جسد الانسان دون ما سواه من الثياب

(٢) الرُّجلة: المشي راجلاً.

أتُراك مُعذبنا وتوحيدك في قلوبنا، وما إخالك تفعل! ولئن فعلت لتَجْمَعَنَّا مع قوم طالما أبغضناهم لك.

الأصمعي قال: سمعت أعرابياً يقول في صلاته: الحمد لله حمداً لا يبلى جديدُه ولا يُحصى عديده، ولا يبلغ حدوده؛ اللهم اجعل الموت خير غائب ننتظره، واجعل القبر خير بيت نعمره، واجعل ما بعده خيراً لنا منه؛ اللهم إن عينيّ قد اْغرورقتا دموعاً من خشيتك؛ فاغفر الزلة، وعُدْ بحلمك على جهل من لم يَرْجُ غيرك.

الأصمعي قال: وقف أعرابي في بعض المواسم فقال: اللهم إن لك عليّ حقوقاً فتصدّق بها عليّ، وللناس قبلي تباعاتٌ فتحملها عني؛ وقد وجب لكل ضيف قِرى[1]، وأنا ضيفك الليلة، فاجعل قِراي فيها الجنة.

قال: ورأيت أعرابياً أخذ بحلقتي باب الكعبة وهو يقول: سائلك عَبْد بابك ذهبتْ أيامُه، وبقيت آثامه، وانقطعت شهوته، وبقيت تباعتُه فارض عنه، وإن لم ترض عنه فاعفُ عنه غير راض.

قال: ودعا أعرابي عند الكعبة، فقال: اللهم إنه لا شرف إلا بفعال، ولا فعال إلا بمال؛ فأعطني ما أستعين به على شرف الدنيا والآخرة.

قال زيد بن عمر: سمعت طاوسا يقول: بينا أنا بمكة إذا دفعتُ إلى الحجاج بن يوسف، فثني لي وساداً فجلست؛ فبينا نحن نتحدث إذ سمعت صوت أعرابي في الوادي رافعاً صوته بالتلبية، فقال الحجاج: عليَّ بالمُلَبِّي. فأُتي به، فقال: مَن الرجل؟ قال: من أفناء[2] الناس. قال: ليس عن هذا سألتُك. قال: فعمَّ سألتني؟ قال: من أي البلدان أنت؟ قال: من أهل اليمن. قال له الحجاج: فكيف خلفت محمد بن يوسف؟ يعني أخاه، وكان عامله على اليمن؛ قال: خلفتُه عظيماً جسيماً خَرَّاجاً ولَآجاً. قال: ليس عن هذا سألتك. قال: فعَمَّ سألتني؟ قال: كيف خلَّفت سيرته في الناس؟ قال:

---

(١) القرى: ما يقدم إلى الضيف. (٢) أفناء الناس: أخلاطهم.

خلفته ظلوماً غشوماً عاصياً للخالق مطيعاً للمخلوق! فازْوَرَّ[١] من ذلك الحجاج، وقال: ما أقدمك على هذا وقد تعلم مكانته مني؟ فقال له الأعرابي أفتراه بمكانته منك أعَزَّ مني بمكانتي من الله تبارك وتعالى، وأنا وافد بيته، وقاضي دينه، ومصدّق نبيه ﷺ! قال: فوجم لها الحجاج ولم يُجر له جواباً، حتى خرج الرجل بلا إذن. قال طاوس: فتبعته حتى أتى الملتزم فتعلق بأستار الكعبة، فقال: بك أعوذ، وإليك ألوذ، فاجعل لي في اللهف إلى جوارك والرضا بضمانك مندوحة عن منع الباخلين، وغنى عما في أيد المستأثرين؛ اللهم عُد بفرجك القريب، ومعروفك القديم، وعادتك الحسنة.

قال طاوس: ثم اختفى في الناس فألفيته بعرفات قائماً على قدميه وهو يقول: اللهم إن كنت لم تقبل حَجّي ونصبي وتعبي فلا تَحرمني أجر المصاب على مصيبته فلا أعلم مصيبةً أعظم ممن ورد حوضك وانصرف محروماً من وجه رحمتك.

الأصمعي قال: رأيت أعرابياً يطوف بالكعبة وهو يقول: إلهي عَجَّت[٢] إليك الأصواتُ بضروب من اللغات يسألونك الحاجات، وحاجتي إليك إلهي أن تذكْرَني على طول البلاء إذا نسيني أهل الدنيا. اللهم هَب لي حقك، وأرْض عني خلْقك، اللهم لا تعْيِني بطلب ما لم تقدّره لي، وما قدرته لي فيَسِّره لي.

قال: ودعت أعرابية لابن لها وجهته إلى حاجة، فقالت: كان الله صاحبَك في أمرِك، وخليفتَكَ في أهلك، ووَلِيَّ نُجحِ[٣] طَلِبَتِكَ. امض مُصاحَبا مكلوءَا، لا أشمت الله بك عَدُوّاً، ولا أرى محبيك فيك سُوءَا.

قال: ومات ابن لأعرابي فقال: اللهم إني وهبتُ له ما قصر فيه من بري، فهب له ما قصَّر فيه من طاعتك، فانك فإنك أجودُ وأكرَم.

---

(١) ازور: مال وانحرف.

(٢) عجّت إليك الأصوات أي رفعت إليك.

(٣) النَّجح: النجاح.

قولهم في الرقائق

العتبي قال: ذكر أعرابي مصيبة فقال: والله تركت سُودَ الرؤوس بِيضا، وبِيض الوجوه سُوداً، وهوّنَت المصائبَ بعدها.

أخذ هذا المعنى بعض الشعراء فقال يرثي آل أبي سفيان:

رمى الحِدثانُ نسوةَ آل حرب   بمقدار سَمَدن له سُمُودا[١]
فردّ شعورهن السود بيضا   وردّ وجوههن البيض سودا
فإنك إذ سمعت بكاء هند   ورملة إذ يلطمن الخدودا
بكيت بكاء موجَعة بحزن   أصاب الدهر واحدها الفريدا

قال: قيل لأعرابية أصيبت بابنها: ما أحسن عَزاءَكِ قالت: إنّ فقدي إياه أمّنني كل فقد سواه، وإن مصيبتي به هوّنت علي المصائب بعده؛ ثم أنشأت تقول:

من شاءَ بعدَكَ فليَمتْ   فعلَيكَ كنتُ أُحاذرُ
كنت السوادَ لمقلتي   فعليك يبكي الناظر
ليت المنازلَ والدِّيا   رَ حفائِرٌ ومقابِرُ

وقيل لأعرابي: كيف حزنك على ولدك؟ قال: ما ترك همُّ الغَداءِ والعشاء لي حزناً!

وقيل لأعرابي: ما أذهبَ شبابك؟ قال: مَن طال أمده، وكثر ولده، وذهب جلده: ذهب شبابه.

وقيل لأعرابي: ما أنحل جسمَكَ؟ قال: سوء الغِذَاء، وجُدوبة المرعى، واختلاجُ الهموم في صدري. ثم أنشأ يقول:

الهمُّ مالم تُمْضِه لسبيله   داء تضمَّنَهُ الضُّلوعُ عظيمُ
ولرَّبما آستَيأستُ ثم أقولُ لا   إنّ الذي ضمِنَ النجاح كريمُ

---

(١) السمود: الحزن.

وقيل لأعرابي قد أخذته السن: كيف أصبحت؟ قال: أصبحت تقيّدني الشعرة، وأعْثر في البَعرة[1]؛ قد أقام الدهر صَعَري بعد أن أقمت صَعَره.

وقال أعرابي: لقد كنتُ أُنكِر البيضاء فصرت أنكر السوداء، فيا خير مبدول ويا شرَّ بدل!

وقال أعرابي:

إذا الرجـال وَلَـدتْ أولادُهـا وجعَلـت أسقـامُهـا تعتـادُهـا
واضطْربتْ من كِبَرٍ أعضادُهـا فهْيَ زُروعٌ قد دنا حَصـادُهـا

وذكر أعرابي قطيعة بعض إخوانه، فقال: صَفِرت[2] عيابُ الودِّ بعد امتلائها واكفهرت وجوهٌ كانت بمائها؛ فأدبر ما كان مقبلاً، وأقبل ما كان مدبراً.

وذكر أعرابي منزلاً باد أهله، فقال: منزل والله رحلتْ عنه ربات الخدور وأقامت فيه أثافيُّ[3] القدور، وقد اكتسى بالنبات كأنما أُلبس الحُلل؛ وكان أهله يُعَفُّون فيه آثار الرياح، وأصبحت الريح تُعَفِّي آثارهم فالعهد قريب والملتقى بعيد.

ذكر أعرابي قـومـاً تغيرت أحـوالهم، فقـال: أعينٌ والله كحلـت بـالعبرة بعـد الحَبْرَة[4]، وأنفسٌ لبسَت الحزن بعد السرور.

وذكر أعرابي قوماً تغيرت حالهم، فقال: كانوا والله في عيش رقيق الحواشي فطواه الدهر بعد سعة، حتى يبست أبدانهم من القُر، ولم أر صاحباً أغرَّ من الدنيا، ولا ظالماً أغشم من الموت؛ ومن عصف به الليل والنهار أردياه، ومن وُكل به الموت أفناه.

وقف أعرابي على دار قد باد أهلها، فقال: دارٌ والله معتصرة للدموع، حطت بها

---

(١) البَعَرَة: جمعها البعر: رجيع ذوات الخف وذوات الظلف إلا البقر الأهلي.

(٢) صفرت: خلت. (٣) الأثافي: أحجار ثلاثة توضع عليها القدر.

(٤) الحبرة: الابتهاج.

السحاب أثقالها، وجرَّت بها الرياح أذيالها.

وذكر أعرابي رجلاً تغيرت حاله، فقال: طُوِيت صحيفته وذهب رزقه، فالبلاء مُسْرِع إليه، والعيش عنه قابض كفَّيه.

وذكر أعرابي رجلاً ضاق عيشه بعد سعة، فقال: كان والله في ظل عيش ممدود، فقدحت عليه من الدهر زَند عين كابية الزند.

الأصمعي قال: أنشدني العُقيل لأعرابية ترثي ابنها:

ختلَته المنونُ بعد آختيال ... بين صفَّيْن من قَناً ونِصالِ
في رداء من الصفيحِ صقيل ... وقميص من الحديد مُذال[1]
كنتُ أخباك لاعْتداء يدِ الدهـرِ ... ولم تخطرِ المنونُ ببالي

وقال أعرابي يرثي ابنه:

دَفنْت بكفي بعض نفْسي فأصبحَت ... وللنَّفس منها دافِنٌ ودفين

وقال أعرابي: إن الدنيا تنطق بغير لسان فتُخبر عما يكون بما قد كان.

خرج أعرابي: هارباً من الطاعون؛ فبينا هو سائر إذ لدغته أفعى فمات، فقال فيه أبوه:

طاف يَبغي نجوة ... من هلاكٍ فهلكْ
ليت شِعْري ضلَّة ... أيُّ شيء قتلكْ
والمَنايا رَصدٌ ... للفتى حيث سَلكْ
كلُّ شيء قاتلٌ ... حين تلقَى أجلكْ

وذكر أعرابي بلداً فقال: بلد كالتُّرس[2]، ما تمشي فيه الرياح إلا عابرات سبيل، ولا يمر فيها السَّفر إلا بأدلَّ دليل.

---

(١) القميص: الدرع؛ والمذال الذي له ذيل.

(٢) بلد كالترس أي ملساء جرداء لا نبات فيها.

قولهم في الاستطعام

معن بن زائدة وأعرابي:

قدم أعرابي من بني كنانة على معن بن زائدة وهو باليمن، فقال: إني والله ما أعرف سبباً بعد الإسلام والرحم أقوى من رحلة مثلي من أهل السن والحسب إليك من بلاده، بلا سبب ولا وسيلة إلا دعاءك إلى المكارم، ورغبتك في المعروف؛ فإن رأيت أن تضعني من نفسك بحيث وضعت نفسي من رجائك فافعل. فوصله وأحسن إليه.

لأعرابي:

الربيع بن سليمان قال: سمعت الشافعي رضي الله عنه يقول: وقف أعرابي على قوم فقال: إنا ـ رحمكم الله ـ أبناءُ سبيل، وأنضاءُ طريق وفُلاَّل[1] سنة؛ رحم الله امرأً أعطى عن سعة، وواسى من كفاف. فأعطاه رجل درهماً، فقال: آجرك الله من غير أن يبتليك.

لآخر:

ووقف أعرابي بقوم فقال: يا قوم، تتابعت علينا سنون جماد شداد، لم يكن للسماء فيها رجْع، ولا للأرض فيها صدْع، فنضب العِدّ، ونشف الوشل، وأمحل الخصب، وكلح الجدب، وشف المال، وكسف البال، وشظف المعاش، وذهب الرياش؛ وطرحتني الأيام إليكم غريب الدار، نائي المحل، ليس لي مال أرجع إليه، ولا عشيرة ألحق بها؛ فرحم الله امْرَأً رحم اغترابي، وجعل المعروف جوابي.

المهدي في الطواف:

خرج المهدي يطوف بعد هدأة من الليل، فسمع أعرابية من جانب المسجد وهي تقول: قوم معوزون، نبتْ عنهم العيون، وفدحتهم الديون، وعضتهم السنون؛ باد

(١) فلال: جمع فل أي المنهزم؛ والسنة: الجدب والقحط.

رخالهم[١]، وذهبت أموالهم، أبناء سبيل، وأنضاء طريق، وصية الله ووصية رسوله ﷺ؛ فهل من آمرٍ بخير، كلأه الله في سفره، وخلفه في أهله؟ فأمر نصيراً الخادم، فدفع إليها خمسمائة درهم.

خزيمة في إبل أغير عليها:

الأصمعي قال: أُغِير على إبل خزيمة، فركب بَحِيرة[٢]، فقيل له: أتركب حراماً؟ قال: يركب الحرام من لا حلال له.

وقال أعرابي:

بين عتبة بن أبي سفيان وأعرابي:

يا ليت لي نعليْن من جِلْدِ الضَّبُع كلَّ الحذاءِ يَحتذِي الحافي الوَقِعْ[٣]

أبو الحسن قال: اعترض أعرابي لعتبة بن أبي سفيان وهو على مكة فقال: أيها الخليفة. قال: لستُ به ولم تُبعد. قال: فيا أخاه! قال: اسْمعت فقل. قال: شيخ من بني عامر يتقرب إليك بالعمومة ويختص بالخُئُولة، ويشكو إليك كثرة العيال، ووطأة الزمان، وشدةَ فقر، وترادُف ضُر، وعندك ما يسعُه ويصرف عنه بؤسَه فقال عتبة أستغفر الله منك، وأستعينه عليك، قد أمرت لك بغناك، فليت إسراعنا إليك يقوم بإبطائنا عنك.

وسأل أعرابي فقال: رحم الله مسلماً لم تمجَّ أذناه كلامي، وقدم لنفسه معاذا من مقامي، فإن البلاد مجدية، والدارَ مضيعة، والحياء زاجز يمنع من كلامكم، والعُدم عاذر يدعو إلى إخباركم؛ والدعاء إحدى الصدقتين، فرحم الله آمرأً يمير وداعيا يجير. فقال له بعض القوم: ممن الرجل؟ فقال: ممن لا تنفعكم معرفته، ولا تضركم جهالتُه. ذلَّ الاكتساب، يمنع من عز الانتساب.

---

(١) الرخال: أولاد الضأن.

(٢) بحـيرة: الناقة شقت أذنها بعد أن ولدت خمسة أبطن وكان آخرها ذكراً.

(٣) الوقع: الذي أصابت الحجارة قدمه فأوهنتها.

أعرابي أغير على إبله:

العتبي قال: قدم علينا أعرابي في فِشَّاش[١]، قد أطردت[٢] اللِّصاصُ إبله، فجمعت له شيئاً من أهل المسجد، فلما دفعت إليه الدراهم أنشأ يقول:

لا والذي أنا عبدٌ في عبادتِه ... لولا شماتةُ أعداءٍ ذوي إحَنِ
ما سرَّني أنّ إبْلي في مباركِها ... وأنّ أمرا قضاهُ الله لم يكن

أخذ هذا المعنى بعض المحدثين فقال:

لولا شماتةُ أعداءٍ ذوي حسدٍ ... وأنْ أنال بنفعي من يُرجّيني
لمَا خطَبْت إلى الدُّنيا مطالبَها ... ولا بَذلتُ لها عِرضي ولا ديني
لكن مُنافسة الأكفاءِ تَحملُني ... على أُمورٍ أراها سوف تُرْديني
وقد خشيت بأنْ أبقى بمنزلةٍ ... لا دين عندي ولا دُنيا تُواتيني

بين خالد القسري وأعرابي:

العتبي قال: دخل أعرابي على خالد بن عبد الله القسري، فلما مثل بين يديه أنشأ يقول:

أصلحَك الله قَلَّ ما بيدي ... فما أُطيق العيال إذ كثُروا
أناخ دهرٌ ألقَى بكلْكَلِه ... فأرْسَلوني إليك وانتظروا

قال: أرسلوك وانتظروا؟ والله لا تجلس حتى تعود إليهم بما يسرهم! فأمر له بأربعة أبعرة موقورة[٣] بُرّاً وتمرا وخلع عليه.

ابن طوق وأعرابي:

الشيباني قال: أقبل أعرابي إلى مالك بن طوق، فأقام بالرحبة حيناً، وكان الأعرابي من بني أسد صعلوكاً في عباءة صوف وشملة شعر، فكلما أراد الدخول

---

(١) الفشاش: الكساء الغليظ. (٢) أطردت إبله: أي أغارت عليها فسرقتها.
(٣) موقورة: محملة حملاً ثقيلاً.

منعه الحجاب، وشتمه العبيد، وضربه الأشراط؛ فلما كان في بعض الأيام خرج مالك بن طوق يريد التنزه حول الرحبة، فعارضه الأعرابي، فضربوه ومنعوه، فلم يثنه ذلك حتى أخذ بعنان فرسه، ثم قال: أيها الأمير، إني عائذ بالله من أشراطك هؤلاء! فقال مالك: دعوا الأعرابي؛ هل من حاجة يا أعرابي؟ قال: نعم أصلح الله الأمير؛ أن تُصغى إليّ بسمعك، وتنظر إليّ بطرفك، وتُقبل إليّ بوجهك. قال: نعم. فأنشأ الأعرابي يقول:

ببابكَ دون الناس أنزلْتُ حاجتي ... وأقبلْتُ أسعَى حولهُ وأطوف
ويَمنَعُني الحُجَّابُ والسِّتْرُ مُسْبَل ... وأنت بعيد والشروطُ صفوفُ[1]
يدورون حوْلي في الجلوسِ كأنهُمْ ... ذِئاب جياع بينَهُنَّ خروفُ
فأمّا وقد أبصَرْتُ وجهَكَ مُقْبلاً ... فأُصْرَف عنه إنني لضَعيفُ
ومالِي مِنَ الدُّنيا سِواكَ ولا لِمَنْ ... تَركتُ ورائِي مَرْبعٌ ومَصيفُ
وقد عَلِمَ الحيَّان قيْسٌ وخنْدفٌ ... ومَنْ هُو فيها نازلٌ وحليفُ
تَخطَّيْتُ أعناقَ الملوكِ ورحْلَتي ... إليكَ وقد حنَّتْ إليكَ صُروفُ
فجئتُكَ أبغِي اليُسْرَ مِنكَ فمرّ بِي ... ببابك مِنْ ضرب العبيد صُنُوفُ
فلا تَجْعلَنْ لي نحوَ بابِك عوْدَةً ... فقلْبي من ضرْبِ الشُّروطِ مَخوفُ

فاستضحك مالك حتى كاد أن يسقط عن فرسه؛ ثم قال لمن حوله: من يعطيه درهماً بدرهمين وثوباً بثوبين؟ فوقعت عليه الثياب والدراهم من كل جانب حتى تحير الأعرابي؛ ثم قال له: هل بقيتْ لك حاجة يا أعرابي؟ قال: أما إليك فلا! قال: فإلى من؟ قال: إلى الله أن يبقيك للعرب؛ فإنها لا تزال بخير ما بقيت لها.

دخل أعرابي إلى هشام بن عبد الملك، فقال: يا أمير المؤمنين، أتت علينا ثلاثة أعوام: فعام أذابَ الشحم، وعام أكلَ اللحم، وعام انتقى العظم[2]؛ وعندكم أموال، فإن تكن لله فبثوها في عباد الله، وإن تكن للناس فلِمَ تُحْجَبُ عنهم، وإن تكن لكم

---

(١) الشروط: رجال الشرطة.
(٢) انتقى العظم: استخرج نقيه، وهو مخه.

فتصدقوا؛ إن الله يجزي المتصدقين! قال هشام: هل من حاجة غير هذه يا أعرابي؟ قال: ما ضربتُ إليك أكباد الإبل أدّرع الهجير، وأخوض الدجا لخاصّدون عام، ولا خير في خير لا يعم. فأمر له هشام بأموال فُرِّقتْ في الناس؛ وأمر للأعرابي بمال فرَّقَه في قومه.

لبعض الأعراب:

طلب أعرابي من رجل حاجة فوعده قضاءها؛ فقال الأعرابي: إن مَن وعَدَ قضى الحاجةَ وإن كثُرتْ؛ والمطْل من غير عسر آفةُ الجود.

وقال أعرابي، وأتى رجلاً لم تكن بينهما حرمة في حاجة له، فقال: إني امتطيت إليك الرجاء، وسرت على الأمل، ووفدت بالشكر، وتوسلت بحسن الظن: فحقق الأمل، وأحسن المثوبة، وأكرم القصد، وأتم الود، وعجل المراد.

وقف أعرابي على حلقة يونس النحوي، فقال: الحمد لله، وأعوذ بالله أن أُذَكر به وأنساه، إنا أُناس قدمنا هذه المدينة ثلاثون رجلاً؛ لا ندفن ميتاً؛ ولا نتحول من منزل وإن كرهناه؛ فرحم الله عبداً تصدّق على ابن سبيل، ونضو[1] طريق، ورسل سَنَة؛ فإنه لا قليل من الأجر؛ ولا غني عن الله، ولا عملَ بعد الموت؛ يقول الله عز وجل: ﴿مَنْ ذا الذي يُقْرِضُ الله قَرْضاً حسَناً﴾[2] إن الله لا يستقرض من عَوز؛ ولكن ليبلو خيارَ عباده.

وقف أعرابي في شهر رمضان على قوم؛ فقال: يا قوم لقد ختمت هذه الفريضةُ على أفواهنا من صُبح أمس، ومعي بنتان لي، والله ما عَلِمْتُها تَخَلالاً بخلال؛ فهل رجل كريمٌ يرحم اليوم مقامنا، ويرد حشاشتنا؛ منعه الله أن يقوم مقامي فإنه مقام ذل وعار وصَغار! فافترق القوم ولم يعطوه شيئاً! فالتفت إليهم حتى تأملهم جميعاً، ثم

---

(١) نضا نضواً المكان: جاوزه وخلّفه.

(٢) سورة البقرة الآية ٢٤٥.

قال: أشدُّ واللهِ عليّ من سوء حالي وفاقتي، توهُّمي فيكم المواساة! انتعِلوا الطريق لاصحبكم الله.

الأصمعي قال: وقف أعرابيٌّ علينا فقال: يا قوم، تتابعت علينا سنون بتغير وانتفاص، فما تركت لنا هُبَعاً ولا رُبعاً[١]، ولا عافطة ولا نافطة[٢]، ولا ثاغية ولا راغية[٣]؛ فأماتت الزرع، وقتلت الضرع، وعندكم من مال الله فضلُ نعمة؛ فأعينوني من فضلِ ما آتاكم الله، وارحموا أبا أيتام، ونضو زمان[٤]؛ فلقد خلفت أقواماً يمرضون مريضهم ولا يكفنون ميتهم، ولا ينتقلون من منزل إلى منزل وإن كرهوه؛ ولقد مشيت حتى انتعلتُ الدماء، وجُعتُ حتى أكلتُ النوى.

لأعرابية مع عبد الرحمن ابن أبي بكر:

الأصمعي قال: وقفت أعرابية من هوازن على عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق فقالت: إني أتيتُ من أرض شاسعة، تهيضني هائضة[٥] وترفعني رافعة في بوادٍ بَرَيْن لحمي، وهِضن عظمي: وتركنَني والهة، قد ضاق بي البلد، بعد الأهل والولد، وكثرة من العدد؛ لا قرابة تؤويني، ولا عشيرة تحميني؛ فسألت أحياء العرب: مَن المرتجَى سَيْبُه، المأمونُ عيبه، الكثير نائلُه، المكفيُّ سائله؟ فدُللتُ عليك؛ وأنا امرأة من هوازن، فقدت الولد والوالد، فاصنع في أمري واحدة من ثلاث: إما أن تُحْسِن صَفَدي، وإما أن تُقيم أوَدي، وإما أن تَرُدَّني إلى بلدي. قال: بل أجمعهن لك! ففعل ذلك بها أجمع.

وقال أعرابي:

يا عامِلَ الخيرِ رُزِقْت الجنَّة   أكْسُ بُنيَّاتِي وأُمَّهُنَّهْ
وكُنْ لنا مِنَ الزمان جُنَّهْ   وآرْدُدْ علينا إنّ إنّ إنَّهْ
أقسَمْتُ بالله لتَفْعلَنَّهْ

---

(١) الهبع: الفصيل ينتج في أول الصيف. والربع ما ينتج في أول الربيع.

(٢) العافطة: النعجة، والنافطة: العنز. (٣) الثاغية: الشاة، والراغية: الناقة.

(٤) نضو الزمان أي الفقير المعدم. (٥) الهائضة، أي الشدة والكرب.

لبعض الأعراب:

الأصمعي قال: وقفت أعرابية فقالت: يا قوم، سَنة جردتْ وأيد جمدت، وحال أجهدت؛ فهل من فاعل لخير، وآمر بِميْر؟ رحم الله من رَحم، وأقرض من يقرض.

الأصمعي قال: أصابت الأعراب أعوامٌ جدبة وشدة وجَهْد، فدخلت طائفة منهم البصرة وبين أيديهم أعرابي وهو يقول: أيها الناس، إخوانكم في الدين،وشركاؤكم في الإسلام، عابرو سبيل، وفُلال[1] بؤس، وصرعى جدب، تتابعت علينا سنون ثلاثة، غيرت النِّعم وأهلكت النَّعم، فأكلنا ما بقي من جلودها فوق عظامها فلم نزل نعلل بذلك أنفسنا، ونمنِّي بالغيث قلوبنا، حتى عاد محناً عظاماً، وعاد إشراقنا ظلاماً، وأقبلنا إليك يصرعنا الوعر، ويكننا السهل، وهذه آثار مصائبنا، لائحة في سِماتنا، فرحم الله متصدقاً من كثير، ومواسيا من قليل، فلقد عظمت الحاجة، وكسف البال وبلغ المجهود، والله يجزي المتصدقين.

الأصمعي قال: كنتُ في حلقة بالبصرة إذ وقف علينا أعرابي سائلاً، فقال: أيها الناس، إن الفقر يهتك الحجاب، ويُبرز الكَعاب؛ وقد حملتنا سِنو المصائب، ونكبات الدهور، على مركبها الوعر، فواسوا أبا أيتام، ونضو زمان، وطريد فاقة، وطريح هلكة، رحمكم الله.

أتى أعرابي عمر بن عبد العزيز فقال: رجل من أهل البادية، ساقته إليك الحاجة، وبلغت به الغاية، واللهُ سائلك عن مقامي هذا. فقال عمر: ما سمعتُ أبلغَ من قائل ولا أوعظ لِمَقول له من كلامك هذا.

سمع عدي بن حاتم رجلاً من الأعراب وهو يقول: يا قوم، تصدقوا على شيخ مَعِيل، وعابر سبيل، شهد له ظاهرُه، وسَمِع شكواه خالقه، بدنه مطلوب وثوبهُ

(١) فلال بؤس، أي منهزمون أمام البؤس.

مسلوب! فقال له: من أنت؟ قال: رجل من بني سعد في ديةٍ لزمتني، قال: فكم هي؟ قال: مائة بعير. قال: دُونكَها في بطن الوادي!

سأل أعرابي رجلاً فأعطاه، فقال: جعل الله للمعروف إليك سبيلاً، وللخير عليك دليلاً، ولا جعل حظَّ السائل منك عذرة صادقة.

وقف أعرابي بقوم فقال: أشكو إليكم أيها الملأ زماناً كلح[1] فيّ وجهه، وأناخ عليّ كلكَلَه، بعد نعمة من البال، وثروة من المال، وغبطة من الحال؛ اعتورتني شدائده، بنَبل مصائبه، عن قِسِيِّ نوائبه، فما تَرك لي ثاغية أجتدي ضرعَها، ولا راغية أرتجي نفعها، فهل فيكم من معين على صرْفه، أو مُعدٍ على حتفه؟ فردّ القوم عليه ولم يُنيلوه شيئاً؛ فأنشأ يقول:

قد ضاع مَن يأْمُل من أمثالِكم جُوداً وليس الجُود من فعالِكْم
لا بارك الله لكم في مالِكم ولا أَزاح السوءَ عن عيالِكم
فالفقر خير من صَلاحِ حالِكم

الأصمعي قال: سأل أعرابي فلم يُعطَ شيئاً، فرفع يديه إلى السماء وقال:

يا ربِّ ثقتِي وذخْري لِصبيةٍ مثل صِغار الذَّرِّ
جاءهم البَرد وهم بشرِّ بغير لُحْفٍ وبغير أُزْر
كأنهم خنافسٌ في جُحر تَراهم بعد صلاة العصْر
وكلّهم مُلتصِقٌ بصدري فاسمعْ دعائِي وتَولَّ أمري

سأل أعرابي ومعه ابنتان له، فلم يُعطَ شيئاً؛ فأنشأ يقول:

أيا ابنتيَّ صابراً أباكما إنكما بعين مَن يَراكما
اللهُ مولايَ وهو مولاكما فأخلِصا لله في نَجواكما
تضرَّعا لا تَذْخَرا بُكاكما لعله يَرحم مَن آواكما
إنْ تَبكيا فالدهرُ قد أبكاكما

(١) كلح: عبس.

هشام وأعرابي:

العتبي قال: كانت الأعراب تنتجع هشام بن عبد الملك بالخطب كل عام، فتقدّم إليهم الحاجب يأمرهم بالإيجاز، فقام أعرابي فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: يا أمير المؤمنين، إنّ الله تبارك وتعالى جعل العطاء محبة؛ والمنه مبغضة؛ فَلأنْ نحبك خير من أن نبغضك! فأعطاه وأجزل له.

الأصمعي قال: وقف أعرابي غَنويٌّ على قوم؛ فقال بعد التسليم: أيها الناس، ذهب النّيْل؛ وعجف الخيْل[1]؛ وبُخس الكيل؛ فمن يرحم نضو سفر، وقل سنة، ويُقرض الله قرضاً حسناً. لا يستقرض اللهُ من عُدم، ولكن ليبلوَكم فيما آتاكم. ثم أنشأ يقول:

هـل مـن فتًـى مقتـدِرٍ معينِ   علـى فقيـرٍ بائـس مسكيـنِ
أبـي بنـاتٍ وأبي بنينِ   جزاه ربّـي بـالـذي يُعطينِـي
أفْضلَ ما يُجزَى به ذو الدِّين

لبعض الأعراب:

الأصمعي قال: سمعت أعرابياً يقول لرجل: أطعمك الله الذي أطعمتني له؛ فقد أحييتني بقتل جوعي، ودفعت عني سوء ظني بيومي؛ فحفظك الله على كل جنب، وفرج عنك كل كرب، وغفر لك كل ذنب.

وسأل أعرابيّ رجلاً فاعتلّ عليه، فقال: إن كنتَ كاذباً فجعلك الله صادقاً!

وقال أعرابي للمأمون:

قلْ للإمام الذي تُرْجى فضائلـه   رأسِ الأنام وما الأذنابُ كالراس
إني أعـوذ بهرون وخُفـرتـه   وبآبن عـمّ رسـول الله عبّـاس:[2]
من أن تُشدَّ رحـال العِيس راجعـةً   إلى اليَمامـة بـالحرْمـان والياس[3]

(١) عجف الخيل: هزل.   (٢) الخفرة: الذمام والعهد.

(٣) العيس: الإبل التي يخالط بياضها شقرة.

أعرابي وزوجه في مجاعة:

الأصمعي قال: أصابت الأعرابَ مجاعةٌ، فمررت برجل منهم قاعد مع زوجته بقارعة الطريق وهو يقول:

يـا ربِّ إني قــاعــدٌ كما تَــرى   وزوجتي قــاعـــدة كما تَــــرى
والبطْـن منِّـي جـائـع كما تـــرى   فما تـرى يـــا ربَّنـــا فيما تـــرى!

أعرابي في مجاعة:

الأصمعي قال: حدّثني بعض الأعراب قال: أصابتنا سَنَة وعندنا رجل غني وله كلب، فجعل كلبه يعوي جوعاً، فأنشأ يقول:

تشكَّى إليّ الكلـب شـدّة جُـوعـه   وبِي مثلُ ما بـالكلـب أو بيَ أكثرُ
فقلـتُ: لعــلّ الله يـــأتي بغيْثـــه   فيُضْحي كلانَـا قـاعـداً يتكبَّـر
كـأني أمير المؤمنين مــن الغنَـــى   وأنت من النعمـى كـأنـك جعفـر

أعرابي اسمه عمرو:

الأصمعي قال: سأل أعرابيّ رجلاً يقال له عمرو، فأعطاه درهمين؛ فردهما عليه وقال:

تركتُ لعمـرو درْهميْـه ولم يكـن   ليُغنِيَ عنِّي فـاقتِـي درهما عمـرِو
وقلتُ لعمرو خذهما فـاصطـرفهما   سريعيْن في نقْـض المودة والأجْـر

لبعض الأعراب:

أبو الحسن قال: وقف علينا أعرابي، فقال: أخ في كتاب الله، وجار في بلاد الله، وطالب خير من رزق الله؛ فهل فيكم من مُواس في الله؟.

الأصمعي قال: ضجر أعرابي بكثرة العيال والولد، وبلغه أنّ الوباء بخيبر شديد؛ فخرج إليها يعرّضهم للموت، وأنشأ يقول:

قلتُ لحُمّى خيبَر آستعدّي هاكِ عيالي فاجهدي وجِدّي
وباكري بصالِب وَورْدِ أعانك الله على ذي الجُند[1]

فأخذته الحمى، فمات هو وبقي عياله.

مروان وأعرابي:

سأل أعرابيٌّ شيخاً من بني مروان وحوله قوم جلوس، فقال: أصابتنا سنة. ولي بضعَ عشرة بنتاً، فقال الشيخ: أمّا السنة فوددت والله أن بينكم وبين السماء صفائح من حديد، ويكون مسيلها مما يليني فلا تقطر عليكم قطرة؛ وأمّا البنات فليت الله أضعفهنّ لك أضعافاً كثيرة، وجعلك بينهنّ مقطوع اليدين والرجلين ليس لهنّ كاسب غيرك! قال: فنظر إليه الأعرابي ثم قال: والله ما أدري ما أقول لك، ولكن أراك قبيح المنظر، سيء الخلق، فأعضّك الله ببظر أمّهات هؤلاء الجلوس حولك!

طائفي وأعرابي:

وقف أعرابيٌّ على رجل شيخ من أهل الطائف، فذكر له سنة وسأله. فقالت: وددت والله أنّ الأرض خطة لا تنبت شيئاً! قال: ذلك أيبس لجفير أمّك في آستها.

قولهم في المواعظ والزهد

هشام وأعرابي:

أبو حاتم عن الأصمعي قال: دخل أعرابي على هشام بن عبد الملك فقال له: عظني يا أعرابي. فقال: كفى بالقرآن واعظاً، أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ويْلٌ للمطفِّفين الذين إذا اكتالوا علىٰ الناس يستوْفون وإذا كالوهمْ أو وزَنوهم يُخسِرون ألا يظُنُّ أُولئك أنهم مَبعوثون ليومٍ عظيمٍ يومَ يقومُ

---

(١) الصالب من الحمى: التي معها حرارة شديدة والورد من أسماء الحمى.

الناسُ لربِّ العالمين﴾[1] ثم قال: يا أمير المؤمنين، هذا جزاء من يطفِّف في الكيل والميزان، فما ظنُّك بمن أخذه كله؟!

لأعرابي يعظ أخاه:

وقال أعرابي لأخيه: يا أخي، أنت طالب ومطلوب، يطلبك مالا تفوته، وتطلب ما قد كُفيتَه، فكأنّ ما غاب عنك قد كُشف لك، وما أنت فيه قد نُقلت عنه، فامهد لنفسك، وأعدّ لغدك، وخذ في جهازك.

ووعظ أعرابي أخاً له أفسد ماله في الشراب، فقال: لا الدهر يعظك، ولا الأيام تُنذرك، ولا الشيب يزجرك، والساعات تُحصى عليك، والأنفاس تُعَدّ منك، والمنايا تُقاد إليك؛ أحب الأمور إليك أَعْودها بالمضرة عليك.

لبعض الأعراب:

وقيل لأعرابي: مالك لا تشرب النبيذ؟ قال: لثلاث خلال فيه: لأنه متلف للمال، مذهب للعقل، مُسقط للمروءة.

وقال أعرابي لرجل: أي أخي، إن يسار النفس أفضل من يسار المال، فإن لم ترزق غنى» فلا تحرم تقوى، فرب شبعان من النعم، غرثان[2] من الكرم؛ وآعلم أن المؤمن على خير، ترحّب به الأرض، وتستبشر به السماء؛ ولن يُساء إليه في بطنها، وقد أحسن على ظهرها.

وقال أعرابي: الدراهمُ مياسم[3] تسِمُ حمداً وذمّاً؛ فمن حبسها كان لها، ومن أنفقها كانت له؛ وما كلُّ من أُعْطي مالاً أُعْطِيَ حمداً ولا كلُّ عديمٍ ذميمٌ.

أخذ هذا المعنى الشاعر فقال:

أنــتَ للمالِ إذا أمْسكْتَــهُ فـإذا أَنْفَقْتُـه فـالمالُ لــكْ

---

(١) سورة المطففين الآية ١ ـ ٦. (٢) غرثان: جائع.

(٣) مياسم: مفرده ميسم، وهو الآلة يوسم بها كالمكواة.

لابن عباس:

وهذا نظير قول آبن عباس ـ ونظر إلى درهم في يد رجل ـ فقال: إنه ليس لك حتى يخرج من يدك.

لبعض الأعراب:

وقال أعرابي لأخٍ له: يا أخي، إن مالك إن لم يكن لك، كنت له؛ وإن لم تُفنه أفناك، فكُلْه قبل أن يأكلك.

وقال أعرابي: مضى لنا سلفٌ أهل تواصُل اعتقدوا مننا، واتخذوا الأيادي ذخيرة لمن بعدهم، يرون اصطناع المعروف عليهم فرضاً لازماً، وإظهار البرِّ واجباً ثم جاء الزمان ببنين اتخذوا مِنَنهم بصناعة، وبرَّهم مرابحة، وأياديهم تجارة، واصطناع المعروف مقارضة[1] كنقد [السوق]: خذ مني وهات.

وقال أعرابي لولده: يا بني، لا تكن رأساً ولا ذَنَباً، فإن كنت رأساً فتهيأ للنطاح، وإن كنت ذَنَباً فتهيأ للنكاح.

قال: وسمعت أعرابياً يقول لابن عمه: سأتخطى ذنْبك إلى عُذْرك، وإن كنتُ من أحدهما على شك ومن الآخر على يقين؛ ولكن لِيتمَّ المعروف مني إليك، ولتقوم الحجة لي عليك.

قال: وسمعت أعرابياً يقول: إن الموفَّق من ترك أرفق الحالات به لأصلحِها لدينه، نظراً لنفسه إذا لم تنظر نفسه لها.

قال: وسمعت أعرابْياً يقول: الله مُخْلِفُ ما أتلف الناس، والدهر مُتلِف ما أخلفوا، وكم من ميتة عليها طلب الحياة، وكم من حياة سببها التعرض للموت.

وقال أعرابي: إن الآمال قَطَعت أعناق الرجال، كالسراب: غرَّ من رآه، وأخلف من رجاه.

---

(١) يقال قارضه مقارضة: أعطاه قرضا.

وقال أعرابي لصاحب له: آصحب من يتناسى معروفهُ عندك، ويتذكر حقوقَك عليه.

وقال أعرابي: لا تسأل عمن يفرّ من أن تسأله، ولكن سل مَن أمَرَك أن تسأله، وهو الله تعالى.

وقيل لأعرابي في مرضه: ما تشتكي؟ قال: تمامَ العِدَّةِ، وانقضاءَ المدّةِ.

ونظر أعرابي إلى رجل يشكو ما هو فيه من الضيق والضر، فقال: يا هذا، أتشكو مَنْ يرحمُك إلى من لا يرحَمْكَ.

وقالت أعرابية لابنها: يا بنيّ، إن سؤالك الناسَ ما في أيديهم أشد من الافتقار إليهم، ومن افتقَرْت إليه هُنْت عليه، ولا تزال تحفظ وتكرم حتى تَسأل وتَرغب فإذا ألحتْ عليك الحاجة ولزمك سوءُ الحال، فاجعل سؤالك إلى من إليه حاجة السائل والمسئول، فإنه يعطي السائل.

وقالت أعرابية تُوصي ابناً لها أراد سفراً: يا بُنيَّ، عليك بتقوى الله فإنه أجدى عليك من كثير غيرك؛ وإياك والنمائم، فإنها تورث الضغائن وتفرق بين المحبين، ومثّل لنفسك مثالاً تستحسنه من غيركفاحذر عليه واتخذه إماماً، واعلم أنه من جمع بين السخاء والحياء، فقد أجاد الحلةَ إزارَها ورداءها.

قال الأصمعي: لا تكون الحلة إلا ثوبين: ازاراً ورداء.

أنشد الحسن لأعرابي كان يطوف بأمه على عانقه حول الكعبة:

إنْ تَركبي على قـذَالي[1] فـاركَبي   فطـالما حَملْتني وسِـــرْتِ بي
في بطنِـكِ المطهَّــر المطيَّـــبِ   كم بين هـذاك وهـذا المرْكَـب

وأنشد لآخر كان يطوف بأمه:

مـا حـجَّ عبـدٌ حَجَّـةً بـأمِّــه   فكان فيهـا مُنْفقـاً مـن كـدّهِ

(١) القذال: جماع مؤخر الرأس من الانسان والفرس فوق القفا.

إلا آستَتَمَّ الأجرَ عِند ربِّهِ

قال وسمعت أعرابياً يقول: ما بقاءُ عمرٍ تقطعه الساعات، وسلامة بَدَنٍ مُعرّض للآفات! ولقد عَجبتُ من المؤمن كيف يكره الموت وهو ينقله إلى الثواب الذي أحيا له ليلَه وأظمأ له نهاره.

وذكر أهل السلطان عند أعرابي فقال: أما والله لئن عزُّوا في الدنيا بالجوْر لقد ذلّوا في الآخرة بالعدل، ولقد رضوا بقليل فان عِوضاً عن كثير باق، وإنما تزل القدم حيث لا ينفع الندم.

ووصف أعرابي الدنيا فقال: هي رنقةُ[1] المشارب، جمة المصائب لا تمتعك الدهر بصاحب.

وقال أعرابي: من كان مطيته الليل والنهار سارا به وإن لم يَسِر، وبلغا به وإن لم يبلغ.

قال: وسمعت أعرابياً يقول: الزهادة في الدنيا مفتاحُ الرغبة في الآخرة والزهادة في الآخرة مفتاحُ الرغبة في الدنيا.

وقيل لأعرابي وقد مرض: إنك تموت! قال: وإذا متُّ فإلى أين يُذهَب بي؟ قالوا: إلى الله! قال: فما كراهتي أن يذهب بي إلى من لم أر الخير إلا منه؟

وقال أعرابي: من خاف الموت بادره الموت، ومن لم يُنَحِّ النفس عن الشهوات أسرعت به إلى الهلكات، والجنة والنار أمامك.

وقال أعرابي لصاحب له: والله لئن هملجت[2] إلى الباطل إنك لعطوف عن الحق، وإن أبطأت ليُسْرِعَنَّ إليك، وقد خسر أقوام وهم يظنون أنهم رابحون؛ فلا تغرَّنَّك الدنيا، فإن الآخرة من ورائك.

وقال أعرابي: خير لك من الحياة ما إذا فقدته أبغضت له الحياة، وشر من الموت

---

(١) رنقة: كدرة. (٢) هملج: سار سيراً حسناً في سرعة.

ما إذا نزل بك أحببت له الموت .

وقال أعرابيٌّ: حسبك من فساد الدنيا أنك ترى أسنمة توضع؛ وأخفافاً ترقع. والخيرَ يُطلب عند غير أهله، والفقيرَ قد حل غير محله.

وقدم أعرابي إلى السلطان فقال له: قُلِ الحقَّ وإلا أَوْجَعْتُكَ ضَرباً! قال له: وأنت فاعمل به، فوالله ما أوعدك الله على تركه أعظمُ مما توعَّدُني به.

وقيل لأعرابي: من أحقُّ الناس بالرحمةِ؟ قال الكريم يسلَّط عليه اللئيم، والعاقل يسلط عليه الجاهل.

وقيل له: أي الداعين أحق بالإجابة؟ قال المظلوم.

وقيل له: فأي الناس أغنى عن الناس؟ قال: من أفرد الله بحاجته.

ونظر عثمان إلى أعرابي في شَملة غائر العينين مُشرف الحاجبين ناتىء الجبهة، فقال له: يا أعرابي، أين ربُّك؟ قال: بالمرصاد.

الأصمعي قال: سمعت أعرابياً يقول: إذا أشكل عليك أمران فانظر أيهما أقرب من هواك فخالفه، فإن أكثر ما يكون الخطأ مع متابعة الهوى.

قال: وسمعت أعرابياً يقول: من نتَج الخير أنتج له فِراخاً تطير بأجنحة السرور؛ ومن غرس الشر أنبت له نباتاً مرّاً مذاقه، وقضبانه الغيظ، وثمرته الندم.

وقال أعرابي: الهوى عاجله لذيذ، وآجله وخيم.

وقيل لأعرابي: إنك لحسَن الشارة. قال: ذلك عنوان نعمة الله عندي.

قال الأصمعي: ورأيت أعرابياً أمامه شاءٌ فقلت له: لمن هذه الشاء؟ قال: هي لله عندي.

وقيل لأعرابي: كيف أنت في دينك؟ قال: أخرقه بالمعاصي وأرقعه بالاستغفار.

وقال أعرابي: من كساه الحياءُ ثوبَه خَفَى على الناس عيبه.

وقال: بئس الزاد التعدي على العباد.

وقال: التلطف بالحيلة أنفع من الوسيلة.

وقال: من ثقل على صديقه خفَّ على عدوّه، ومن أسرع إلى الناس بما يكرهون قالوا فيه ما لا يعلمون.

قال وسمعت أعرابياً يقول لابنه وهو يعاتبه: لا تتوهمن ـ على من يستدل على غائب الأمور بشاهدها ـ الغفلة عن أمور يعاينها، فتكون بنفسك أخطأت، وحظَّك أخطأت.

ونظر أعرابي إلى رجل حسن الوجه بَضّهِ[1] فقال. إني أرى وجهاً ما عَلِقَه بَرْدُ وُضُوء السَّحَر، ولا هو بالذي قال فيه االشاعر:

مـن كـلِّ مجتهـدٍ بـرَى أوصالَـه صـوْم النهـار وسجـدة الأسحـار

الأصمعي قال: سمعت أعرابياً ينشد:

وإذا أظهـرْتَ أمـراً حسَنـاً فليكن أحسـن منـه مـا تُسِـرّ
فمُسرُّ الخير مَـوسـومٌ بـه ومُسِـرُّ الشرِّ مَـوسومٌ بِشَـرّ

وقول الأعرابي هذا على ما جاء في حديث رسول الله ﷺ: «ما اسر امرؤٌ سريرة إلا ألبسه الله رداءها، إن خيراً فخير وإن شرّاً فشر».

قال: وأنشدني أعرابي:

ومـا هـذه الأيـام إلاَّ مُعـارةٌ فما اسطعْت من معـروفهـا فتـزوَّدِ
فـإنـك لا تـدري بـأيَّـة بلـدةٍ تموت ولا ما يُحدِث الله في غـدِ
يقولون لا تَبعَدْ ومَن يـك مُسـدَلاً على وجهِه سِتْرٌ مـن الأرض يَبعَـدِ

وقال أعرابي: أعجز الناس من قصَّر في طلب الإخوان، وأعجز منه من ضيَّع من ظفر به منهم.

وقال أعرابي لابنه: لا يسرك أن تغلب بالشر؛ فإن الغالب بالشر هو المغلوب.

وقال أعرابي لأخ له: قد نهيتك أن تريق ماء وجهك عند من لا ماء في وجهه. فإن حظك من عطيته السؤال.

قال: وسمعت أعرابياً يقول: إن حب الخير خير وإن عجزت عنه المقدرة،

(١) البضّ: النّضر.

وبغض الشر خير وإن فعلت أكثره .

وشهد أعرابي عند سوار القاضيَ بشهادة، فقال له: يا أعرابي، إن ميداننا لا يجري من العتاق فيه إلا الجياد. قال: لئن كشفت لتجدنِّي عثوراً! فسأل عنه سوار فأُخبر بفضل وصلاح، فقال له: يا أعرابي، أنت ممن يجري في ميداننا . قال: ذلك بستر الله .

وقال أعرابي: والله لولا أن المروءة ثقيل محملها، شديدة مؤنتها[1]، ما ترك اللئام للكرام شيئاً .

احتُضر أعرابي، فقال له بنوه: عظنا يا أبت. فقال: عاشروا الناس معاشرة إن غبتم حنوا إليكم، وإن متم بكوا عليكم .

ودخل أعرابي على بعض الملوك في شملة شعر، فلما رآه أعرض عنه، فقال له: إن الشملة لا تكلمك وإنما يكلمك من هو فيها .

مرّ أعرابي بقوم يدفنون جارية، فقال نعم الصهر ما صهرتم! وأنشد:

وفي الأعيــاص أكفــاءٌ لليْلى   وفي لحدٍ لها كُــفءٌ كــريمُ

وقال أعرابي: رب رجل سِره منشور على لسانه، وآخر قد التحف عليه قلبه التحاف الجناح على الخوافي .

ومرّ أعرابيان برجل صَلَبه بعض الخلفاء، فقال أحدهما: أنبتته الطاعة وحصدته المعصية! وقال الآخر: من طلق الدنيا فالآخرة صاحبته، ومن فارق الحق فالجِذْع راحلته .

العتبي عن زيد بن عُمارة، قال: سمعت أعرابياً يقول لأخيه وهو يبني منزلاً: يا أخي:

أنــت في دار شَتَــاتٍ   فتــأهَّــبْ لِشتــاتِــكْ

---

(١) المؤنة: القوت .

واجعل الدُّنيا كيومٍ صُمْتَه عن شهواتِكْ
واجعل الفِطْر إذا ما نِلْته يوم مماتك
واطلبِ الفوْز بعيش الز هد من طول حياتك

ثم أطرق حيناً ورفع رأسه وهو يقول:

قائدُ الغَفْلة الأمل والهوى قائدُ الزَّلل
قتَلَ الجهلُ أهله ونجا كلُّ من عقلْ
فاغتنِم دوْلة السَّلا مة واستأْنف العملْ
أيها المُبتني القصو رَ وقد شاب واكتَهلْ
أخبرَ الشَّيْب عنك أنك في آخر الأجل
فعلامَ الوقوفُ في عَرْصة العجو والكسل
أنت في منزلٍ إذا حَلَّه نازلٌ رَحلْ
منزل لم يَزل يَضيقُ ويَنبو بمن نزل
فتأهَب لرحلة ليس يسعى بها جَمل
رِحلةٍ لم تزل على الدهر مكروهة القَفَلْ

وقيل لأعرابي: كيف كتمانك للسر؟ قال: ما جوفي له إلا قبر.

لآخر في الوفاء:

وقال أعرابي: إذا أردت أن تعرف وفاء الرجل. ودوام عهده، فانظر إلى حنينه إلى أوطانه، وشوقه إلى إخوانه، وبكائه على ما مضى من زمانه.

لآخر فيا يضيع الأمور:

وقال أعرابي: إذا كان الرأي عند من لا يُقبل منه، والسلاح عند من لا يستعمله، والمال عند من لا ينفقه ـ ضاعت الأمور.

لآخر في القدر:

وسئل أعرابي عن القدر فقال: الناظر في قدَر الله كالناظر في عين الشمس: يعرف ضوءها ولا يقف على حدودها.

وسئل آخر عن القدر فقال: علمٌ اختصمتْ فيه العقول، وتقاول فيه المختلفون، وحق علينا أن نرد ما التبس علينا من حكمه إلى ما سبق من علمه.

وقال أعرابي تكوير[1] الليل والنهار، لا يُبْقِي على الأعمار، ولا لأحد فيه الخيار.

الحجاج وأعرابي:

أبو حاتم عن الأصمعي قال: خرج الحَجاج ذات يوم فأصحر[2]، وحضر غداؤه فقال: اطلبوا من يتغدّى معنا. فطلبوا، فلم يجدوا إلا أعرابياً في شملة، فأتوه به، قال له: هلم. قال له: قد دعاني من هو أكرم منك فأجبتُه! قال: ومن هو؟ قال: الله تبارك وتعالى، دعاني إلى الصيام، فأنا صائم. قال: صوم في مثل هذا اليوم على حَر؟ قال صمت ليوم هو أحرُّ منه! قال فأفطر اليوم وتصوم غداً. قال: ويضمن لي الأمير أن أعيش إلى غدٍ! قال: ليس ذلك إلي قال: فكيف تسألني عاجلاً بآجلٍ ليس إليه سبيل! قال: إنه طعام طيب. قال: والله ما طيَّبه خبازك ولا طباخك، ولكن طيبتْه العافية! قال الحجاج: تالله ما رأيت كاليوم، أخرجوه عني.

لأعرابي:

أبو الفضل الرياشي قال: أنشدنا أعرابي:

أبـاكِيـة رزيْنَـةُ إن أتـاهـا ... نعِـيِّ أَمْ يكـونُ لها اصْطِبـارُ
إذا مـا أهـلُ وُدِّي ودَّعـونِـي ... وراحـوا والأكُـفُ بها غُبـارُ
وغُـودِرَ أعْظُمِي في لحدِ قبْـرِ ... تعاوَرُهُ الجنـائِـبُ والقِطـارُ[3]

---

(١) تكوير الليل والنهار: أن يلحق أحدهما بالآخر. (٢) أصحر: خرج إلى الصحراء.

(٣) الجنائب: جمع جنوب، وهي الرياح الحارة؛ والقطار: جمع قطر، وهو المطر.

تظَلُّ الرِّيحُ عاصفةً عليهِ ... ويَرعَى حولَهُ اللّهق النَّوَارُ(1)
فذاكَ النَّأيُ لا الهِجرانُ حولا ... وحَولا ثم تجمَعُنا الدِّيارُ

وهذا نظير قول ليلى الأخيلية:

لعَمْرُك ما الهِجرانُ أن تَشْحَطَ النَّوَى ... ولكِنَّما الهجرانُ ما غيَّبَ القَبرُ(2)

ونظيره قول خنساء:

نأْيُ الخَليلَيْنِ كَوْنُ الأرضِ بينهما ... هذا عليها وهذا تحتَها رمِمَا(3)

وأنشد الآخر:

إذا ما المنايا أخْطأتْك وصادفتْ ... حبيبكَ فاعْلَمْ أنها ستَعودُ

عمر وأعرابي بالجبانة:

الرياشي قال: مَرَّ عمر بن الخطاب بالجبّانة فإذا هو بأعرابيّ، فقال: ما تَصنع هنا يا أعرابي في هذه الديار الموحشة؟ قال: وديعة لي ها هنا يا أمير المؤمنين. قال: وما وديعتك؟ قال: بُنَيٌّ لي دفنته، فأنا أخرج إليه كل يوم أندبه. قال: فاندبه حتى أسمع. فأنشأ يقول:

يا غائباً ما يؤُوبُ من سَفرهْ ... عاجَلَه موته على صِغرهْ
يا قرّةَ العَيْن كنتَ لي سكَنا ... في طولِ ليْلِي نعمْ وفي قِصَرِهْ
شرِبْت كأساً أبوكَ شارِبُها ... لا بُدَّ يوماً له على كِبَرِهْ
يشرَبُها والأنامُ كلُّهُم ... مَنْ كان في بَدوِهِ وفي حَضَرِهْ
فالحمدُ للهِ لا شَريكَ لهُ ... الموتُ في حُكمِهِ وفي قدرِهْ
قد قُسِّم العمر في العِبادِ فما ... يقدِرُ خلْقٌ يزيدُ في عُمرِهْ

---

(1) اللهق: الثور الوحشي؛ والنوار: النفور.

(2) تشحط: تبعد.

(3) الرِّمم: البالي من كل شيء.

قولهم في المدح

لبعضهم في المدح:

ذكر أعرابي قوماً عُباداً، فقال: تركوا والله النعيم ليتنعموا؛ لهم عبرات متدافعة، وزفرات متتابعة، لا تراهم إلا في وجه وجيه عند الله.

وذكر أعرابيٌّ قوماً فقال: أدّبتهم الحكمة وأحكمتهم التجارب؛ فلم تغُرَّهم السلامة المنطوية على الهلكة، ورحل عنهم التسويف الذي به قطع الناس مسافة آجالهم: فدلّت ألسنتهم بالوعد، وانبسطت أيديهم بالوجْد[1] فأحسنوا المقال، وشَفعوه بالفعال.

وسئل أعرابي عن قوم فقال: كانوا إذا اصطفوا سفرت[2] بينهم السهام؛ وإذا تصافحوا بالسيوف فغرت المنايا أفواهها؛ فرب يوم عارم[3] قد أحسنوا أدبه، وحرب عبوس قد ضاحكتها أسنتهم؛ إنما قومي البحر. ما ألقمتَه التقَم.

وذكر أعرابي قوماً فقال: ما رأيت أسرع [منهم] إلى داع بليل على فرس حسيب[4] وجمل نجيب. ثم لا ينتظر الأولُ السابق الآخرَ اللاحن.

وذكر أعرابي قوماً فقال: جعلوا أموالهم مناديل أعراضهم. فالخير بهم زائد، والمعروف لهم شاهد؛ فيعطونها بطيبة أنفسهم إذا طلبت إليهم. ويباشرون المعروف بإشراق الوجوه إذا بُغي لديهم.

وذكر أعرابي قوماً فقال: والله ما أنالوا شيئاً بأطراف أناملهم إلا وطئناه بأخماص أقدامنا؛ وإن أقصى هممهم لأدنى فعالنا.

وذكر أعرابي أميراً فقال: إذا ولى يطابق بين جفونه، وأرسل العيونَ على عيونه؛ فهو غائب عنهم شاهد معهم، فالمحسن راج والمسيء خائف.

---

(١) الوجد: اليسار والسعة.

(٢) أي كانت السهام بينهم سفراء.

(٣) عارم: شديد.

(٤) الحسيب: ذو الحسب.

ودخل أعرابي على رجل من الولاة فقال: أصلح الله الأمير، اجعلني زماماً من أزمتك تجرّبه الأعداء، فإني مِسْعَر حرْب، ورَكّاب نُجب، شديد على الأعداء لين على الأصدقاء؛ منطوي الحصيلة، قليل الثميلة[1]، نومي غِرار[2]، قد غَذَتْني الحرب بأفاويقها، وحلبت الدهر أشطره؛ ولا تمنعك مني الدمامة؛ فإن من تحتها شهامة.

وذكر أعرابي رجلاً ببراعة المنطق فقال: كان والله بارع المنطق، جزل الألفاظ، عربيّ اللسان، فصيح البيان، رقيق حواشي الكلام، بليل الريق، قليل الحركات، ساكن الإشارات.

وذكر أعرابي رجلاً فقال: رأيت له حلماً وأناة، يحدثك الحديث على مقاطعه، ينشدك الشعر على مدارجه، فلا تسمع له لحناً ولا إحالة[3].

العتبي قال: ذكر أعرابي قوماً، فقال: آلت سيوفهم ألاّ تقضي ديناً عليهم، ولا تضَيِّع حقا لهم، فما أَخذَ منهم مردود إليهم، وما أَخَذُوا متروكٌ لهم.

ومدح أعرابي رجلاً، فقال: ما رأيت عيناً قط أخرق لظلمة الليل من عينه ولحظةً أشبه بلهيب النار من لحظته؛ له هزة كهزة السيف إذا طرب، وجرأة كجرأة الليث إذا غضب.

ومدح أعرابي رجلاً فقال: كان الفهمُ منه ذا أذنين، والجواب ذا لسانين؛ لم أر أحداً أَرْتقَ لخلل الرأي منه، بعيد مسافة العقل ومَراد الطرف، إنما يرمي بهمته حيث أشار الكرم.

ومدح أعرابيّ رجلاً فقال: ذاك والله فسيح النسب، مستحكم الأدب، من أي أقطاره أتيته انتهى إليك بكرم فعال، وحسن مقال.

ومدح أعرابي رجلاً فقال: كانت ظلمة ليله كضوء نهاره، آمراً بإرشاد، وناهياً

---

(١) الثميلة: البقية من الشيء. (٢) غرار: قليل.
(٣) أحال الكلام: أفسده.

عن فساد، لحديث السوء غيرَ منقاد.

وقال أعرابي: إن فلاناً «نعم» للسانه قبل أن يخلق لسانه لها: فما تراه الدهر إلا وكأنه لا غنى له عنك وإن كنت إليه أحوج؛ إذا أذنبت إليه غفر وكأنه المذنب، وإذا أسأت إليه أحسن وكأنه المسيء.

وذكر أعرابي رجلاً فقال: اشترى والله عِرْضَه من الأذى؛ فلو كانت الدنيا له فأنفقها لرأى بعدها عليه حقوقاً، وكان منهاجاً للأمور المشكلة إذا تناجز الناس باللائمة.

ومدح أعرابيّ رجلاً فقال: كان والله يغسل من العار وجوهاً مسودة، ويفتح من الرأي عيوناً منسدة.

وذكر أعرابي رجلاً فقال: ذاك والله ينفع سلمه ولا يستمر ظلمه؛ إن قال فعل، وإن ولى عدل.

ومدح أعرابي رجلاً فقال: ذاك والله يعني في طلب المكارم، غير ضال في مسالك طرقها، ولا مُشتغل عنها بغيرها.

وذكر أعرابي رجلاً فقال: يفوِّق الكلمة على المعنى فتمرق مروق السهم من الرميَّة، فما أصاب قتل، وما أخطأ أشوى[1]، وما عظعظ[2] له سهم منذ تحرك لسانه في فيه.

وذكر أعرابي أخاه فقال: كان والله رَكوباً للأهوال، غير ألوف لربّات الحجال؛ إذا أرعد القوم من غير كرّ، يهين نفساً كريمة على قومها، غير مبقية لغد ما في يومها.

ومدح رجل رجلاً فقال: كأن الألسن ريضت[3] فما تنعقد إلا على ودّه، ولا تنطق إلا بثنائه.

---

(١) أشوى: أصاب الشوى؛ والشوى كل ما ليس مقتلاً كاليدين والرجلين.

(٢) عظعظ: مر مضطرباً ولم يقصد. (٣) ريضت: ذللت.

ومدح أعرابي رجلاً فقال: كان والله للإخاء وَصولاً، وللمال بَذولاً، وكان الوفاء بهما عليه كفيلاً، فمن فاضله كان مفضولاً.

وقيل لأعرابي: ما البلاغة؟ قال: التباعد من حشو الكلام، والدلالة بالقليل على الكثير.

ومدح أعرابي رجلاً فقال: كان والله من شجر لا يخلف ثمره، ومن بحر لا يخاف كدره.

وذكر أعرابي رجلاً فقال: ذاك والله فتى زانه الله بالخير ناشئاً، فأحسن لبسه، وزين به نفسه.

ومدح أعرابي رجلاً فقال: يصم أذنيه عن استماع الخَنا[1]، ويخرس لسانه عن التكلم به؛ فهو الماء الشَّريب[2]، والمصقع الخطيب.

وذكر أعرابي رجلاً فقال: ذاك رجل سبق إليّ معروفه قبل طلبي إليه، فالعرض وافر، والوجه بمائه، وما أستقل بنعمة إلا أثقلني بأخرى.

وذكر أعرابي رجلاً فقال: ذاك رضيع الجود والمفطوم به، عَيٌّ عن الفحشاء، معتصم بالتقوى؛ إذا خَرست الألسن عن الرأي حذف[3] بالصواب كما يَحذف الأرنب، فإن طالت الغاية ولم يكن من دونها نهاية تمهل أمام القوم سابقاً.

وذكر أعرابي رجلاً فقال: إن جليسه لطِيب عشرته أطربُ من الإبل على الحداء، والثمل على الغناء.

وذكر أعرابي رجلاً فقال: كان له علم لا يخالطه جهل، وصدق لا يشوبه كذب، كأنه الوبْل عند المحْل.

وذكر أعرابي رجلاً فقال: ما رأيت أعشق للمعروف منه، وما رأيت المنكر أبغض لأحد منه.

---

(١) الخنا: الفحش في الكلام.

(٢) الشريب: العذب. (٣) حذف: رمى.

وقدم أعرابي البادية وقد نال من بني برمك، فقيل له: كيف رأيتَهم؟ قال: رأيتهم قد أنِست بهم النعمة كأنها من بناتهم.

قال: وذكر أعرابي رجلاً فقال: ما زال يبني المجد، ويشتري الحمد، حتى بلغ منه الجهد.

ودخل أعرابي على بعض الملوك فقال: إن جهلاً أن يقول المادح بخلاف ما يعرف من الممدوح، وإني والله ما رأيت أعشق للمكارم في زمان اللؤم منك. ثم أنشد:

مـالي أَرى أبـوابَهـم مهجـورةً ... وكأن بـابـك مَجمع الأسـواقِ
حابَوكَ أَم هابُوك أم شاموا النَّدَى ... بيديْـك فـاجتمعـوا مـن الآفـاق
إني رأيتـك للمكـارم عـاشقـاً ... والمكـرُمـات قليلـة العشّـاق

وأنشد أعرابي في مثل هذا المعنى:

بَنَت المكـارمُ وسْـط بيتـك بيتَهـا ... فتِلادُهـا بـكَ للصـديـق مُبـاحُ
وإذا المكـارم أغلقـتْ أبـوابَهـا ... يـومـاً فـأنـت لقُفْلهـا مِفتـاح

وأنشد أعرابي في بني المهلّب:

قدِمـتُ على آل المُهلّـب شـاتيـاً[1] ... قصيّاً بعيد الدار في زمـن المَحْـلِ
فما زال بي إلْطـافُهـم وافتقـادُهـم ... وبِـرهـم حتى حسبْتهـم أهلي

وأنشد أعرابي:

كـأنـكَ في الكتـاب وجـدْت لاءٌ ... مُحـرمـةً عليـك فما تَحـلُّ
ومـا تَـدري إذا أعْطيـتَ مـالاً ... أتُكثِـر مـن سماحـك أم تُقـل
إذا دخـل الشتـاءُ فـأنـت شمس ... وإن دخـل المَصيـف فـأنـت ظـل

وقال أعرابي في مدح عمر بن عبد العزيز:

مُقابل الأعْراق في الطـاب الطـاب ... بين أبي العـاص وآل الخطـاب[2]

---

(١) شاتياً: مقيما عندهم شتاء. (٢) مقابل الأعراف أي شريف من قبل أبيه وأمه. والطاب: الطيب.

وأنشد أعرابي:

لنا جَوَادٌ أعارَ النِّيلَ نائلَه ... والنِّيلُ يَشكر منه كثرةَ النيْلِ
ان بارز الشمسَ ألقى الشمس مُظلمةً ... أو زاحمَ الصُّم ألجاها إلى الميْل
أهْدَى من النَّجْم إن تأْتيه مشكِلةٌ ... وعند إمضائِه أمضى من السيل
والموتُ يَرهب أن يلقى منيَّته ... في شدّه عند لفِّ الخيْل بالخيل

قولهم في الذمّ

الأصمعي قال: ذكر أعرابي قوماً فقال: أولئك سُلخت أقفاؤهم بالهجاء، ودُبغت وجوههم باللؤم؛ لباسهم في الدنيا الملامة، وزادهم إلى الآخرة الندامة.

قال: وذكر أعرابي قوماً فقال: لهم بيوت تُدخَل حبْواً إلى غير نمارق[1] ولا وسائد، فُصْحُ الألسن برَدّ السائل؛ جُعْد الأكف عن النائل.

قال: وسمعت أعرابياً يقول: لقد صغَّر فلاناً في عيني عظم الدنيا في عينه، وكأنما يرى السائلَ إذا أتاه، ملَك الموت إذا رآه.

وسئل أعرابي عن رجل، فقال: ما ظنكم بسكّير لا يفيق، يتهم الصديق، ويعصى الشفيق، لا يكون في موضع إلا حرمت فيه الصلاة، ولو أفلتت كلمة سوء لم تصر إلا إليه، ولو نزلت لعنة من السماء لم تقع إلا عليه.

وذكر أعرابي قوماً فقال: أقل الناس ذنوباً إلى أعدائهم، وأكثرهم تجرّماً على أصدقائهم؛ يصومون عن المعروف، ويفطرون على الفحشاء.

وذكر أعرابي رجلاً فقال: إن فلاناً ليُعدِي بإثمه من تسمّىَ باسمه، ولئن خيبني فلرب باقية قد ضاعت في طلب رجل كريم.

وذكر أعرابي رجلاً فقال: تغدو إليه مراكب الضلالة فترجع من عنده ببُدور[2]

(١) النمارق مفردها نمرقة وهي الوسادة الصغيرة يتكأ عليها.

(٢) البدور: جمع بدرة وهي كيس فيه ألف أو عشرة آلاف.

الآثام، مُعدِم ما تُحب، مُثْر مما تكره. وصاحب السوء قطعة من النار.

وقال أعرابي لرجل: أنت والله ممن إذا سأل ألحف، وإذا سئل سوّف، وإذا حدّث حلف، وإذا وعد أخلف؛ تنظر نظر حسود، وتُعرض إعراض حَقود.

وسافر أعرابي إلى رجل فحرّمه، فقال لما سئل عن سفره: ما ربحنا في سفرنا إلا ما قصَرْنا من صلاتنا؛ فأمّا الذي لقينا من الهواجر، ولقيتْ منا الأباعر، فعقوبة لنا فيما أفسدنا من حسن ظننا. ثم أنشأ يقول:

رجَعنا سالمين كما خرجْنا ... وما خابتْ سريَّة سالِمينا

لشاعر في الهجاء:

وقال أعرابي:

لَمّا رأيتُك لا فاجراً ... قويّاً ولا أنت بالزاهد
ولا أنت بالرجل المتّقي ... ولا أنت بالرجل العابد
عرضتْك في السُّوق سوقِ الرقيق ... وناديتُ هل فيك من زائد
على رجلٍ خان وُدّ الصديق ... كُفورٍ بأنعُمه جاحد
فما جاءَني رجل واحد ... يَزيد على درهم واحد
سِوى رجلٍ زادني دانقاً ... ولم يك في ذاك بالجاهد[1]
فبعتك منه بلا شاهدٍ ... مخافةَ ردّك بالشاهد
وأُبت إلي منزلي غانماً ... وحلَّ البلاءُ على الناقد

لبعض الأعراب:

قال: وذكر أعرابي رجلاً، قال: كان إذا رآني قرّب من حاجب حاجباً، فأقول له: لا تُقبِّح وجهك إلى قُبحه، فوالله ما أتيتك لطمعٍ راغباً، ولا لخوف راهباً.

---

(١) الدانق: سدس الدرهم.

وذم أعرابي رجلاً فقال: عبد الفعال، حر المقال؛ عظيم الرواق، دنيء الأخلاق؛ الدهر يرفعه، ونفسه تضعه.

وذمَّ أعرابي رجلاً فقال: ضيق الصدر، صغير القدر، عظيم الكبر، قصير الشبر، لئيم النَّجر[١]، كثير الفخر.

وقال أعرابي: دخلت البصرة فرأيت ثياب أحرار على أجساد عبيد؛ إقبالُ حظهم إدبارُ حظ الكرام، شجرٌ أصوله عند فروعه، شغلهم عن المعروف رغبتُهم في المنكر.

وذكر أعرابي رجلاً فقال: ذاك يتيم، أعْيا ما يكون عند جلسائه أبلَغُ ما يكون عند نفسه.

وذكر أعرابي رجلاً فقال: ذلك إلى من يداوي عقلَه من الجهل، أحوجُ منه إلى من يداوي بدنَه من المرض؛ إنه لا مرض أوْجع من قلة عقل.

وذكر أعرابي رجلاً لم يدرك بثأره، فقال: كيف يدرك بثأره من في صدره من اللؤم حشو مرفقته؛ ولو دُقَّت بوجهه الحجارة لرضّها[٢]، ولو خلا بالكعبة لسرِقها.

وذكر أعرابي رجلاً فقال: تسهر والله زوجته جوعاً إذا سهر الناس شبعاً؛ ثم لا يخاف مع ذلك عاجل عار، ولا آجل نار؛ كالبهيمة أكلت ما جمعت، ونكحت ما وجدت.

وسمع أعرابي رجلاً يزعق، فقال: ويحك! إنما يستجاب لمؤمن أو مظلوم، ولست بواحد منهما؛ وأراك يخف عليك ثقلُ الذنوب فيحسِّن عندك مقابحَ العيوب.

وذكر أعرابي رجلاً بضعف فقال: سيء الروية، قليل التقية[٣]، كثير السعاية، ضعيف النكاية.

وذكر أعرابي رجلاً فقال: عليه كل يوم من فعله شاهد بفسقه؛ وشهادات الأفعال أعدل من شهادات الرجال.

---

(١) النجر: الأصل. (٢) الرض: الدق.

(٣) التقية: الحذر.

وذكر أعرابي رجلاً بذِلة فقال: عاش خاملاً ومات موتوراً.

وذكر قوماً فقال: أُلبسوا نعمة ثم عُرُّوا منها فقال: ما كانت النعمة إلا طيفاً لما انتبهوا لها ذهبت عنهم.

وذم أعرابي رجلاً فقال: هو كعبد القِن[1] يسرك شاهدا ويسوءك غائبا.

ودعت أعرابية على رجل فقالت: أمكن اللهُ منك عدوّاً حسوداً، وفجع بك صديقاً ودُوداً؛ وسلط عليك هَمّاً يضنيك، وجاراً يؤذيك.

وقال أعرابي لرجل شريف البيت دنيء الهمة: ما أحوجك أن يكون عِرضك لمن يصونه، فتكون فوق ما أنت دونه.

وذكر أعرابي رجلاً فقال: إن حدّثته يسابقك إلى ذلك الحديث، وإن سكتّ عنه أخذ في الترّهات.

وذكر أعرابي أميراً فقال: يصل النشوة، ويقضي بالعَشْوة[2]، ويقبل الرشوة.

وذكر أعرابي رجلاً راكباً هواه، فقال: والله لهو أسرع إلى ما يهواه، من الأسن[3] إلى راكد المياه، أفقره ذلك أو أغناه.

وقال أعرابي: ليتَ فلاناً أقالني من حسن ظني به، فأختمَ بصواب إذ بدأت بخطأ؛ ولكن من لم تحكمه التجارب أسرع بالمدح إلى من يستوجب الذم، وبالذم إلى من يستوجب المدح.

وقال أعرابي لرجل: هل أنت إلا أنت لم تغير! ولو كنتَ من حديد وُضعت على أتون محمّى لم تذب.

وسمعت أعرابياً يقول لأخيه: قد كنت نهيتك أن تدنس عِرضك بعِرض فلان، وأعلمتُك أنه سمين المال، مهزول المعروف، من المرزوقين فجأة، قصير عمر الغنى، طويل عمر الفقر.

---

(١) العبد القن: الذي كان أبوه مملوكاً لمواليه. (٢) العشوة: ركوب الأمر على غير بيان.

(٣) الأسن من المياه: المتغير الذي لا يُشرب.

أقبل أعرابي إلى سوّار فلم يصادف عنده ما أحب، فقال فيه:

رأيتُ لي رُؤيا وعبَّرتُها ... وكنْتُ لِلأحلامِ عبَّارَا
بأنني أخبِطُ في ليْلَتي ... كلباً فكانَ الكلبُ سوّارَا

وقال أعرابي في ابن عم له يسمى زياداً:

من يُبادِلني قريباً ... ببعيد مِنْ إيادِ؟
من يُقادِرْ، من يُطافِس ... من يُناذِل بزيادِ[1]

في هجاء ابن سلم:

وقال سعيد بن سلم الباهلي: مدحني أعرابيّ، فاستبطأ الثواب فقال:

لكلِّ أخي مدْحٍ ثوابٌ يُعِدُّه ... وليْس لِمدْحِ الباهلِيِّ ثوابُ
مَدَحت سَعيدا والمديح مَهَزَّةٌ ... فكان كصفْوانٍ، عليهِ تُرابُ[2]

وقال أيضاً:

وإنَّ من غايةِ حرْصِ الفتَى ... طِلاَبه المعروفَ في باهلَه
كبيرُهُم وغْدٌ ومولودهم ... تلْعنُه في قُبحِه القابِلَهْ

وقال أيضاً:

سبَكناهُ ونحسَبَهُ لُجَيناً ... فأبْدَى الكِيرُ عن خَبثِ الحديدِ

وقال فيه:

لمّا رآنا فرّ بَوّابه ... وأنْسَدَّ في غيرِ يدٍ بابُه
وعِنْدهُ من مَقْتِه حاجِبٌ ... يحجبه إنْ غابَ حُجّابه

---

(١) المقادرة: من القدر، وهو القصر؛ والمطافسة: من الطفس، وهو قذر الانسان اذا لم يتعهد نفسه؛ والمناذلة من النذالة.

(٢) الصفوان: الحجر الصلد الأملس لا ينبت شيئا.

في هجاء مساور:

دخل أعرابي على المساور بن هند وهو على الريّ، فلم يعطه شيئاً؛ فخرج وهو يقول:

أتيتُ المساورَ في حاجَةٍ ... فمَا زال يَسْعُلُ حتى ضَرطْ
وحكَّ قفَاهُ بكُرْسوعِهِ ... ومسَّحَ عُثْنونَه وامْتَخط[1]
فأمْسكْت عن حاجتِي خِيفةً ... لأخرى تُقطِّع شَرْجَ السَّفَط[2]
فأُقسمُ لو عُدْتُ في حاجتي ... للطَّخ بالسْلحِ وجْه النَّمط[3]
وقال غَلطنا حِسابَ الخرَاجِ ... فقلْت مِنَ الضَّرْطِ جاءَ الغَلطْ

وكان كلما ركب صاح الصبيان: من الضرط جاء الغلط. حتى هرب من غير عزل إلى بلاد أصبهان.

في رجل قصير:

أبو حاتم عن أبي زيد، قال: أنشدنا أعرابي في رجل قصير:

يكادُ خليلِي من تَقاربِ شخصِهِ ... يَعضُّ القرادُ اسْتَهُ وهو قائِمُ

في امرأة قبيحة:

وذكر أعرابي امرأة قبيحة، فقال: ترخي ذيلها على عرقوبَيْ نعامة، وتسدل خمارها على وجه كالجعالة[4].

---

(١) الكرسوع: حرف الزند الذي يلي الخنصر وهو الناتيء عند الرسغ؛ والعثنون: اللحية وما فضل منها بعد العارضين.

(٢) السّفط: ما يعبى فيه الطيب وما أشبه من أدوات النساء؛ وشرج السفط: شده وإدخال بعض عراه في بعض.

(٣) النمط: الفراش.

(٤) الجعالة: الخرقة التي تنزل بها القدر عن النار.

لبعض الأعراب:

العتبي قال: سمعت أعرابياً يقول: لا ترك الله مُخّاً في سُلامَى[1] ناقة حملتني إليك وللدَّاعي عليها أحق بالدعاء عليه؛ إذ كلفها المسير إليك.

وقال أعرابي لاَبن الزبير لا بُوركت ناقةٌ حملتْني إليك. قال: إنَّ وصاحبها. قوله: إنّ، يريد «نعم». قال قيس الرقيات:

وتقُولُ شَيْبٌ قد عَلَا ... كَ وقد كَبِرْتَ فقلْتُ إنَّه

يريد: نعم.

وذكر أعرابي، رجلاً، فقال: لا يؤنس جاراً، ولا يؤهل داراً، ولا يُثْقِبُ[2] ناراً.

وسأل أعرابي رجلاً فحرمه، فقال له أخوه؛ نزلت والله بواد غيرِ ممطور، وبرجل غير مبرور؛ فارتحل بندم، أو أقم بعدم.

ودخلت أعرابية على حمدونة بنت المهدي؛ فلما خرجت سئلت عنها، فقالت: والله لقد رأيتها فما رأيت طائلاً؛ كأن بطنها قربة، وكأن ثديها دَبّة[3]، وكأن استها رُقعة، وكأن وجهها وجه ديك قد نفش عِفريتَه[4] يقاتل ديكاً.

وصاحب أعرابي امرأة فقال لها: والله إنكِ لمشرِفة الأذنين، جاحظة العينين، ذات خلق متضائل، يعجبك الباطل، إن شبعت بطرت، وإن جعتِ صخبتِ، وإن رأيتِ حسناً دفنتيه، وإن رأيتِ سيئاً أذعتيه؛ تكرمين من حقرك، وتحقرين من أكرمك.

وهجا أعرابي امرأته فقال:

يا بِكْرَ حوَّاء من الأولاد ... وأمَّ آلافٍ من العبادِ

عُمْرُك ممدودٌ إلى التَّنادي ... فحدِّثينا بحديثِ عادِ

---

(١) سلامي: عظام الفِرسن (الفرسن من البعير بمنزلة الحافر من الخيل).

(٢) يثقب: يوقد.

(٣) الدبّة: واحدة الدب، وهو الفرع.

(٤) عفرية الديك: ريش عنقه.

والعهدِ مــن فـرعـوْن ذي الأوتـاد ... يـــا أقـــدم العـــالم في الميلاد
إني من شخصك في جهاد

في عجوز:

وقال أعرابي في امرأة تزوجها، وقد خطَبها شابة طرية ودسّوا إليه عجوزاً:

عجـوزٌ تُـرَجّـي أن تكـون فتيَّـةً ... وقد نَحل الجنْبان واَحدَوْدَب الظَّهْر
تَـدسُّ إلى العطَّـار سلعـة أهلِهـا ... وهل يُصلح العطار ما أفسد آلدهـر[١]
تـزوجتُهـا قبـل المِحـاق بليْلـةٍ ... فكان مُحـاقـاً كلـه ذلـك الشهـر
ومـا غـرّني إلا خِضـابٌ بكفِّهـا ... وكحلٌ بعيْنيْها وأثـوابُهـا الصُّفـر

وقال فيها:

ولا تستطيع الكحلَ من ضِيق عيْنِها ... فإن عالجتْه صار فـوْق المحـاجـر
وفي حـاجبيْهـا حَـزَّةٌ كغـرارة ... فإن حُلِقا كـانـا ثلاث غـرائِـر[٢]
وثَديـان أمّـا واحِـدٌ فهـو مِـزْودٌ ... وآخَـرُ فيـه قـرْبـةٌ للمسـافـر[٣]

وقال فيها:

لها جسم بُرغوث وساقَـا بعـوضـةٍ ... ووجهٌ كوجهِ القرد بل هـو أقبـح
وتَبرُق عيْنـاهـا إذا مـا رأيتَهـا ... وتَعْبسُ في وجه الضَّجيعِ وتكلـحُ
لها مَضحكٌ كـالحَشِّ تَحسَـب أنها ... إذا ضحكتْ في أوْجُه القوْم تَسْلـح[٤]
وتَفْتح ـ لا كانت ـ فماً لـو رأيتَـه ... تـوهَّمتَـه بـابـاً مـن النـار يُفْتـح
إذا عاين الشيْطان صـورة وجهها ... تعـوّذ منهـا حين يُمسي ويُصبـح

وقال أعرابي في سوداء:

كـأنها والكحـلُ في مِـرْودِهـا ... تَكحَل عيْنيْها ببعض جلـدهـا

---

(١) يريد بالسلعة: الدقيق وما اشبه ذلك. (٢) الغرارة: الجوالق.
(٣) المزود: وعاء يحمل فيه الزاد. (٤) الحشُ: الدبر والمخرج.

وقال فيها :

أَشبَهكِ المِسك وأشبهته ... قائمةً في لونِه قاعدهْ
لا شكَّ إذ لونُكما واحدٌ ... أنكما من طينةٍ واحدهْ

وقال كُثيِّر في نصيب بن رباح، وكان أسود:

رأيت أبا الحَجْناء في الناس حائراً ... ولون أبي الحجناء لون البهائم
تراه على مالاحَه من سَوادِه ... وإن كان مظلوماً له وجهُ ظالمِ[1]

أعرابي وعامل:

وقال رجل من العمال لأعرابي: ما أحسبك تعرف كم تصلي في كل يوم وليلة! فقال له: فإن عرفتَ أتجعل لي على نفسك مسألة؟ قال: نعم. قال:

إنّ الصلاةَ أربعٌ وأربعُ ... ثم ثلاثٌ بعدهُنّ أربعُ
ثم صلاةُ الفجر لا تُضيَّعُ

قال: صدقت، هات مسألتك؟ قاله له: كم فقار ظهرِك؟ قال: لا أدري. قال: فتحكم بين الناس وتجهل هذا من نفسك؟

قولهم في الغَزَل

لبعض الأعراب:

ذكر أعرابي امرأة فقال: لها جلد من لؤلؤ مع رائحة المسك، وفي كل عضو منها شمس طالعة.

وذكر أعرابي امرأة، فقال: كاد الغزال أن يكونَها لولا ما تم منها وما نقص منه.

وقال أعرابي في امرأة ودّعها للمسير: والله ما رأيت دمعة ترقرق من عين بإثمد[2] على ديباجة خدّ، أحسن من عبرة أمطرتها عينُها فأعشب لها قلبي.

---

(١) لاحه: غيره.
(٢) الإثمد: عنصر معدني يكتحل به.

قال: سمعت أعرابياً يقول: إن لي قلباً مَروعاً، وعيناً دموعاً؛ فماذا يصنع كل واحد منهما بصاحبه، مع أن داءهما، دواؤهما، وسقَمَها شفاؤهما؟

وقال أعرابي: دخلت البصرة، فرأيت أعيناً دُعجا، وحواجب زُجّاً[1]، يسحبن الثياب، ويسلبن الألباب.

وذكر أعرابي امرأة فقال: خلوت بها ليلة يزينها القمر، فلما غاب أرَتْنِيه قلت له: فما جرى بينكما؟ فقال: أقرب ما أحل الله مما حرّم الإشارة بغير باس، والتقرب من غير مساس.

وذكر أعرابي امرأة فقال: هي أحسن من السماء، وأطيب من الماء.

قال: وسمعت أعرابياً يقول: ما أشد جولة الرأي عند الهوى، وفطام النفس عن الصبا؛ ولقد تقطعت كبدي للعاشقين. لوم العاذلين قِرَطة[2] في آذانهم، ولوعات الحب جَبِرات على أبدانهم، مع دموع على المغاني، كغروب السواني[3].

وذكر أعرابي امرأة فقال: لقد نعمتْ عينٌ نظرت إليها، وشفي قلب تفجع عليها؛ ولقد كنت أزورها عند أهلها؛ فيرحب بي طرْفها، ويتجهَّمني لسانها. قيل له: فما بلغ من حبك لها؟ قال: إني ذاكرٌ لها وبيني وبينها عَدْوَةُ الطائر، فأجد لِذِكرِها ريح المسك.

وذكر أعرابي نِسْوة خرجن متنزهات، فقال: وجوه كالدنانير، وأعناق كأعناق اليعافير[4]، وأوساط كأوساط الزنابير، أقبلن إلينا بحجول تخفق، وأوشحة تعلق، وكم أسير لهنّ وكـم مطلق.

قال: وسمعت أعرابياً يقول اتبعت فلانة إلى طرابلس الشام؛ والحريص جاحد،

---

(١) الزج: الدقيقة. (٢) قرطة: جمع قرط.

(٣) الغروب: جمع غرب، وهو الدلو؛ والسواني: جمع سانية، وهي ما سقي عليه من بعير وغيره.

(٤) اليعافير: جمع يعفور، وهو ولد البقرة الوحشية.

والمُضِل ناشد؛ ولو خضت إليها النار ما ألمتها.

قال: وسمعت أعرابياً يقول: الهوى هوان ولكن غلط باسمه، وإنما يعرف من يقول، من أبكته المنازل والطلول.

وقال أعرابي: كنت في شباب أعضّ على الملام، عضّ الجواد على اللجام، حتى أخذ الشيب بعنان شبابي.

وذكر أعرابي امرأة فقال: إن لساني لِذِكرها لَذلول، وإن حبّها لقلبي لَقتول، وإن قصيرَ الليل بها ليطول.

وصف أعرابي نساء ببلاغة وجمال، فقال: كلامهنّ أقتل من النبل، وأوقع بالقلب من الوبْل بالمِحل؛ فروعهنّ أحسن من فروع النخل.

ونظر أعرابي إلى امرأة حسناء جميلة تسمى ذَلْفاء، ومعها صبي يبكي؛ فكلما بكى قبلته؛ فأنشأ يقول:

يا ليْتني كنت صبيّاً مُرْضَعَا ... تَحملني الذَّلفاءُ حوْلا أكْتعَا[1]

إذا بكيْتُ قبّلتني أربعاً ... فلا أزالُ الدهر أبكى أجْمعا

وأنشد أبو الحسن علي بن عبد العزيز بمكة لأعرابي:

جاريةٌ في سَفَوان دارُها ... تمشي الهوَيْنا مائلاً خِمارها[2]

قد أعصَرتْ أو قدْ دنَا إعصارها ... يَطير من غُلْمتِها إزارها[3]

العتبي قال: وصف أعرابي امرأة حسناء، فقال: تَبْسم عن خُمش اللثات[4]، كأفاحي النبات، فالسعيد من ذاقه، والشقي من راقه.

وقال العتبي: خرجتُ ليلة حين انحدرت النجوم وشالت أرجلها؛ فما زلت أصدع الليل حتى انصدع الفجر، فإذا بجارية كأنها عَلم، فجعلت أغازلها، فقالت: يا هذا، أمالك ناهٍ من كرم، إن لم يكن لك زاجر من عقل! قلت: والله ما يراني إلا

---

(١) حولاً أكتع، أي تاماً. (٢) سفوان: ماء على قدر مرحلة من باب المربد بالبصرة.

(٣) المعصر: التي قد بلغت عصر شبابها وأدركت. (٤) لثة خمشة: حسنة دقيقة.

الكواكب. قالت: فأين مُكوكِبها.

ذكر أعرابي امرأة فقال: هي السقيم الذي لا بُرء معه، والبُرء الذي لا سقم معه؛ وهي أقرب من الحَشا، وأبعد من السما.

وقال أعرابي وقد نظر إلى جارية بالبصرة في مأتم:

بَصْــريّــةٌ لم تُبصر العينُ مثلَهــا   غــدتْ ببيــاضٍ في ثيــاب ســوادِ
غَدَوتِ إلى الصحراءِ تبكينَ هالكـاً   فأهْلكْتِ حيا، كنتِ أشـأمَ عـادِ!
فيا ربِّ خُذ لي رحْمةً من فُؤادِهـا   وحُـلْ بين عينَيهـا وبين فـؤادي

وقال في جارية ودَّعها:

مـالـت تُـودِّعُني والدمْعُ يَغلبُهـا   كما يَميلُ نسيمُ الريـحِ بـالغُصـنِ
ثم آستمَرَّتْ وقالت وهـي بـاكيـةٌ   يـاليـتَ مَعْـرفتي إيّـاك لم تكُـنِ

العتبي قال: أنشد أعرابي:

يا زَيْنَ من ولَدتْ حواءُ مِـن ولـد   لولاكِ لم تَحْسُن الدنيـا ولم تطِـبِ
أنتِ التي مـن أراهُ اللهُ صُـورتَهـا   نـال الخلـودَ فلم يَهـرَمْ ولم يَشِـبِ

وأنشد الرياشي لأعرابي:

من دمْنةٍ خُلقت عينـاك في هتَـنٍ   فما يُردُّ البُكا جهلاً مـن الدِّمـنِ[1]
ما كنتِ لِلقلبِ إلا فتْنةً عَـرضَـت   يا حبَّذا أنتِ من مَعروضـةِ الفِتَـن
تسيءُ سَلْمى وأجْـزيها بـه حسَنـاً   فمن سِواي يُجازي السُّوءَ بالحسَـنِ

قـال وسمعت أعرابياً يصف امرأة؛ فقال: بيضاءُ جعْدَةٌ[2]، لا يمس الثوبُ منها إلا مُشَاشَة[3] كتفيها، وحَلَمتَي ثديَيْها، ورضْفتَي[4] ركْبتيها، ورانِفتَي[5] أَلْيتيها: وأنشد:

---

(١) المتن: الانصباب.

(٢) جعدة، أي غير مسترخية ولا مضطربة.

(٣) المشاشة: رأس العظم الممكن المضغ.

(٤) الرضفة: واحدة الرضف، وهي عظام في الركبة.

(٥) رانفة الإلية: اسفلها اذا كانت قائمة.

أبـتِ الرَّوادِفُ والثَّـدِيُّ لِقُمصهـا مَسَّ البطـونِ وأنْ تَمسَّ ظهـورا
وإذا الرِّياحُ مع العشِـيِّ تنـاوحـت نبَّهْـن حـاسـدَةً وهِجْـن غَيـورا

وقال أعرابي: ليت فلانة حظي من أملي، ولَرُب يوم سِرتُه إليها حتى قبض الليل بصري دونها؛ وإن من كلام النساء ما يقوم مقام الماء فيشفي من الظمأ.

وذكر أعرابي آمرأة فقال: تلك شمسٌ باهت الأرض شمس سمائها، وليس لي شفيع في اقتضائها، وإن نفسي لكتومٌ لدائها، ولكنها تفيض عند امتلائها.

أخذ هذا المعنى حبيب فقال:

ويا شمسَ أرضيها التي تَم نورُهـا فباهت بها الأرضونَ شمسَ سمائِهـا
شكوْتُ وما الشَّكوى لِمثْلِيَ عـادة ولكنْ تَفيضُ النَّفس عنـد امتلائها

وقيل لأعرابي: ما بال الحب اليوم على غير ما كان عليه قبل اليوم؟ قال: نعم، كان الحب في القلب فانتقل إلى المعدة؛ إن أطعمتْه شيئاً أحبها، وإلا فلا: كان الرجل يحب المرأة، يطيف بدارها حَولا، ويفرح إن رأى مَن رآها، وإن ظفر منها بمجلس تشاكيا وتناشدا الأشعار؛ وإنه اليوم يشير إليها وتشير إليه، ويعدها وتعده فإذا اجتمعا لم يشكوَا حباً، ولم ينشدا شعراً، ولكن يرفع رجليها ويطلب الولد.

وقال أعرابي:

شكوتُ! فقالت: كلَّ هذا تبرُّمـاً بِحُبي! أراح الله قلبَكَ مـن حُبِّـي
فلمَّا كتمْتُ الحبَّ قالت: لَشدَّ مـا صبَرَتْ! وما هذا بفعلِ شجِي القلْبِ!
وأدْنـو فتقْصِيني، فـأَبعـدُ طـالبـا رِضاها، فتعْتدُّ التَّبـاعُـدَ مـن ذَنْبي
فشكْواي تؤذيها، وصبرِي يَسوءُهـا وتَجْزَعُ من بُعدي، وتنْفِرُ من قُـرْبي
فيا قوْم هل من حيلـةٍ تعلَمـونَهـا أشِيروا بها واستْوجبِوا الشُّكر من ربي

قولهم في الخيل

الأصمعي قال: سمعتُ أعرابياً يقول: خرجت علينا خيلٌ مستطيرة النقع[١]، كأنّ هواديَها[٢] أعلام. وآذانَها أطرافُ أقلام؛ وفرسانُها أسودُ آجام.

أخذ هذا المعنى عدي بن الرقاع فقال:

يخرُجْن من فُرجاتِ النقْعِ دامِيةً ... كأنّ آذانَها أطْرافُ أقلامِ

وقال أعرابي: خرجنا حفاةً حين انتعل كلُّ شيء بظلّه، وما زادُنا إلا التوكل ولا مطايانا إلا الأرجل؛ حتى لحقنا القوم.

وذكر أعرابي فرساً وسرعته؛ فقال: لما خرجت الخيل أقبل شيطاناً في أشطان، فلما أُرْسِلَتْ لمع لمعَ البرق؛ فكان أقربها[٣] إليه الذي تقع عينُه [من بُعدٍ] عليه.

وقال أعرابي في فرس الأعور السلمي:

مرَّ كلمْعِ البرقِ سام ناظِرُه ... يسبَحُ أُولاه ويطفُو آخرُهْ

فما يَمسُّ الأرض مِنه حافرُه

سئل أعرابي عن سوابق الخيل، فقال: الذي إذا مشى رَدَى[٤]، وإذا عدا دحا[٥]؛ وإذا استُقبل أقعى، وإذا استدبر جبَّى[٦]، وإذا اعتُرض استوى.

وذكر أعرابي خيلاً؛ فقال: والله ما انحدرتْ في وادٍ إلا ملأت بطنَه، ولا ركبت بطنَ جبل إلا أسهلت حَزنه.

وقال أعرابي: خرجت على فرس يختال اختيال النَّشوان، نسوفٍ للحزام؛ مُهارش للجام؛ فما مَتع[٧] النهار حتى أمتعنا برف ورفاهة.

---

(١) النقع: الغبار الساطع. (٢) هواديها: أعناقها. (٣) أقربها، أي أقرب الخيل.

(٤) الرديان: أن يرجم الأرض رجما، بين المشي الشديد والعدو.

(٥) دحا دحواً، أي رمى الفرس في سيره بيديه لا يرفع سنبكه عن الأرض.

(٦) جبى: انكب على وجهه. (٧) متع النهار: ارتفع وبلغ غاية ارتفاعه قبل الزوال.

قولهم في الغيث

لامرىء القيس وعبيد بن الأبرص:

الأصمعي قال: قلت لأعرابي: أي الناس أوصفُ للغيث؟ قال: الذي يقول ـ يعني امرأ القيس ـ:

دِيمةٌ هَطلاءُ فيهـــا وطَـــفٌ   طَبـق الأرضِ تحرّي وتـدرّ[1]

قلت: فبعده مَن؟ قال: الذي يقول ـ يعني عبيد بن الأبرص ـ:

يا من لِبَـرْقٍ أبيـت الليْـلَ أرقُبـه   في عارضٍ مكْفهـرِّ المزن دَلاَّحِ[2]

دانٍ مُسفٍّ فُوَيقَ الأرض هَيْـدبـه   يكاد يـدفعـه مـنْ قـام بـالـراحِ

سليان وأعرابي:

ودخل أعرابي على سليان بن عبد الملك، فقال: أصابتك سماء في وجهك يا أعرابي؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين، غير أنها سحاء طَخياءُ[3] وطْفاءُ؛ كأن هواديها الدِّلاء، مرجَحنَّة النواحي، موصولة بالآكام، تكاد تمس هام الرجال؛ كثير زَجَلها، قاصفٌ رعدها، خاطف برقُها، حثيثٌ ودْقها، بطيءٌ سيرها؛ مثْعنْجرٌ قَطرها، مظلم نوْؤها؛ قد لجأت الوحش إلى أوطانها، تبحث عن أصوله بأظلافها، متجمعة بعد شتاتها؛ فلولا اعتصامُنا يا أمير المؤمنين بعضاةِ الشجر، وتعلقنا بقنن الجبال، لكنا جُفاء[4] في بعض الأودية ولقَم[5] الطريق، فأطال الله للأمة بقاءك، ونسألها في أجلك، فهذا ببركتك وعادةِ الله بك على رعيتك، وصلى الله على سيدنا محمد. فقال سليان: لعمر أبيك، لئن كانت بديهة لقد أحسنت وإن كانت محبرة لقد أجدت. قال: بل محبرة مزوّرة يا أمير المؤمنين. قال: يا غلام أعطه؛ فوالله لصدقُه أعجب إلينا من صفنه.

(١) الوطف: استرخاء الجوانب من كثرة الماء؛ وطبق الأرض عَشاها؛ وتتمرى: تتوخى وتعمد.

(٢) دلاّح: مثقل بمائه.   (٣) طخياء: مظلمة.

(٤) الجفاء: ما يقذفه السيل من الزبد والوسخ. (٥) لقم الطريق: وسطه ومنفرجه.

قيل لأعرابي: أي الألوان أحسن؟ قال: قصور بيض في حدائق خضر.

وقيل لآخر: أي الألوان أحسن؟ قال: بيضة[1] في روضة غِبَّ سارية والشمس مُكَبِّدة[2].

وقال أعرابي: لقد رأيت بالبصرة بُروداً كأنها صُبغت بأنوار الربيع، فهي تروع واللابس لها أروع.

العتبي قال: سمعت أعرابياً يقول: مررت ببلد ألقى بها الصيِّفُ[3] بعاعَه، فأظهر غديراً يقصر الطرف عن أرجائه، وقد نفت الريح القذى عن مائه؛ فكأنه سلاسل درع ذات فضول.

وأنشد أبو عثمان الجاحظ لأعرابي:

أيـن إخـوانُنـا على السَّـرَّاء ... أين أهل القِبابِ والدهنـاء[4]

جاورنـا والأرض مُلَبَّسة نـو ... ر إقـاحٍ يُجـاد بـالأنـواء

كلَّ يومٍ بـأقحُوانٍ جـديـدٍ ... تضحكُ الأرضُ من بكاءِ السماء

لابن مطير:

ابن عمران المخزومي قال: أتيت مع أبي والياً على المدينة من قريش، وعنده أعرابي يقال له ابن مطير، وإذا مطر جَود؛ فقال له الوالي: صفه؛ فقال: دعني أشرف وأنظر. فأشرف ونظر، ثم قال:

كثرتْ لكثرةِ ودْقِـه أطْبـاؤُهُ ... فإذا تُحِلِّب فـاضـت الأطبـاءُ[5]

ولـه ربـابٌ هَيْـدَبٌ لـرقيقـه ... قبـلَ التَّبَعُّـق ديمَة وطْفـاءُ[6]

وكـأنّ بـارقـهُ حـريـقٌ تلتَقِـي ... ريحٌ عليـه وعـرْفَـجٌ وألاءُ[7]

(١) يريد بياض النهار.

(٢) مكبدة، أي قد توسطت السماء.

(٣) الصيف: مطر الصيف؛ وبعاعه أي ما يحمله من الماء.

(٤) القباب والدهناء: موضعان.

(٥) الودق: المطر كله، شديده وهينه؛ والأطباء: الضروع.

(٦) الرباب: السحاب الذي فوقه سحاب؛ وهيدب أي متدل قريب من الأرض لثقل ما يحمل.

(٧) العرفج: نبت سهلي سريع الانقياد؛ والألاء: شجر حسن المنظر مر الطعم.

وكــأنّ ريِّقــهُ ولمّا يَحتفِـلْ وَدْق السماء عجاجَـةٌ طخيـاءُ[1]
مُسْتضْحِـكٌ بلـوامـع مُسْتَعْبِـرٌ بمدامـع لم تُمْـرِهـا الأقـذاءُ
فلــهُ بلا حــزن ولا بِمسرَّةٍ ضحِـك يُؤَلّـفُ بينـه وبُكـاءُ
حيْــران مُتَّبـعٌ صبـاهُ تقــودُهُ وجنـوبـهُ كـف لـه ورهـاءُ[2]
ثقُلـتْ كُلاهُ فبَهَّـرَتْ أصلابـهُ وتبَعَّجَتْ عـن مائِـه الأحشاءُ[3]
غدَقٌ تبَعَّجَ بـالأبـاطِـحِ مُـزّقتْ تلـك السُّيـولُ ومـالَهـا أشلاءُ
غُــرٌّ مُحجَّلَــةٌ دوالجُ ضُمِّنَــت حَمْـلَ اللّقـاحِ وكلّهـا عـذراءُ[4]
سحْـمٌ فهُـنّ إذا عبَسْـنَ فـواحِـمٌ سودٌ، وهُـنَّ إذا ضَحِكْـنَ وِضـاءُ
لو كان من لُجَجِ السواحلِ مـاؤُهُ لم يبْقَ في لُجـجِ السـواحِـلِ مـاءُ

هشام وأعرابي يصف له السحاب:

قال هشام بن عبد الملك لأعرابي: آخرج فانظر كيف ترى السحاب. فخرج فنظر، ثم انصرف فقال: سفائن، وإن اجتمعت فعَين.

قولهم في البلاغة والإيجاز

قيل لأعرابي: من أبلغ الناس؟ قال: أحسنهم لفظاً وأسرعهم بديهة.

الأصمعي قال: خطب رجل في نكاح فأكثر وطوّل، فقيل: من يجيبه؟ قال أعرابي: أنا. قيل له: أنت وذاك؟ فالتفت إلى الخاطب فقال: إني والله ما أنا من تخطيطك وتمطيطك[5] في شيء؛ قد مَتَتَّ بحرمة، وذكرت حقاً، وعظَّمت مرجوّاً، فحبلك موصول، وفرضك مقبول، وأنت لها كفء كريم، وقد أنكحناك وسلَّمنا.

---

(١) الريق: أول المطر؛ والعجاجة: القطعة من الغبار تثيرها الرياح؛ وطخياء: معتمة مظلمة.

(٢) ريح ورهاء: في هبوبها عجرفة.

(٣) كلية السحابة: أسفلها؛ وبهرت أي غلبت؛ وتبعجت: انفرجت.

(٤) دوالج: مثقلة بالماء.

(٥) تمطيط الكلام: إطالته.

ربيعة الرأي وأعرابي:

وتكلم ربيعةُ الرأي يوماً فأكثر، فكأن العُجب داخله، وأعرابي إلى جنبه، فأقبل على الأعرابي فقال: ما تعدّون البلاغة يا أعرابي؟ قال: قلة الكلام وإيجاز الصواب. قال: فما تعدون العيّ؟ قال: ما كنتَ فيه منذ اليوم! فكأنما ألقمه حجراً.

شبيب وأعرابي:

شبيب بن شيبة قال: لقيت أعرابياً في طريق مكة، فقال لي: تكتب؟ قلت: نعم. قال: ومعك دواة؟ قلت: نعم. فأخرج قطعة جراب من كمه، ثم قال: اكتب ولا تزد حرفاً ولا تنقص: هذا كتاب كتبه عبد الله بن عُقيل الطائي لأمَتِه لؤلؤة: إني أعتقتُكِ لوجه الله واقتحامِ العقبة، فلا سبيل لي ولا لأحد عليك إلا سبيل الولاء، والمنةُ عليّ وعليك من الله وحده، ونحن في الحق سواء ثم قال: آكتب شهادتك.

روي أن أعرابياً حضر مجلس ابن عباس، فسمع عنده قارئاً يقرأ: ﴿وكُنْتُم على شفَا حُفرَةٍ من النارِ فأنقذَكم منها﴾[1]؛ فقال الأعرابي: والله ما أنقذكم منها وهو يرجعكم إليها. فقال ابن عباس: خذوها من غير فقيه.

قولهم في حسن التوقيع وحسن التشبيه

قيل لأعرابي: مالك لا تطيل الهجاء؟ قال: يكفيك من القلادة ما أحاط بالعنق.

وقيل لأعرابي: كم بين كذا وبلد كذا؟ قال: عُمْرُ ليلةٍ وأديمُ يوم.

وقال آخر: سوادُ ليلة وبياضُ يوم.

وقيل لأعرابي: كيف كتمانُك للسر؟ قال: ما صدري له إلا قبرٌ.

معاوية وأعرابية:

قال معاوية لأعرابية: هل من قِرى؟ قالت: نعم. قال: وما هو؟ قالت: خُبز خَمير، ولبن فطير، وماء نمير.

---

(١) سورة آل عمران الآية ١٠٣.

وقيل لأعرابي: فيم كنتم؟ قال: كُنا بين قِدْر تفور، وكأس تدور، وحديث لا يحور[(١)].

وقيل لأعرابي: ما أعددتَ للبرد؟ قال: شدةَ الرعدة، وقرفصاءَ القِعدة، وذَرَبَ المعدة[(٢)].

وقيل لأعرابي: مالك من الولد؟ قال: قليل خبيث. قيل له: ما معناه؟ قال: إنه لا أقل من واحد، ولا أخبث من أنثى!

وقال: أضل أعرابي الطريق ليلاً، فلما طلع القمر اهتدى؛ فرفع رأسه إليه متشكراً فقال: ما أدري ما أقول لك وما أقول فيك؛ أأقول رفعك الله! فقد رفعك: أم أقول: نوّرك الله! فقد نوّرك! أم أقول: حسّنك الله! فقد حسّنك؛ أم أقول: عمرك الله! فقد عمرك؛ ولكني أقول: جعلني اللهُ فِداك!

وقيل لأعرابي: ما تقول في ابن العم؟ قال: عدوُّك وعدوُّ عدوِّك.

وقيل لأعرابي وقد أدخل ناقته في السوق ليبيعها: صف لنا ناقتك. قال: ما طلَبْتُ عليها قط إلا أدركْتُ، وما طُلبْتُ إلا فتُّ. قيل له: فلم تبيعها؟ قال: لقول الشاعر:

وقد تخرجُ الحاجاتُ يا أُمَّ عامِرٍ كرائِمَ من ربٍّ بِهنَّ ضنينِ

وقيل لأعرابي: كيف ابنك؟ وكان به عاقاً؛ قال: عذابٌ لا يقاومه الصبر، وفائدة لا يجب فيها الشكر، فليتني قد استودعتُه القبر.

قيل لشريح القاضي: هل كلمك أحد قط فلم تطق له جواباً؟ قال ما أعلمه إلا أن يكون أعرابياً خاصم عندي ويشير بيديه، فقلت له: أمسك، فإن لسانك أطولُ من يدك! قال:

أسامريٌّ أنت لا تُمَسْ

---

(١) يحور: يعود. (٢) ذرب المعدة: فسادها.

وقيل لأعرابي: ماعندكم في البادية طبيب؟ قال: حُمُرُ الوحش لا تحتاج إلى بيطار.

وقال أعرابي يصف خاتماً ـ فقال: سُيِّف[1] تدوير حَلْقته، ودُوِّر كُرْسِيُّ قضته[2]، وأُحكِم تركيبُه، وأُتقِنَ تدبيرُه، فبِهِ يتمُّ الملك، وينفُذُ الأمر، ويكْرُمُ الكتاب ويشرُف المكتوب إليه.

وقال آخر يصف خاتماً:

وأبيضُ أمّا جِسْمُهُ فمُنوّرٌ ... نقِيٌّ وأمّا رأسُه فمُعارُ
ولم يُكْتسبْ إلا لتسْكُنَ وسْطَهُ ... بزيعة رأسٍ ما عليه خِمَارُ[3]
لها أخواتٌ أربعٌ هُنَّ مِثلُها ... ولكِنها الصُّغرى وهُنَّ كِبارُ[4]

قولهم في المناكح

بين جاريتين:

يحيى بن عبد العزيز عن محمد بن الحكم عن الشافعي قال: تزوج رجل من الأعراب امرأة جديدة على امرأة قديمة، وكانت جارية الجديدة تمر على باب القديمة فتقول:

وما يستوي الرِّجلانِ رِجْلٌ صحيحةٌ ... ورِجْلٌ رمَى فيها الزمانُ فشلَّتِ

ثم مرت بعد أيام فقالت:

.. وما يستوي الثوْبانِ ثوبٌ به البِلَى ... وثوبٌ بأيدي البائعين جديد

فخرجت إليها جارية القديمة فقالت:

نقِّلْ فؤادَكَ حيثُ شِئْتَ مِنَ الهوى ... ما القلْبُ إلاّ للحَبيبِ الأوّلِ

(١) التسييف: تنقية الجوانب من النقش.

(٢) القضّة: الحصاء الصغيرة، ويريد بها القطعة الصغيرة من الحجارة الكريمة.

(٣) أي إصبع بزيعة الرأس، أي مليحته. (٤) الضمير في لها يعود إلى الإصبع.

كـم منزلٍ في الأرضِ يألفُـه الفتَـى وحنينُــه أبــداً لأوّلِ مَنـــزلِ

أعرابي وولي امرأة:

الأصمعي قال: أخبرني أعرابي قال: خطب منا رجل مغموز امرأة مغموزة[1] فزوّجوه؛ فقال رجل لوليِّ المرأة: تعَمَّم لكم فلان فزوجتموه! فقالوا: ما تعمم لنا حتى تبرقعنا له.

لأعرابية تنصح بنات عمها:

أبو حاتم عن الأصمعي قال: قالت أعرابية لبنات عم لها: السعيدة منكم من يتزوجها ابن عمها، فيمهرها بتيسين وكلبين وعَيرين ورحَيين، فينِبّ[2] التيسان، وينهق العَيران، وينبح الكلبان، وتدور الرحيان، فيعج الوادي؛ والشقية منكن من يتزوجها الحضري، فيكسوها الحرير، ويطعمها الخمير، ويحملها ليلة الزفاف على عود - تعني: سرجاً.

الأصمعي قال: سمعت أعرابياً يُشارّ امرأته، فقالت لها أخته. أما والله أيامَ شرخه[3] إذ كان ينكُتكِ كما ينكت العظم عن مخه، لقد كنتِ له تَبوعاً، ومنه سَموعاً؛ فلما لان منه ما كان شديداً، وأخلَق منه ما كان جديداً، تغيرت له! وايمُ الله لئن كان تغير منه البعضُ لقد تغير منك الكل.

لأعرابي في زوجته:

وقيل لأعرابي: كيف حبك لزوجتك؟ قال: ربما كنت معها على الفراش فمدّت يدها إلى صدري، فوددت والله أن آجُرَّةً خرّت من السقف فقدّت يدها وضلعين من أضلاع صدري! ثم أنشأ يقول:

لقد كنتُ محتاجاً إلى مـوت زوجتي ولكنْ قريـنُ السُّوء بـاقٍ معمَّـرُ

---

(١) المغموزة: المتهمة بعيب. (٢) نبّ التيس: صاح.

(٣) شرخ الشباب: أوله ونضارته.

فياليْتها صـارت إلى القبر عـاجلاً   وعــذّبَهــا فيــه نكيرٌ ومنكَــر

لآخر في مثله:

وتزوّج أعرابي امرأة، فطالت صحبتها له، فتغير لها وقد طعنت في السنّ، فقالت له: ألم تكن تُرضي إذا غضبتُ، وتُعتبِ إذا عتبت، وتُشفق إذا أبَيت؛ فما بالك الآن؟ قال: ذهب الذي كان يُصلح بيننا.

الأصمعي وأعرابي طلق زوجته:

الأصمعي قال: كنت أختلف إلى أعرابي أقتبس منه الغريب، فكنت إذا استأذنت عليه يقول: يا أُمامة، إيذني له. فتقول: ادخل. فاستأذنت عليه مراراً فلم أسمعه يذكر أمامة؛ فقلت له: يرحمك الله، ما أسمعك تذكر أمامة منذ حين! قال: فوجم وجمة ندِمتُ على ما كان مني؛ ثم قال:

ظعَنَــتْ أُمـامـةُ بـالطلاقِ   ونَجوتُ من غُـلِّ الوَثـاقِ
بـــانــتْ فلم يـــألَــم لها   قلبي ولم تَـدمع مـــآقــي
ودواءُ مـــــا لا تشتهيــ   ــه النفسُ تَعجيـل الفِـراق
والعيشُ ليس يطِيــب بيْـ   ـن اثنين في غير اتِّفـــاق
لــو لم أُرَحْ بفِــراقهـــا   لأَرحْتُ نفسي بـالإبـاق[1]

لأعرابي طلق امرأته:

الأصمعي قال: تزوج أعرابي امرأة فآذتْه وافتدى منها بحمار وجُبة، فقدم عليه ابن عمّ لها من البادية فسأله عنها؛ فقال:

خطَتُ إلى الشيطان للحيْن بنْتَــه   فأَدخلها من شِقْوتي في حِبالِيـا
فـأنقـذَني منهـا حماري وجُبَّتي   جَزى الله خيراً جُبتي وحماريَـا

---

(١) الإباق: الهروب.

لأعرابي بين يدي زياد:

الأصمعي قال: خاصم أعرابي امرأته إلى زياد، فشدّد على الأعرابي؛ فقال: أصلح الله الأمير؛ إن خيرَ عُمر الرجل آخره؛ يذهب جهله ويثوب حلمه، ويجتمع رأيه؛ وإن شر عُمُر المرأة آخره؛ يسوء خلقها، ويحدّ لسانها، وتَعقم رحمها! قال له: صدقت، اسفع[1] بيدها.

لبعض الأعراب في مثله:

قال: وذكرتْ أعرابية زوجها وكان شيخاً! فقالت: ذهب ذَفَرُه[2]، وبقَى بَخَره، وفتَر ذَكَره.

الأصمعي قال: كان أعرابي قبيح طويل خطَب امرأة؛ فقيل له: أيَّ ضرب تريدها؟ قال: أريدها قصيرة جميلة، فيأتي ولدها في جمالها وطولي. فتزوجها على تلك الصفة، فجاء ولدها في قصرها وقبحه!

قدم أعرابي من طيء فاحتلب لبنا ثم قعد مع زوجته ينتجعان، فقالت له: مَن أنعم عيشاً، أنحن أم بنو مروان؟ قال لها: بنو مروان أطيب منا طعاماً، إلا أنّا أردأ منهم كسوة؛ وهم أظهر منا نهاراً إلا أنا نحن أظهر منهم ليلاً.

الأصمعي قال: خاصم أعرابي امرأته إلى السلطان، فقيل له: ما صنعت؟ قال: خيراً، كبها الله لوجهها ولو أُمر بي إلى السجن!

الأصمعي قال: استشارت أعرابية في رجل تتزوجه، فقيل لها: لا تفعلي فإنه وُكَلَةٌ تُكَلَة، يأكل خِلله أي يأكل ما يخرج من بين أسنانه إذا تخلل. قال أبو حاتم: هو الخُلالة. ووكلة تكلة: إذا كان يكل أمره إلى الناس ويتكل عليهم.

العتبي قال: خَطب إلى أعرابي رجل موسر إحدى آبنتيه. وكان للخاطب امرأة،

---

(١) أسفع: خذ. (٢) الذفر: شدة ذكاء الريح من طيب أو نتن.

فقالت الكبرى: لا أُريده! قال أبوها: ولِمَ؟ قالت: يومٌ عتاب، ويوم اكتئاب، يبلَى فيما بين ذلك الشباب! قالت الصغرى: زوِّجْنيه! قال لها: على ما سمعْت من أُختك؟ قالت: نعم، يوم تَزيُّن، ويوم تسمُّن، وقد تقر فيما بين ذلك الأعيُن.

لأعرابية ترقص طفلاً:

الأصمعي قال: رأيت امرأة تُرقِّص طفلاً لها، وتقول:

أُحبّه حُبّ الشحِيح مالَهْ قد كان ذاقَ الفقرَ ثمّ نالَهْ
إذا أراد بَذلَه بَدا لهْ

أعرابية فقدت زوجها:

الأصمعي قال: هلك أعرابي، فأدمنت امرأته البكاءَ عليه. فقال بعض بنيها:

أتفقِدين من أبينا غيرَهْ أتفقِدين نفعه وخيْرهْ
أراكِ ما تبْكين إلا أيْرهْ

فأمسكتْ عن البكاء.

أعرابية وأعرابي ينظر إلى ابنتها:

جلس أعرابي إلى أعرابية، فعلمت أنه ما جلس إلا لينظر إلى ابنتها، فأنشأت تقول:

وما نلتَ منها غيرَ أنكَ نائِك بعينيْك عينيها وأيْرك خائبُ

الرياشي قال: أنشدني العتبي لأعرابي:

ماذا تظن بسلْمى إن ألَمّ بها مُرجَّل الرأس ذو بُرديْن مَزَّاحُ
حلوٌ فكاهَته خزٌّ عمامَته في كفّه من رُقَى إبليسَ مِفتاح!

أعرابي وامرأة خطبها:

أبو حاتم عن الأصمعي قال: خطب أعرابي امرأة، فقالت: سل عني بني فلان

وبني فلان. قال لها: وما عِلمهم بذلك؟ قالت: في كلهم نكحت وكنت، قال: أراك جَلَنْفَعَةً[1] قد خزمتك الخزائم، قالت: لا، ولكنْ جوّالة بالرجل عَنتريس[2].

تزوج رجل من الأعراب امرأة منهم عجوزاً ذات مال، فكان يصبر عليها لمالها، ثم ملّها وتركها، وكتبتْ إليه تستردّه، فكتب إليها يقول:

ليس بيني وبين قيسٍ عِتـــاب غيرَ طعْـن الكُلا وضرْب الرِّقـاب

فكتبت إليه: إنه والله ما يريد قيسٌ غير طعن الكلا!

أعرابي خاطب:

المفضل الضبي قال: خطب أعرابي آمرأة، فجعل يخطُبها ويُنعظ، فضرب ذكره بيده وقال: مَه! إليك يساق الحديث. فأرسلَها مثلاً.

أبو البيداء:

علي بن عبد العزيز قال: كان أبو البيداء عِنّينا، وكان يتجلد ويقول لقومه: زوِّجوني امرأتين! فيقال له: إن في واحدة كفاية. فيقول: أمّا لي فلا! فقالوا: نزوِّجك واحدة، فإن كفتك وإلا زوّجناك أخرى. فزوّجوه أعرابية، فلما دخل بها أقام معها أُسبوعاً، فلما كان في اليوم السابع أتوه، فقالوا له: يا أبا البيداء، ما كان أمرك في اليوم الأول؟ قال: عظيم جداً! قالوا: ففي الثاني؟ قال: أجلّ وأعظم! قالوا: ففي الثالث؟ قال: لا تسألوا! فأجابت المرأة من وراء الستر، فقالت:

كان أبو البيْـداء يَنـزو في الوهَـقْ حتى إذا أُدخـل في بيْـتٍ أبَـقْ[3]
فيـه غـزالٌ حسَـنُ الدَّلِّ خَـرِق مارَسهُ حتى إذا آرفـضَّ العـرق[4]
آنكسَرَ المِفتاح وآنسدّ الغلَقْ

---

(١) جلنفعة: مسنة.
(٢) عنتريس: قوية صلبة.
(٣) الوهق: حبل تشد به الابل والخيل.
(٤) خرق: أي فيه خجل وحياء.

لأعرابي في امرأته:

كانت لأعرابي آمرأة لا تَرُدّ يَد لامس؛ فقيل له؛ مالك لا تفارقها؟ قال: إنها حسناءُ فلا تُفرك، وأم بنين فلا تُترك.

قال الشيخ من الأعراب:

أنـا شيْـخٌ ولي امـرأةٌ عجـوز ... تُـــراودُني على مـــا لا يجوز
تـريـد أنيكُهـا في كـلِّ يـومٍ ... وذلـك عنـد أمثـالي عـزيـزُ
وقالت دَقَّ أيْـرُكَ مُـذْ كبرنـا ... فقلـت لها بـل اتَّسَـع القفيـز

الأصمعي قال: قال أعرابي في امرأة تزوّجها، وقد تزوّجت قبله خمسة، وتزوّج هو قبلها أربعاً، فلاحتْه يوماً، فقال فيها:

لو لابس الشيطـانُ مـا أُلابِس ... أو مارَس الغـولُ التي أُمـارسُ
لأصبح الشيطان وهـو عـابس ... زوّجهـــا أربعـــةٌ عمارس[1]
فانفلتوا منهـا ومـات الخامس ... وساقني الحين فهـانـا السـادس

وقال فيها:

بُـوَيْـزل أعـوام أذاعـت بخمسـة ... وتَعْتَدُّني ـ إن لم يَقِ الله ـ ساديـا[2]
ومن قبلها غيّبـتُ في الترب أربعـاً ... وأعتدُّها مُـذ جئتُهـا في رجـائيـا
كلانـــا مُطـلٌّ مشرف لغنيمـــة ... يراها ويقضي اللهُ ما كان قـاضيـا

وقال أعرابي:

أشكـو إلى الله عيـالاً دَرْدَقـا ... مُقَرْقَمِين وعجـوزاً شَمْلقـا[3]

الدردق: الصغار. والمقرقم: البطيء الشباب. والشملق السيئة الخلق.

---

(١) العمروس: الجمل إذا بلغ النزو.
(٢) بويزيل أعوام، أي أنها جاوزت البزول بأعوام، فهي مسنة؛ وسادياً، أي سادساً، أبدل من السين ياء.
(٣) العجوز الشملق: التي لا خير عندها.

قولهم في الإعراب

لبعض الأعراب في معنى هذا العنوان:

الأصمعي قال: قلت لأعرابي: أتهمز إسرائيل؟ قال: إني إذاً لرجل سوء! قلت له: أفتجرّ فلسطين؟ قال: إني إذاً لقَوِي.

وسمع أعرابي إماماً يقرأ: ولا تَنْكِحوا المُشرِكينَ حتى يُؤمِنوا، قال. ولا إن آمنوا أيضاً، لا ننكحهم. فقيل له: إنه يلحن، وليس هذا يُقرأ. فقال: أخِّروه قبحه الله! ولا تجعلوه إماماً؛ فإنه يُحلُّ ما حرّم الله.

وسمع أعرابي أبا المكنون النحوي وهو يقول في دعائه يستسقي: اللهم ربَّنا وإلٰهنا وسيدَنا ومولانا، صلِّ على محمد نبينا؛ [اللهم] ومن أراد بنا سوءا فأحط ذلك السوء به كإحاطة القلائد بأعناق الولائد، ثم أرسخْه على هامسته كرُسوخ السِّجِّيل[1] على هام أصحاب الفيل، اللهم اسقنا غيثاً مريئاً مريعاً[2] مُجلجلاً[3] مُسحنفِراً[4] هزجاً[5] سحّاً سَفوحاً طبقاً[6] غدَقاً مُثْعَنجراً[7] صَخِباً نافعاً لعامّتنا وغيرضارٍّ بخاصّتنا. فقال الأعرابي: يا خليفة نوح، [هذا] الطوفان وربِّ الكعبة، دعني حتى آوي إلى جبل يعصمني من الماء.

الأصمعي قال: أصابت الأرض مجاعة؛ فلقيت رجلاً منهم خارجاً من الصحراء كأنه جذعٌ محترق فقلت: أتقرأ في كتاب الله شيئاً؟ قال: لا. قلت: فأعلمك؟ قال: ما شئت. قلت: اقرأ ﴿قل يا أيها الكافرون﴾[8]. قال: كل يا أيها الكافرون. قلت: [قُلْ] ﴿قل يا أيها الكافرون﴾ كما أقول لك. قال: ما أجد لساني ينطق بذلك.

---

(١) السجّيل: حجارة كالمدر. (٢) المريع: الذي يمرع أي يخصب. (٣) المجلجل: الذي فيه صوت الرعد.
(٤) المسحنفر: الكثير الصب الواسع. (٥) الهزج: الذي به صوت.
(٦) طبقاً: عاماً واسعاً. (٧) المثعنجر: الجاري الذي يملأ الأرض.
(٨) سورة الكافرون الآية ١٠٩.

قال: ورأيت أعرابياً ومعه بُنَيّ له صغير ممسك بفم قربة، وقد خاف أن تغلبه القربة؛ فصاح: يا أبت، أدرِك فاهاً، غلبني فوها، لا طاقة لي بفيها!

قولهم في الديْن

قال أعرابي: الدَّيْن ذُل بالنهار وهمٌّ بالليل.

وقال أعرابي في غرماء له يطلبونه بدَين:

جاءُوا إليَّ غِضاباً يلْغطون معاً   فقلت موعدكم دار آبن هَبَّار
وما أُواعدُهم إلاَّ لأَدْرأهُمْ   عني فيُحرِجُني نقضي وإمراري[1]
وما جلَبْت إليهم غيْر راحلةٍ   تَخْدي برحْلي وسيْفٍ جَفْنُه عاري[2]
إنّ القضاءَ سيأتي دونَه زمنٌ   فاطْوِ الصحيفةَ واحفظْها من النار

الأصمعي قال: كان لرجل من يحصُبَ على رجل من باهلة دين؛ فلما حل دينه هرب الأعرابي وأنشأ يقول:

إذا حلَّ ديْنُ اليَحْصبيِّ فقل له   تَزوّدْ بزادٍ واستعن بدليلِ
سيُصبح فوْقي أقتَم الريش واقعاً   بقالي قَلاَ أو من وراءِ دبيل[3]

قال الأصمعي: آختصم أعرابيان إلى بعض الولاة في دَين لأحدهما على صاحبه؛ فجعل المدَّعَى عليه يحلف بالطلاق والعتاق، فقال له المدعِي: دعني من هذه الأيمان وآحْلِفْ بما أقوله لك: لا ترك الله لك خفاً يتبع خفاً ولا ظلفاً يتبع ظلفاً؛ وحَتَّك من أهلك ومالك حتّ[4] الورق من الشجر، إن لم يكن لي هذا الحق قبلك! فأعطاه حقه ولم يحلف له.

الهيثم بن عدي قال: يمين لا يحلف بها أعرابي أبداً: لا أورد الله لك صادرة، ولا أصدر لك واردة، ولا حططت رحلك، ولا خلعت نعلك.

---

(١) امراري ونقضي، أي عقدي وحلّي.

(٢) الجفن: غمد السيف ونحوه.

(٣) قالي قلا ودبيل: مدينتان بأرمينية.

(٤) حتّ: سقط.

قولهم في النوادر والملح

أبو العباس وأعرابي:

الشيباني قال: خرج أبو العباس أمير المؤمنين متنزهاً بالأنبار، فأمعن في نزهته وانتبذ من أصحابه؛ فوافى خباء لأعرابي، فقال له الأعرابي: ممن الرجل؟ قال: من كنانة. قال: من أي كنانة؟ قال: من أبغض كنانة إلى كنانة. قال: فأنت إذاً من قريش! قال: نعم. قال: فمن أي قريش! قال: من أبغض قريش إلى قريش، قال: فأنت إذاً من ولد عبد المطلب! قال: نعم. قال: فمن أي ولد عبد المطلب؟ قال: من أبغض ولد عبد المطلب إلى ولد عبد المطلب. قال: فأنت إذاً أمير المؤمنين، السلام عليك يا أمير المؤمنين! ووثب إليه، فاستحسن ما رأى منه وأمر له بجائزة.

الشيباني قال: خرج الحجاج متصيداً بالمدينة، فوقف على أعرابي يرعى إبلا له، فقال له: يا أعرابي، كيف رأيت سيرة أميركم الحجاج؟ قال له الأعرابي: غشوم ظلوم! لا حيّاه الله! فقال: فلم لا شكوتموه إلى أمير المؤمنين عبد الملك؟ قال: فأظلم وأغشم! فبينا هو كذلك إذ أحاطت به الخيل، فأومأ الحجاج إلى الأعرابي، فأُخذ وحُمل؛ فلما صار معه قال: من هذا؟ قالوا له: الحجاج! فحرك دابته حتى صار بالقرب منه، ثم ناداه: يا حجاج! قال: ما تشاء يا أعرابي؟ قال: السر الذي بيني وبينك أحب أن يكون مكتوماً! قال: فضحك الحجاج وأمر بتخلية سبيله.

يوسف بن عمر ووال:

الأصمعي قال: ولّى يوسف بن عمر صاحب العراق أعرابياً على عمل له؛ فأصاب عليه خيانة فعزله، فلما قدم عليه قال له: يا عدوّ الله! أكلت مال الله! قال الأعرابي: فمالَ مَن آكل إذا لم آكل مال الله؟ لقد راودت إبليس أن يعطيني فلْساً واحداً فما فعل. فضحك منه وخلى سبيله.

ابن جعفر وأعرابية:

الشيباني قال: نزل عبد الله بن جعفر إلى خيمة أعرابية ولها دجاجة وقد دجنت عندها، فذبحتها وجاءت بها إليه فقالت: يا أبا جعفر، هذه دجاجة لي كنت أدجنها وأعلفها من قوتي! وألمسها في آناء الليل فكأنما ألمس بنتي زلَّت عن كبدي، فنذرت لله أن أدفنها في أكرم بقعة تكون، فلم أجد تلك البقعة المباركة إلا بطنك، فأردت أن أدفنها فيه. فضحك عبد الله بن جعفر وأمر لها بخمسمائة درهم.

بين أعرابي وقوم في الهلال:

ونظر أعرابي إلى قوم يلتمسون هلال شهر رمضان، فقال: والله لئن أرِيتُمُوه لتُمْسِكُنّ منه بذِناب[1] عيش أغبر.

بين الأصمعي وأعرابي في ماء:

الأصمعي قال: رأيت أعرابياً واقفاً على ركيّة[2] مِلْحة، فقلت: كيف هذا الماء يا أعرابي؟ قال: يخطىء القلب ويصيب الاست.

بينه وبين أعرابي سمين:

ونظر أعرابي إلى رجل سمين فقال: أرى عليك قطيفة[3] من نسج أضراسك.

قال: وسمعت أعرابياً يقول: اللهم إني أسألك ميتة كميتة أبي خارجة أكل بَذَجاً[4]، وشرب مُعسَّلاً، ونام في الشمس، فمات دَفآن شَبْعان رَيان.

النبي ﷺ وبعض الأعراب:

محمد بن وضاح يرفعه إلى أبي هريرة رضي الله عنه قال: دخل أعرابي المسجد والنبيُّ ﷺ جالس، فقام يصلي؛ فلما فرغ قال: اللهم ارحمني ومحمداً ولا ترحم معنا

(١) ذناب كل شيء: عقبه ومؤخره. (٢) ركيّة: البئر لم تطو.

(٣) القطيفة: كساء له أهداب. (٤) البذج: الحمل.

أحداً. فقال النبي عليه الصلاة والسلام: «لقد حَجَّرْتَ واسعاً يا أعرابي».

لبعض الأعراب:

قال: وسمعت أعرابياً وهو يقول في الطواف: اللهم اغفر لأمي. فقلت له: مالك لا تذكر أباك؟ فقال: أبي رجل يحتال لنفسه، وأما أمي فبائسة ضعيفة.

أبو حاتم عن أبي زيد قال: رأيت أعرابياً كأنّ أنفه كوز[1] من عظَمه؛ فرآنا نضحك منه؛ فقال: ما يُضحككم؟ فوالله لقد كنت في قوم ما كنت فيهم إلا أفْطس.

قال: وجيء بأعرابي إلى السلطان ومعه كتاب قد كتب فيه قصته وهو يقول: هاؤم آقرءوا كتابيَهْ. فقيل له: يقال هذا يوم القيامة. قال: هذا والله شر من يوم القيامة؛ إن يوم القيامة يؤتَى بحسناتي وسيئاتي، وأنتم جئتم بسيئاتي وتركتم حسناتي.

وقيل لأبي المِخَش الأعرابي: أيسرك أنك خليفة وأن أمَتك حرّة؟ قال: لا والله ما يسرني! قيل له: ولِمَ؟ قال: لأنها كانت تذهب الأمة وتضيع الأمّة.

اشترى أعرابي غلاماً، فقيل للبائع: هل فيه من عيب؟ قال: لا، إلا أنه يبول في الفراش. قال: هذا ليس بعيب، إن وجد فراشاً فلْيبُلْ فيه.

الحجاج وأعرابي لص:

أخذ الحجّاج أعرابياً لصاً بالمدينة فأمر بضربه؛ فلما قرعه بسوط قال: يا رب شكراً! حتى ضربه سبعمائة سوط، فلقيه أشعب، فقال له: أتدري لِمَ ضربك الحجاج سبعمائة سوط؟ قال: لماذا؟ قال: لكثرة شكرك؛ إن الله تعالى يقول: ﴿لَئِن شَكَرتمْ لأزيدنَّكم﴾[2] قال: وهذا في القرآن؟ قال: نعم. فقال الأعرابي:

يــا ربِّ لا شُكْــر فلا تَــزِدْني أَســأْتُ في شكْـري فـآعــف عني

---

(١) يقال كاثر الشيء: جمعه. (٢) سورة ابراهيم الآية ٧.

باعدْ ثوابَ الشاكرين مني

أعرابي ينشد غلاماً:

مرّ أعرابي بقوم وهو يَنشد ابناً له، فقالوا له: صفه. قال: كأنه دُنينير! قالوا: لم نره. ثم لم يلبث القوم أن أقبل الأعرابي وعلى عنقه جُعل، فقالوا: هذا الذي قلت فيه كأنه دنينير؟ فقال: القَرَنَبى في عين أمّها حسناء.

والقرنبى: دويبة من خشاش الأرض إذا مسّها أحدٌ تقبّضتْ فصارت مثل الكرة.

لبعض الأعراب في الغزو:

قيل لأعرابي: ما يمنعك أن تغزو؟ قال: والله إني لأبغض الموت على فراشي، فكيف أن أمضي إليه ركضاً.

وغزا أعرابي مع النبي ﷺ، فقيل له: ما رأيتَ مع رسول الله في غزاتك هذه؟ قال: وضع عنا نصفَ الصلاة، وأرجو في الغزاة الأخرى أن يضع النصف الباقي!

السختياني وبعض الأعراب:

جلس أعرابي إلى مجلس أيوب السّختياني، فقيل له: يا أعرابي، لعلك قَدَريّ؟ قال: وما القَدَري؟ فذُكر له محاسن قولهم؛ قال: أنا ذاك. ثم ذكر له ما يعيب الناس من قولهم؛ فقال: لست بذاك. قال: فلعلك مثبت؟ قال: وما المثبت؟ فذكر محاسنهم؛ فقال: أنا ذاك. ثم ذكر له ما يعيب الناس منهم؛ فقال: لست بذاك. قال أيوب: هكذا يفعل العاقل؛ يأخذ من كل شيء أحسنه.

جرير وأعرابي:

الأصمعي قال: سمع أعرابي جريراً ينشد:

كـاد الهوَى يـومَ سلْمانين يقْتلني وكـاد يقْتلني يـومـاً بنَعْمان[1]

---

(١) سلمانان: من قرى مرو؛ ونعمان: حصن من حصون زبيد من ناحية اليمن.

وكاد يقْتلني يوماً بذي خُشُب وكاد يقتلني يوماً بسَلْمان

فقال: هذا رجل أفلت من الموت أربع مرات! لا يموت هذا أبداً.

الشيباني قال: بلغني أن أعرابيين ظريفين من شياطين العرب حطمتهما سنة، فانحدار إلى العراق؛ فبينما هما يتماشيان في السوق ـ واسم أحدهما خندان ـ إذا فارسٌ قد أوطأ دابته رِجلَ خندان، فقطع إصبعاً من أصابعه، فتعلقا به حتى أخذا أرْش[1] الإصبع، وكانا جائعين مقرورين، فلما صار المال بأيديهما قصدا إلى بعض الكرايج[2]، فابتاعا من الطعام ما اشتهيا، فلما شبع صاحب خندان أنشأ يقول:

فلا غَرثة ما دام في الناس كُرْبجٌ وما بقيتْ في رِجْل خُنْدانَ إصبَعُ[3]

أعرابية وابنها:

وهذا شبيه قول أعرابية في ابنها، وكان لها ابن شديد العرام[4]، كثير القتال للناس، مع ضعف أسر ورقة عظم، فواثب مرة فتى من الأعراب، فقطع الفتى أنفه، فأخذت أمّه دية أنفه؛ فحسن حالها بعد فقر مدقع؛ ثم واثب آخر، فقطع أذنه؛ ثم أخذت دية أذنه فزادت في المال وحُسن الحال؛ ثم واثب آخر فقطع شفته؛ ثم أخذت دية شفته؛ فلما رأت ما صار عندها من الإبل والبقر والغنم والمتاع بجوارح ابنها، ذكرته في أرجوزة لها تقول فيها:

أَحلِفُ بالمَرْوةِ حقّاً والصَّفا أنكَ خيرٌ من تَفاريق العصا

فقلت لأعرابي: ما تفاريق العصا؟ قال: العصا تُقطع ساجورا، ثم يقطع الساجور أوتاداً، ثم تقطع الأوتاد أشظّة.

لبعض الأعراب في الحج:

الأصمعي قال: خرج أعرابي إلى الحج مع أصحاب له، فلما كان ببعض الطريق

---

(١) الأرش: الدية. (٢) الكرايج: الحوانيت.
(٣) غرَثه: جوعه؛ والغرثة: الجوع. (٤) العرام: الشراسة.

راجعاً يريد أهله، لقيه ابن عم له، فسأله عن أهله ومنزله، فقال: آعلم أنك لما خرجت وكانت لك ثلاثة أيام، وقع في بيتك الحريق. فرفع الأعرابي يديه إلى السماء، وقال: ما أحسن هذا يا رب! تأمرنا بعمارة بيتك أنت وتُخرب بيوتنا.

وخرجت أعرابية إلى الحج، فلما كانت ببعض الطريق عَطِبَت راحلتها، فرفعت يديها إلى السماء وقالت: يا رب، أخرجتني من بيتي إلى بيتك، فلا بيتي ولا بيتك!

الأصمعي قال: عُرِضت السجون بعد هلاك الحجاج، فوجدوا فيها ثلاثة وثلاثين ألفاً لم يَجب على واحد منهم قتل ولا صلب؛ وفيهم أعرابي أُخذ يبول في أصل سور مدينة واسط؛ فكان فيمن أُطلق؛ فأنشأ يقول:

إذا ما خرجْنا من مدينة واسِطٍ ... خَرِينا وبُلْنا لا نَخاف عِقابا

لأعرابي في الأولاد:

ذُكر عند أعرابي الأولاد والانتفاع بهم؛ فقال: زوِّجوني امرأة أولدها ولداً أعلمه الفروسية حتى يُجري الرهان؛ والنزعَ عن القوس حتى يصيب الحدَق، وروايةَ الشعر حتى يُفحم الفحول. فزوَّجوه امرأة فولدت له ابنة، فقال فيها:

قد كنتُ أرجو أن تكون ذكَراً ... فشقَّها الرَّحمٰن شقّاً منكَرا
شقّاً أبَى الله له أن يُجبَرا ... مِثل الذي لأمّها أو أكْبرا

ثم حملت حملاً آخر، فدخل عليها وهي في الطلق ـ وكانت تسمى ربابا ـ فقال:

أيَا رَبابي طرِّقي بخيرِ ... وطرِّقي بخُصيْةٍ وأيْرِ[1]
ولا تُرينا طرَف البُظيْر

ثم ولدت له أُخرى، فهجر فراشها وكان يأتي جارة لها، فقالت فيه ـ وكان يكنى أبا حمزة ـ:

ما لأبي حمزةَ لا يأتينا ... يظلُّ في البيت الذي يَلينا

(١) طرّقي، أي ألقي.

غضبـــانَ أن لا نلـــدَ البَنينـــا وإنما نـأْخـــذ مــا أعطينـــا!

فألانه قولها ورجع إليها.

لأعرابي يدعو:

وقال سعيد بن أبي الفَرَج: سمعت أعرابياً يطوف بالبيت وهو يقول:

لا هُـمَّ ربَّ النـــاس حين لبَّبـــوا وحين راحوا من منًى وحصَّبـوا[١]
لا سُقيـــتْ عَبْثَـــب وغُلْـــبُ والمُستَـزار لا سَقـاه الكـوكـــبُ

فقلت: يا أعرابي، ما لهذه المواضع تدعو عليها في هذا الموضع؟ فنظر إليّ كالغضبان فقال:

من أجل حماهن ماتت زينب

قولهم في التلصص

أبو حاتم قال: أنشدنا أبو زيد الأعرابي، وكان لصاً:

ثلاث خِلال لستُ عنهـنّ تـائبـاً وإن لا مَنـى فيهـن كـلّ خليـــلِ
فمنهـــن أني لا أزال مُعـــانِقـــاً حَمائل مـاضي الشَّفـرتيْـن صَقيـل
به كنت أَستعدِي وأُعْدي صحـابتي إذا صرَخ الزحْفـان بــاسم قتيـــل
ومنهنّ سُوق النهْبِ في ليلة الدّجـى يَحـار بها في الليـل كـــل دليـــل
ومنهن تَجـريـد الكَعـاب ثيـابَهـا وقد مال جُنح الليـل كـلَّ مَميـل

وهذا المعنى سبقه إليه الأول:

فلولا ثلاثٌ هـنّ مـن عِيشـة الفتى وجَدِّك لم أَحفِل متى قـام رامِسُ[٢]
فمنهــن سبْـق العـاذِلات بشَـرْبـةٍ كأنّ أخاها مطلَعَ الشمسِ نـاعس

(١) لببّوا، أي لبوا. (٢) متى قام رامس، أي حين أدفن.

ومنهن تقْريط الجَواد عِنانَه   إذا ابتدَر الشخصَ الصفي الفوارس[1]
ومنهنّ تَجريد الكواعب كالدُّمَى   إذا ابتُزَّ عن أكفالِهنّ الملابس[2]

وأول من قال هذا المعنى طَرَفة حيث يقول:

فلولا ثلاثٌ هنّ من عِيشة الفتى   وجَدِّكَ لم أحفِل متى قام عُوَّدِي
فمنهن سَبْقي العاذِلات بشَرْبَةٍ   كُميْتٍ متى ما تُعْلَ بالماءِ تُزبِد
وكَرِّي إذا نادَى المُضافُ مُحَنَّبا   كسِيدِ الغَضا نبَّهْتَهُ المُتوردِ[3]
وتقصيرُ يوم الدجن والدّجْنُ مُعجِبٌ   ببَهْكَنَةٍ تحت الخِباء المُعَمَّدِ[4]

قولهم في الطعام

شيخ وحدث:

الأصمعي قال: اصطحب شيخٌ وحدَث في سفر، وكان لهما قرص في كل يوم، وكان الشيخ منخلع الأضراس بطيء الأكل، وكان الحدث يطيش[5] بالقرص ثم يجلس يشتكي العشق، ويتضوّر الشيخ جوعاً، وكان يسمى الحدثُ جعْفَراً، فقال الشيخ:

لقد رابني مِن جعفَر أنْ جعْفَراً   يطيشُ بقُرْصِي ثم يبكِي على جُمْل
فقلتُ له لو مَسَّكَ الحبُّ لم تبتْ   بَطيناً ونسَّاك الهوَى شَرَهَ الأكْل

الأصمعي قال: أنشدني أعرابي لنفسه:

ألا ليتَ لِي خُبْزاً تسرْبَل رائِباً   وخيْلاً مِنَ البَرْنِيِّ فُرْسانها الزُّبدُ[6]
فأَطلُب فيما بيْنَهُنَّ شهادةً   بموْتِ كريم لا يُعدُّ له لَحْد

---

(١) تقريط الجواد عنانه، أي جعل العنان له كالقرط.

(٢) الكواعب: مفردها كاعب، وهي الفتاة وقد نهد ثديها.

(٣) المحنب من الخيل: المعطف العظام.

(٤) البهكنة: الجارية الخفيفة الروح الطيبة الرائحة.

(٥) بطيش: شديد البطش. (٦) البرني: ضرب من التمر.

لأعرابي في ثريدة:

الشيباني عن أبيه قال: قال أعرابي: كنت أشتهي ثريدة دكناء من الفلفل، رقطاء من الحمص، ذات حِفافين من اللحم، لها جناحان من العُراق[1]، أضرب فيها كما يضرب وليُّ السوءِ في مال اليتيم!

بين أعرابيين:

وقال رجل لأعرابي: ما يسرني لو بتَّ ضيفاً لك! فقال له الأعرابي: لو بتَّ ضيفاً لي لأصبحت أبطنَ من أُمك قبل أن تلدَك بساعة.

أعرابي على مائدة سليمان:

حضر أعرابي سفرة سليمان بن عبد الملك، فجعل يمرّ إلى ما بين يديه، فقال له الحاجب: مما يليك فكُلْ يا أعرابي. فقال: مَن أجدبَ انتجع. فشق ذلك على سليمان، وقال للحاجب: إذا خرج عنا فلا يعُد إلينا. وشهد بعد هذا سُفْرَتَه أعرابي آخر، فمر إلى ما بين يديه أيضاً، فقال له الحاجب: مما يليك فكُل يا أعرابي. قال: مَن أخصب تخيّر. فأعجب ذلك سليمان، فقرّبه وأكرمه وقضى حوائجه.

أعرابي وقوم من الكتبة:

مر أعرابي بقوم من الكتبة في متنزه لهم وهم يأكلون، فسلم ثم وضع يده يأكل معهم، فقالوا: أعَرَفت فينا أحداً؟ قال: بلى، عرفت هذا! وأشار إلى الطعام، فقال بعض الكتاب يصف أكله:

لم أَرَ مِثْـل شـرْطِـه ومطِّـهِ[2]

قـال الثـاني: وأكْلـهُ دجـاجَـهُ ببطِّـه

قال الثـالـث: ولفِّـهِ رُقـاقـهُ بـإقْطِـهِ[3]

---

(١) العراق: العظام اذا لم يكن عليها شيء من اللحم.

(٢) ثرط: سلح سلحاً رقيقاً، واكثر ما يقال للإبل والبقر والفيلة.

(٣) الإقط: شيء يتخذ من اللبن المخيض يطبخ ثم يترك حتى تمصل.

قــال الرابــع: كــأنّ جــالينــوسَ تحت إبطِــهِ

فقالوا للرابع: أما الذي وصفنا من فعله فمفهوم؛ فما يصنع جالينوس من تحت إبطه؟ قال: يلقمه الجوارش كلما خاف عليه التخمة، يهضم بها طعامه!

مديني وأعرابي:

وقال رجل من أهل المدينة لأعرابي: ما تأكلون وما تعافون؟ قال له الأعرابي: نأكل كل ما دب وهب، إلا أم حُبيْن[1]. قال المدني: ليَهْنِيءْ أمَّ حُبين العافية.

أعرابي وولده:

قال رجل من الأعراب لولده: اشتروا لي لحماً. فاشتروا وطبخوا له حتى تهرَّأ، فأكل منه حتى انتهى، ولم يبق إلا عظمه؛ وشرعتْ إليه عيون ولده، فقال: ما أنا مطعِمه أحداً منكم إلا من أحسنَ أكله. فقال له الأكبر: ألُوكه يا أبت حتى لا أدع فيه للذرّة مقيلا. قال: لست بصاحبه. قال الآخر: ألوكه حتى لا يدري ألعامه هو أو لعام أوّل؟ قال: لست بصاحبه. قال له الأصغر: أدقُّه يا أبت وأجعل إدامه المخ. قال: أنت صاحبه، هو لك.

لعذري في حضر المسلمين:

بلغني عن محمد بن يزيد بن معاوية، أنه كان نازلاً بحلب على الهيثم بن عدي، فبعث إلى ضيف له من عذرة أعرابيّ، فقال له: حدِّث أبا عبد الله بما رأيت في حضر المسلمين من الأعاجيب. قال: نعم، رأيت أُموراً معجبة. منها أنني دخلت قرية بكر بن عاصم الهلالي، وإذا أنا بِدور متباينة، وإذا خِصاص[2] بيضٌ بعضها إلى بعض، وإذا بها ناس كثير مقبلون ومدبرون، وعليهم ثياب حَكَوْا بها أنواع الزهر؛

---

(١) أم حبين: دويبة على خلقة الحرباء عريضة الصدر عظيمة البطن.

(٢) الخصاص: جمع خُص، وهو بيت من شجر وقصب.

فقلت لنفسي: هذا أحد العيدين: الفطر أو الأضحى. ثم رجع إليَّ ما عزب من عقلي، فقلت: خرجت من أهلي في عقب صفَر وقد مضى العيدان قبل ذلك! فبينا أنا واقف أتعجب إذا أتاني رجل فأخذ بيدي فأدخلني بيتاً قد نُجِّدَ، وفي وجهه فرُشٌ ممهدة، وعليها شاب ينال فرعُ شعره كتفيه، والناس حوله سماطين[1]، فقلت في نفسي: هذا الأمير الذي يُحكي لنا جلوسُه وجلوس الناس حوله. فقلت وأنا ماثل بين يديه: السلام عليك أيها الأمير ورحمة الله! قال: فجذب رجل بيدي وقال: ليس بالأمير، آجلس. قلت فمن هو؟ قال: عروس. قلت: واثكل أمَّاه! لرُبَّ عروسٍ بالبادية قد رأيته أهون على أصحابه من هَنِ أمه! فلم ألبث أن أُدخلت الرجالُ عليها هَناتُ مدوّرات من خشب، أما ما خف منها فيُحمل حملاً، وأما ما ثقل فيُدحرج؛ فوضعت أما منا وتَحلَّقَ القوم عليها حلَقاً، ثم أُتينا بخِرق بيض فألقيت عليها؛ فهممت واللهِ أن أسأل القوم خِرقة منها أرقع بها قميصي، وذلك أني رأيت لها نسجاً متلاحماً لايتبين له سدى ولا لُحمة؛ فلما بسط القوم أيديهم، إذا هو يتمزق سريعاً، وإذا صنف من الخبز لا أعرفه؛ ثم أُتينا بطعام كثير من حُلْو وحامض، وحارٍّ وبارد، فأكثرت منه وأنا لا أعلم ما في عقبه من التخم والبَشم[2]؛ ثم أتينا بشراب أحمر في عِساس[3] بيض؛ فلما نظرت إليه قلت: لا حاجة لي به؛ لأني أخاف أن يقتلني! وكان إلى جانبي رجل ناصحٌ لي ـ أحسن الله عني جزاءه!ـ كان ينصحني بين أهل المجلس؛ فقال لي: يا أعرابي، إنك قد أكثرت من الطعام فإن شربت الماء هَمَى[4] بطنك. فلما ذكر البطن، ذكرت شيئاً أوصاني به الأشياخ، قالوا: لا تزال حياً ما دام بطنك شديداً، فإذا اختلفت فأوص. فلم أزل أتداوى بذلك الشراب ولا أملُّه، حتى داخلني به صلف لا أعرفه من نفسي ولا عهد لي به، واقتدار على أمري؛ وكان إلى جانبي الرجل الناصح لي؛ فجعلت نفسي تحدثني بهتْم أسنانه مرة، وهشم أنفه أخرى؛ وأهم أحياناً أن أقول له: يا ابن الزانية! فبينا نحن كذلك، إذ هجم علينا شياطين أربعة:

(١) سماطين: مثنى سماط، وهو الصفّ. (٢) بشم: أتخم حتى سئم.
(٣) العساس: جمع عس، وهو القدح الضخم. (٤) همى: سال.

أحدهم قد علق جعبة فارسية منتفخة الطرفين قد شبكت بالخيوط، وقد ألبست قطعة فرو، كأنهم يخافون عليها القر؛ ثم بدا الثاني فاستخرج من كمه هنة كفيشلة الحمار، فوضع طرفها في فيه فضرط فيها، ثم حَسَب على جِحَرة فاستخرج منها صوتاً مُشاكلاً بعضه بعضاً؛ ثم بدا الثالث وعليه قميص وسخ، وقد غرق رأسه بالدهن معه مِرْآتان، فجعل يَمري إحداهما على الأخرى؛ ثم بدأ الرابع عليه قميص قصير وسراويل قصيرة، فجعل يقفز صلبه، ويهز كتفيه، ثم التبط بالأرض، فقلت: معتوهٌ وربِّ الكعبة. ثم ما برح مكانه حتى كان أغبط القوم عندي. ثم أرسلت إلينا النساء أن أمتِعونا من لهوكم. فبعثوا بهم إليهن، وبقيت الأصوات تدور في آذاننا؛ وكان معنا في البيت شاب لا آبَه له، فعلَتِ الأصوات له بالدعاء، فخرج فجاء بخشبة في يده، عينها في صدرها، فيها خيوط أربعة، فاستخرج من جوانبها عوداً فوضعه على أذنه، ثم زمّ الخيوط الظاهرة، فلما أحكمها عرك أذنها فنطق فوها، فإذا هي أحسنُ قينة رأيتها قط [وغنَّى عليها] فاستخفَّني حتى قمت من مجلسي فجلست إليه فقلت: بأبي أنت وأمي، ما هذه الدابة؟ قال: يا أعرابي، هذا البَرْبط[1]. قلت: فما هذه الخيوط؟ قال: أما الأسفل فزير، والذي يليه مثْنى، والذي يليه مَثلث. والذي يليه بَمّ. فقلت: آمنت بالله.

لأعرابي في تمر:

وقال أعرابي. تمرنا خُنسٌ فطْس، يغيب فيهن الضرس، كأن فاها ألسن الطير، تقع التمرة منها في فيك، فتجد حلاوتها في كعبك.

أعرابي على سفرة سليمان:

وحضر أعرابي سفرة سليمان بن عبد الملك، فلما أُتي بالفالوذج[2] جعل يسرع فيه، فقال سليمان: أتدري ما تأكل يا أعرابي؟ فقال: بلى يا أمير المؤمنين، إني لأجد ريقاً

---

(١) البربط: العود. (٢) الفالوذج: حلواء تعمل من الدقيق والماء والعسل.

هنيئاً، ومزدَرَداً ليناً، وأظنه الصراط المستقيم الذي ذكره الله في كتابه! قال: فضحك سليمان وقال: أزيدك منه يا أعرابي، فإنهم يذكرون أنه يزيد في الدماغ، قال: كذبوك يا أمير المؤمنين لو كان كذلك لكان رأسك مثل رأس البغل.

لأعرابي غير صائم:

قال: ومررت بأعرابي يأكل في رمضان، فقلت له: ألا تصوم يا أعرابي؟ فقال:

وصائِمٍ هـبَّ يلْحـاني فقلـتُ لـه　　آعمِدْ لِصَومكَ وآترُكني وإفطـاري
وآظمَا فإني سأرْوى ثم سوف تَـرى　　مـن ذا يَصيرُ إذا مِتنـا إلى النَّـار

لأعرابي على سفرة سليمان أيضاً:

وحضر سفرةَ سليمان أعرابي، فنظر إلى شعرة في لقمة الأعرابي؛ فقال: أرى شعرة في لقمتك يا أعرابي! قال: وإنك لتُراعيني مراعاةَ من يُبصر الشعرة في لقمتي؟ والله لا واكلتك أبداً! فقال: استرها يا أعرابي، فإنها زلة ولا أعود إلى مثلها.

أخبار أبي مهدية الأعرابي

أبو عثمان المازني قال: قال أبو مَهدية: بلغني أن الأعراب والأعزاب هجاهما واحد. قلت: نعم. قال: فاقرأ: «الأعْزابُ أشدُّ كفْراً ونفاقاً» ولا تقرأ: الأعراب. ولا يغرّك العَزَبُ وإن صام وصلى.

وتوفي بُنَيٌّ لأبي مهدية صغير، فقيل له: أبشر أبا مهدية؛ فإنا نرجو أن يكون شفيع صدق يوم القيامة! قال: لا وكُلَنا الله إلى شفاعته، إذاً والله يكون أعياناً لساناً وأضعَفَنا حجة؛ ليته المسكين كفانا نفسه!

وقيل لأبي مهدية: أكنتم تتوضؤن بالبادية؟ قال: نعم والله؛ لقد كنا نتوضأ فتكفي التوضئة الواحدة الرجل منا الثلاثة الأيام والأربعة، حتى دخلت علينا هذه

الحمر ـ يعني الموالي ـ فجعلت تليق أستاهَها كما تلاق الدواة[١] .

وقيل لأبي مهدية: أتقرأ من كتاب الله شيئاً؟ قال: نعم. ثم افتتح يقرأ: ﴿والضُّحَى واللَّيْل إذا سَجَى﴾[٢] حتى انتهى إلى ﴿ووجَدَكَ ضالاً فَهَدى﴾[٣] فالتفت إلى صاحب له فقال: إن هؤلاء العلوج[٤] يقولون: ووجدك ضالاً فهدى. والله لا أقولها أبداً.

ولما سن أبو مهدية ولِيَ جانباً من اليمامة، وكان به قوم من اليهود أهل عطاء وجدة، فأرسل إليهم فقال: ما عندكم من المسيح؟ قالوا: قتلناه وصلبناه! قال: فهل غرمتم دِيته؟ قالوا: لا. قال: إذاً والله لا تبرحوا حتى تغرموا ديته! فأَرْضَوه حتى كف عنهم.

وقيل لأبي مهدية: ما أصبركم معشر الأعراب على البدو؛ قال: كيف لا يصبر على البدو مَن طعامُه الشمس وشرابه الريح!؟

ونظر أبو مهدية إلى رجل يستنجي ويكثر من الماء، فقال له: إلى كم تغسلها ويحك! أتريد أن تشرب فيها سويقا!

ومات طفل لأبي مهدية، فقيل له: اصبر يا أبا مهدية؛ فإنه فرط افترطتَه[٥]، وخير قدمته، وذخر أحرزته. فقال: بل ولدٌ دفَنْتُه، وثكلٌ تعجلته؛ والله لئن لم أجزع للنقص، لا أفرحُ للمزيد.

قال أبو عبيدة: سمع أبو مهدية رجلاً يقول بالفارسية: زود زود. فقال: ما يقول هذا؟ فقيل له يقول: عجل عجل. فقال: أفلا يقول: حيهلا.

---

(١) ألاق الدواة: أصلح مدادها. (٢) سورة الضحى الآية ١ و ٢.

(٣) سورة الضحى الآية ٧. (٤) العلوج: جمع علج، وهو كل جاف شديد من الرجال.

(٥) الفرط: الولد لم يبلغ الحلم؛ وافتراطه: فقده.

خبر أبي الزهراء

المعلي بن المثني الشيباني قال: حدثنا سويد بن منجوف قال: أقبل أعرابي من بني تميم حتى دخل الكوفة من ناحية جبانة السبيع، تحته أتان[1] له تخب، وعليها ذلاذل[2] وأطمار من سَحْق صوف، قد اعتم بما يشبه ذلك؛ من أشْوه الناس منظراً وأقبحهم شكلاً؛ وهو يهدر كما يهدر البعير وهو يقول ألاسَبَد، ألا لَبَد[3] ألا مُؤْو ألا مُقْرٍ، ألا سعديّ ألا يَربُوعيّ، ألا دَارميّ! هيهات هيهات! وما يُغني أصل حوض الماء صاديا مُعَنى! قال سويد: فدخل علينا في درب الكناسة فلم يجد منفذاً وقد تبعه صبيان كثير وسواد من سواد الحي، قال: فسمعت سوادياً يقول له: يا عماه، يا إبليس! متى أُذِنَ لك بالظهور؟ فالتفت إليهم، فقال منذ سروا آباءكم وفشُّوا أمهاتِكم! قال: وكان معنا أبو حماد الخياط، وكان من أطلب الناس لكلام الأعراب وأصبرهم على الإنفاق على أعرابي، فدخل علينا وكان مع ذلك مولى بني تميم. فأتيته فأخبرته؛ فخرج مبادراً كأني قد أفدته فائدة عظيمة؛ وقد نزل الأعرابي عن الأتان واستند إلى بعض الحيطان وأخذ قوسه بيده؛ فتارة يشير بها إلى الصبيان، وتارة يذبُّ الشذا عن الأتان ـ وهو يقول لأتانه:

قد كنتِ بالأمْعَز في خِصبٍ خصِبْ ... ما شئتِ من حَمْضٍ وماءٍ مُنْسكِبْ[4]
فربُّكِ اليومَ ذليلٌ قد نُصب ... يَرى وجوهاً حوله ما ترتقب
ولا عليها نُور إشرافِ الحسَبْ ... كأنها الزّنْجُ وعُبدَانُ العرب
إلى عجيل كالرعيل والسربْ ... ولو أمِنْتُ اليوم من هذا اللَّجَبْ[5]
رميتُ أفواقاً قويمَات النُّصُبْ ... الرِّيش أولاها وأُخْراها العقب

قال: فلم يزل أبو حماد يلطفه ويتلطف به ويبجله، إلى أن أدخله منزله؛ فمهد له

---

(١) الأتان: أنثى الحمار.
(٢) ذلاذل: أسافل القميص الطويل إذا أخلق.
(٣) السبد: من الشعر؛ واللبد: من الصوف.
(٤) الأمعز: الأرض الحزنة الغليظة.
(٥) الرّعل: البهمة. والسرب: الذاهب في الأرض على وجهه.

وحطه عن أتانه، ودعا بالعلف؛ فجعل الأعرابي يقول: أين الليف والنَّئيف[1] والوساد والنجاد؟ يعني بالليف: الحصير؛ وبالنئيف عشبة عندهم يقال لها البُهْمَى[2] والوساد: جلد عنز يسلخ ولا يشق ويحشى وبراً وشعراً ويُتَّكأ عليه؛ والنجاد: مسح شعر يستظل تحته. قال: فلما نزع القتب عن الأتان إذا ظهْرها قد دَبر حتى أضرَّت بنا رائحته: فجعل الأعرابي يتنهد ويقول:

إنْ تُنْحَضِي أو تُدبَري أو تُزجَري ... فذاك من دُءُوبِ ليلٍ مسهِرِ[3]

أنا أبو الزهراءِ من آلِ السَّرِي ... مُشَمِّخ الأنفِ كريمِ العُنْصِرِ

إذا أتيْت خُطَّةً لم أُقسَرِ[4]

وكان يسمى الأعرابي صلتان بن عوسجة من بني سعد بن دارم، ويكنى بأبي الزهراء، وما رأيت أعرابياً أعجب منه؛ كان أكثر كلامه شعراً؛ وأمثل أعرابي سمعته كلاماً؛ إلا أنه ربما جاء باللفظة بعد الأخرى لانفهمها؛ وكان من أضجر الناس وأسوئهم خُلقاً، وإذا نحن سألناه عن الشيء قال: ردّوا عليَّ القوس والأتان! يظن أنا نتلاعب به، وكنا نجتمع معه في مجلس أبي حماد، وما منا إلا من يأتيه بما يشتهيه، فلا يعجبه ذلك؛ حتى أتيناه يوماً بخرْبز[5]، وكانت أمامه، فلما أبصرها تأملها طويلاً وجعل يقول:

بُدِّلْت والدهرُ قديماً بَدَّلا ... من قيْض بيضِ القَفْر فقْعاً حَنظَلا[6]

أخبثُ ما تُنبت أرض مأْكلاً

فكنا نقول له: يا أبا الزهراء، إنه ليس بحنظل، ولكنه طعام هنيء مريء، ونحن نبدؤك فيه إن شئت. قال: فخذوا منه حتى أرى! فبدأنا نأكل وهو ينظر لا

---

(١) النئيف: المأكول.

(٢) البهمى: نبت تجد به الغنم وجداً شديداً ما دام أخضر فاذا يبس هر شوكه.

(٣) النحض: ذهاب اللحم. والزحر إخراج الصوت أو التنفس بأنين عند عمل أو شدة.

(٤) أقسر: أغلب وأقهر. (٥) الخربز: البطيخ.

(٦) القيض: قشرة البيضة العليا. والفقع الرخو من الكمأة.

يطرف، فلما رأى ذلك بسط يده فأخذ واحدة، فنزع أعلاها وقوّر أسفلها، فقلنا له: ما تريد أن تصنع يا أبا الزهراء؟ فقال: إن كان السم يا ابن أخي ففيما ترون! فلما طَعِمَه استخفَّه واستعذَبه واستحلاه، فلم يكن يؤثر عليه شيئاً، وما كنا نأتيه بعد بغيره، وجعل في خلال ذلك يقول:

هـــذا طعـــامٌ طيِّـــبٌ يلينُ   في الجوفِ والحلْقِ له سُكـونُ
الشَّهْدُ والزبد بِهِ مَعْجون

فلما كان إلى أيام، قلت له: يا أبا الزهراء، هل لك في الحمام؟ قال: وما الحمام يا ابن أخي؟ قلنا له: دار فيها أبيات: حارّ، وفاتر، وبارد؛ تكون في أيها شئت يذهب عنك قشف السفر ويسقط عنك هذا الشعر. قال: فلم نزل به حتى أجابنا، فأتينا به الحمام، وأمرنا صاحب الحمام أن لا يُدخل علينا أحداً، فدخل وهو خائف مترقب، لا ينزع يده من يد أحدنا، حتى صار في داخل الحمام، فأمرنا من طلاه بالنُّورة[1]، وكان جلده أشعر كجلد عنز، فقلق ونازع للخروج، وبدأ شعره يسقط؛ فقلنا أحين طاب الحمام وبدأ شعرك يسقط تخرج؟ قال: يا بن أخي، وهل بقي إلا أن أنسلخ كما ينسلخ الأديم في احتدام القيظ! وجعل يقول:

وهـل يطيـبُ الموتُ يـا إخـواني   هـل لكـم في القـوس والأتـان
خـــذوهما مِنِّـــي بلا أثمان   وخلّصـوا المُهجـةَ يـا صبيـان
فـاليـوم لـو أبصرَنـي جيراني   عُرْيان بـل أعـرى مـن العـرْيـان
قـد سَقَـط الشَّعـرُ مـن الجثمان   حُسبْـت في المنظَـرِ كـالشَّيطـان!

قال: ثم خرج مبادراً، واتبعه أحداثٌ لنا، لولاهم لخرج بحاله تلك ما يستره شيء؛ ولحقناه في وسط البيوت، فأتيناه بماء بارد، فشرب وصب على رأسه، فارتاح واستراح، وأنشأ يقول:

الحمـد لِلمُستحمـدِ القهّـار   أنقَـذَني مـن حـرّ بيـتِ النـارِ

---

(١) النورة: حجر يحرق ويسوى منه الكلس ويحلق به الشعر.

إلى ظليلٍ ساكنِ الأوار[1] من بعد ما أيقنتُ بالدَّمار

قال: فدعونا له بكسوة غير كسوته فألبسناه، وأتينا به مجلس أبي حماد؛ وكان أبو حماد يبيع الحنطة والتمر وجميع الحبوب؛ وكان يجاوره قوم يبيعون أنبذة التمر وكان أبو الحسن التمّار ماهراً؛ فإذا خضنا في النحو وذكرنا الرؤاسي والكسائي وأبا زيد، جعل ينظر، يفقه الكلام ولا يفهم التأويل؛ فقلنا له: ما تقول يا أبا الزهراء؟ فقال: يا ابن أخي، إن كلامكم هذا لا يسد عوزاً مما تتعلمونه له. فقال أبو الحسن: إن بهذا تعرف العرب صوابَها من خطئها. فقال له: ثَكِلْتَ وأثْكَلت! وهل تخطيء العرب؟ قال: بلى. قال: على أولئك لعنة الله وعلى الذين أعتقوا مثلك! قال سويد: وكنت أحدثَهُم سناً (قال) فقلت: جُعِلْتُ فداك، وأنا رجل من بني شيبان وربيعة؛ ما تعلم أنّا على مثل الذي أنت عليه من الإنكار عليهم؛ فقال فيهم:

يُسائلُني بيّاعُ تَمرٍ وجرْدَقٍ ومازجُ أبوالٍ له في إنائهِ[2]
عن الرَّفعِ بعد الخفْض، لا زال خافضاً ونصبٌ وجزْمٌ صِيغ من سُوءِ رائه
فقلت له هذا كلامٌ جهلْته وذو الجهلِ يَروي الجهلَ عن نظرائه
فقال بهذا يُعرف النحوُ كلّه يرى أنني في العُجْم من نُظرائه
فأمّا تَميمٌ أو سُليمٌ وعامر ومَن حلَّ غمْرَ الضّالِّ أو في إزائه
ففيهم وعنهم يُؤثر العِلم كلّه ودَع عنك من لا يهتدي لِخَطائه
فَمنْ ذا الرُّؤاسِيُّ الذي تذكُرونه ومن ذا الكِسائي سالحٌ في كِسائه
ومن ثالثٌ لم أسمعِ الدهرَ باسْمِه يُسمُّونه من لؤمه سِيبوائه
فكيف يُخِلُّ القوْل من كان أهله ويُهدَى له من ليس من أوليائه
فلستُ لبيّاعِ التّميْرات مُغْضِياً على الضَّيْم إن واقفت بعد عشائه

ولقد قلنا له: يا أبا الزهراء، هل قرأت من كتاب الله شيئاً؟ قال: إي وأبيك: آيات مفصلات أُردِّدهن في الصلوات، آباء وأمهات، وعمات وخالات ثم أنشأ يقول:

---

(١) الأوار: الحرّ. (٢) الجردق: الرغيف.

قــرأت قــول الله في الكتــاب ... ما أنزَل الرَّحمنُ في الأحــزابِ
لعُظْـم مـا فيهـا مـن الثّـواب ... الكفـرُ والغلْظـة في الأعـرابِ
وأنا فـآعلمْ مـن ذوي الألبـاب ... أُومـــنُ بـــالله بلا آرتيـــاب
في عرْشِهِ المستـور بـالحجـاب ... والموْت والبعْـث وبـالحســـاب
وجنَّـــةٍ فيهـــا مـــن الثيـــاب ... ما ليس بـالبَصْرة في حسـاب
وجـاحِـمٍ يلْفـحُ بـــالتِهـــاب ... أوْجُهَ أهلِ الكفرِ والسِّبـاب[١]
ودفْعِ رحْلِ الطارقِ المُنتـاب ... في ليْلـــةٍ ســــاكتـــةِ الكلاب

ولما أحضرناه ذات يوم جنازة، فقلنا له: يا أبا الزهراء، كيف رأيت الكوفة؟ قال: يا ابن أخي، حضرا حاضرا؛ ومحلاً آهلاً؛ أنكرتُ من أفعالكم الأكيال والأوزان، وشكل النسوان. ثم نظر إلى الجبانة فقال: ما هذا التلال يا ابن أخي؟ قلت له: أجداث الموتي، فقال: أماتوا أم قتلوا؟ فقلت: قد ماتوا بآجالهم ميتات مختلفات. قال: فماذا ننتظر نحن يا ابن أخي؟ قلت: مثل الذي صاروا إليه: فاستعبر وبكى؛ وجعل يقول:

يا لَهْفَ نفْسي أن أموت في بلـدْ ... قد غاب عني الآهْل فيه والولـدْ
وكلَّ ذي رحْمٍ شفيقٍ مُعْتقَـدْ ... يكون ما كنتُ سقيما كالـرمِـدْ
يا ربِّ يا ذا العرش وفِّقْ للرّشَدْ ... ويسِّر الخيْر لشيْخٍ مُخْتضـدْ[٢]

ثم لم يلبث إلا يسيرا حتى أخذته الحمى والبرسام[٣]؛ فكنا لا نبارحه عائدين متفقدين؛ فبينا نحن عنده ذات يوم وقد اشتد كربه وأيقن بالموت، جعل يقول:

أبلـغْ بنـاتي اليـوْم بـالصّـوى ... قد كنّ يأمُلْن إيابي بـالغِنـى[٤]
وقـد تمنَّيْــن ومـا يُغْني المُنـــى ... بأنّ نفْسي وردت حوْض الرَّدى
يا ربِّ يا ذا العـرش في أعلا السَّما ... إليك قَدّمت صيــامـي في الظَّما

---

(١) الجاحم: الجمر الشديد الاشتعال. (٢) مختضد: عاجز.
(٣) البرسام: التهاب في الغشاء المحيط بالرئة.
(٤) الصُّوى: مفردها: الصُّوة: وهي ما غلظ وارتفع من الأرض. وقد تكون موضعاً.

ومن صلاتي في صباحٍ ومَسا   فعُدْ على شيخٍ كبيرٍ ذي آنحنا
يكفيه ما لاقاهُ في الدُّنيا كفى

قلنا له: يا أبا الزهراء، ما تأمرنا في القوس والأتان، وفيما قسم الله لك عندنا من رزق؟ فقال: يا ابن أخي، أما ما قسم الله لي عندكم فمردودٌ إليكم، وأما القوس والأتان فبيعوهما وتصدقوا بثمنهما في فقراء صَلِبة[1] بني تميم، وما بقي في مواليهم. ثم جعل يقول: اللهم اسمع دعاء عبدك إليك، وتضرعه بين يديك، واعرف له حق إيمانه بك، وتصديقه برسلك، صليت عليهم وسلمت؛ اللهم إني جان مقترف وهائب معترف، لا أدعي براءة، ولا أرجو نجاة إلا برحمتك إياي، وتجاوُزك عني؛ اللهم إنك كتبت على الدنيا التعب والنصب، وكان في قضائك، وسابق علمك قبْضُ روحي في غير أهلي وولدي، اللهم فبدل لي التعب والنصب رَوحاً وريحاناً وجنة نعيم؛ إنك مفضل كريم. ثم صار يتكلم بما لا نفقهه ولا نفهمه حتى مات، رحمه الله؛ فما سمعت دعاءً أبلغ من دعائه، ولا شهدت جنازة أكثر باكياً وداعياً من جنازته؛ رحمه الله.

وقال أعرابي يصف كساء:

مَن كان ذا بتّ فهذا بَتّي   مُقيِّظٌ مُصيِّفٌ مُشتّي[2]
نسَجْتُه من نَعجاتٍ سِت

وقال أعرابي:

قالت سُلْيمى: ليْت لي بَعْلاً بمَنْ   يَغسل رأسي ويُسَلِّيني الحزن[3]
وحاجةٍ ليس لها عندي ثمنْ   مشهورةٍ قضاؤُها منه وهَنْ[4]
قلن جواري الحيِّ: يا سَلْمى وإن   كان فقيراً مُعْدِماً؟ قالت وإنْ!

وقال أعرابي:

جاريتان حلَفتْ أُمّاهُما   أنْ ليس مَغْبوناً من اشتراهُما

---

(١) أي من أصلابهم.
(٢) البتّ: كساء غليظ من صوف أو وبر.
(٣) المنّ: كيل أو ميزان.
(٤) الوهن: قريب من منتصف الليل.

والله لا أُخبرُكم إسماهُما ... إلا بقوْلي هكــذا هُما هُما
هُما اللتـان صـادَنـي سهاهُما ... حيًّـا وحيَّـا الله مـن حيَّـاهُما
أمـات ربَّـي عـاجلاً أبـاهُما ... حتى تُلاقـي مُنْيتي مُنـاهُما
إنّ لنـا لكَنَّـهْ ... مِعَنَّـةً مِفَنَّـهْ[1]
سِمعنَّـةً نظْـرنَّـهْ ... إلا تَـرَهْ تَظُنَّـهْ

السمعنة النظرنة: المرأة التي إذا سمعت أو نظرت فلم تر شيئاً تظنّت تظنيا. وأنشد أبو عبد الله بن لبانة الأعرابي:

كـريمةً يُحِبها أبـوهـا ... مليحةَ العيْنيْن عذباً فُـوهـا

لا تُحْسِنُ السَّبَّ وإنْ سبُّوها

الرشيد والأصمعي:

الأصمعي قال: دخلت على هارون الرشيد وبين يديه بَدرة، فقال: يا أصمعي، إن حدثتني بحديث في العْجز فأضحكتني وهبتك هذه البدرة. قلت: نعم يا أمير المؤمنين بينا أنا في صحارى الأعراب، إذ أنا بأعرابي قاعد على أجمة،[2] قد احتملت الريح كساءه فألقته على الأجمة، وهو عريان؛ فقلت له: يا أعرابي، ما أجلسك ههنا على هذه الحالة؟ فقال: جارية واعدتُها يقال لها سلمى، أنا منتظر لها. فقلت: وما يمنعك من أخذ كسائك؟ قال: العْجز يوقفني عن أخذه. فقلت له: فهل قلت في سلمى شيئاً؟ قال: نعم. قلت له: أسمعني لله أبوك! قال لا أُسمعك حتى تأخذ كسائي تلقيه عليَّ! قال: فأخذته فألقيته عليه، فأنشأ يقول:

لعــلَّ الله أنْ يــأتي بسلْمــى ... فيَبْطُحهــا ويُلْقيني عليهــا
ويـأتي بعـد ذاك سَحـابُ مُـزْن ... تُطهِّـرنـا ولا نسعـى إليهـا[3]

---

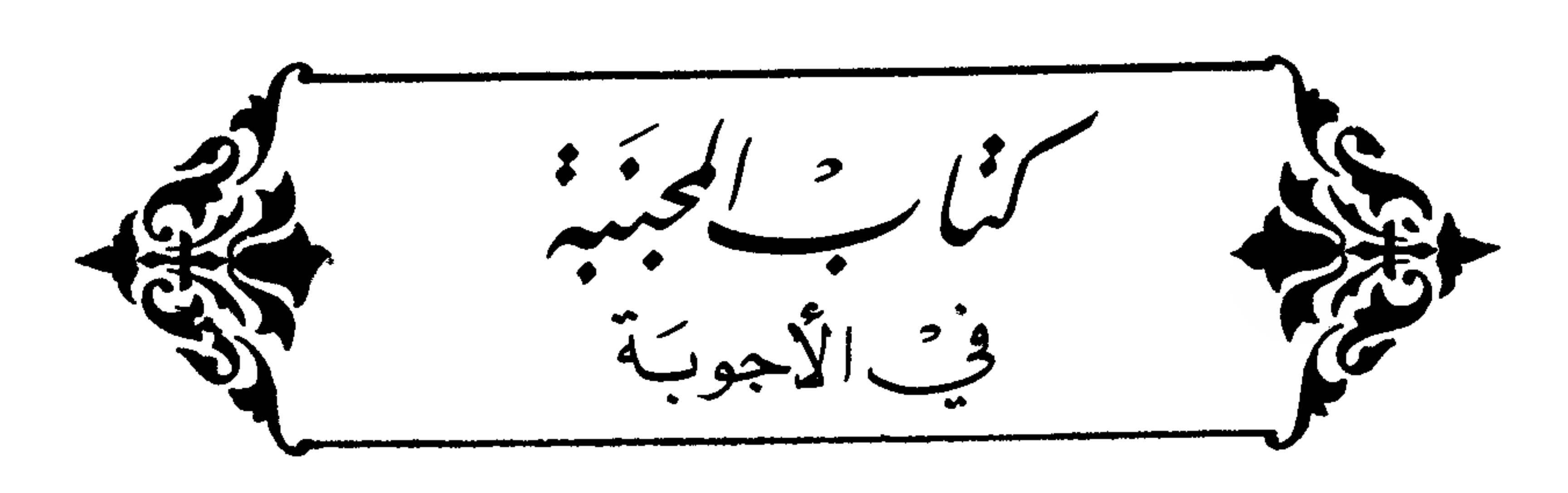
(١) الكنة: امرأة الابن وامرأة الاخ. والمعنة: المعترضة. والمفنة: التي تأتي بفنون من العجائب.
(٢) الأجمة: الشجر الكثير الملتف. (٣) المزن: السحاب يحمل الماء.

فاستضحك هارون حتى استلقى على ظهره، وقال. خذ البدرة لا بُورك لك فيها .

ذكروا أن أعرابيا أتى عينا من ماء صاف في شهر رمضان، فشرب حتى روى، ثم أومأ بيده إلى السماء فقال.

إن كنـــتَ قـــدّرت الصيـــا م فـأعفنـا مـــن شهـــر آبْ
أوْ لا فـــإنّـــا مُفْطِـــرو نَ وصـابـــرون على العـــذابْ

خلا أعرابي بامرأة ليفسق بها فلم ينتشر له؛ فقالت له. قُم خائبا! فقال. الخائب من فتح فم الجراب ولم يُكَلْ له دقيق. فخجلت ولم تردّ جوابا .



كتاب المجنبة في الأجوبة

فرش الكتاب

قال أحمد بن محمد بن عبد ربه: قد مضى قولنا في كلام الأعراب خاصة، ونحن قائلون بعون الله وتوفيقه في الجوابات التي هي أصعب الكلام كلّه مركباً، وأعزه مطلبا، وأغمضهُ مذهبا، وأضيقه مسلكا؛ لأن صاحبه يعجل مناجاة الفكرة، واستعمال القريحة، يروم في بديهته نقض ما أبرم القائل في روّيته، فهو كمن أُخذتْ عليه الفجاج، وسُدَّت عليه المخارج، قد اعترض الأسِنة، واستهدف للمرامي، لا يدري ما يقرع له فيتأهب له، ولا ما يفجأه من خصمه فيقرعه بمثله، ولا سيما إذا كان القائل قد أخذ بمجامع الكلام فقاده بذمامه بعد أن روّى فيه واحتفل، وجمع خواطره واجتهد، وترك الرأي يغبّ حتى يختمر؛ فقد كرهوا الرأي الفطير[1]، كما كرهوا الجواب الدَّبَريّ[2]، فلا يزال في نسج الكلام واستئناسه، حتى إذا اطمأن شارده، وسكن نافره، صك به خصمَه جملة واحدة ثم إذا قيل له: أجب ولا تخطيء، وأسرع ولا تبطيء، تراه يجاوب من غير أناة ولا استعداد، يطبّق المفاصل، وينفذ إلى المقاتل، كما يرمي الجندل بالجندل، ويقرع الحديد بالحديد، فيحل به عُراه، وينقض به مرائره، ويكون جوابه على كلامه كسحابة لبّدت عجاجة[3]؛ فلا شيء أعضل من الجواب الحاضر، ولا أعز من الخصم الألد الذي يقرع صاحبه، ويصرع منازعه بقولٍ كمثل النار في الحطب الجزل.

---

(١) الفطير: كل ما أعجل به قبل نضجه. (٢) الرأي الدبري: هو الذي يسنح أخيراً بعد فوات الحاجة.

(٣) لبدت عجاجته: كفّ عما كان فيه.

قال أبو الحسن: أسرع الناس جواباً عند البديهة قريش، ثم بقية العرب.

وأحسن الجواب كله ما كان حاضرا، مع إصابة معنى وإيجاز لفظ.

وكان يقال: اتقوا جواب عثمان بن عفان.

للنبي ﷺ في الزّبرقان:

وقال النبي عليه الصلاة والسلام لعمرو بن الأهتم: «أخبرني عن الزَّبْرقان»، قال: مطاع في أدانيه، شديد العارضة، مانع لما وراء ظهره، قال الزبرقان: والله يا رسول الله، لقد علم مني أكثر من هذا، ولكن حسدني. قال عمرو ابن الأهتم: أما والله يا رسول الله، إنه لزمر المروءة،(١) ضيق العطن،(٢) أحمق الوالد، لئيم الخال؛ والله يا رسول الله، ما كذبتُ في الأولى، ولقد صدقت في الأخرى؛ رضيت عن ابن عمي فقلت فيه أحسن ما فيه ولم أكذب، وسخطت عليه فقلت أقبح ما فيه ولم أكذب! فقال النبي عليه الصلاة والسلام: «إنّ من البيان لَسِحرا».

جواب عقيل بن أبي طالب لمعاوية وأصحابه

لما قدم عَقيل بن أبي طالب على معاوية، أكرمه وقرّبه وقضى حوائجه وقضى عنه دَينه، ثم قال له في بعض الأيام، والله إن عليا غير حافظ لك، قطع قرابتك وما وصلك ولا اصطنعك، قال له عقيل: والله لقد أجزل العطية وأعظمَها، ووصل القرابة وحفظها، وحسُن ظنّه بالله، إذ ساء به ظنّك، وحفظ أمانته، وأصلح رعيته، إذ خُنتم وأفسدتم وجُرتم، فاكفف لا أبالك، فإنه عما تقول بمعزل.

وقال له معاوية يوما: أبا يزيد، أنا لك خيرٌ من أخيك علي. قال: صدقت، إن أخي آثر دينَه على دنياه، وأنت آثرت دنياك على دينك؛ فأنت خير لي من أخي، وأخي خير لنفسه منك.

---

(١) زمر المروءة قليلها. (٢) ضيق العطن: ضيق الصبر والحيلة عند الشدائد.

وقال له ليلة الهَدير: أبا يزيد، أنت الليلة معنا، قال: نعم؛ ويوم بدر كنت معكم.

وقال رجل لعقيل: إنك لخائن حيث تركت أخاك وترغب إلى معاوية، قال: أخْونُ مني والله مَن سفك دمه بين أخي وابن عمي، أن يكون أحدهما أميرا!

ودخل عقيل على معاوية وقد كف بصره، فأجلسه معاوية على سريره ثم قال له: أنتم معشر بني هاشم تصابون في أبصاركم! قال: وأنتم معشر بني أمية تصابون في بصائركم!.

ودخل عتبة بن أبي سفيان، فوسع له معاوية بينه وبين عقيل فجلس بينهما، فقال عقيل: مَن هذا الذي أجلس أميرُ المؤمنين بيني وبينه؟ قال: أخوك وابن عمك عتبة. قال: أما إنه إن كان أقرب إليك مني، إني لأقرب لرسول الله ﷺ منك ومنه، وأنتما مع رسول الله ﷺ أرضٌ ونحن سماء. قال عتبة: أبا يزيد، أنت كما وصفت، ورسول الله ﷺ فوق ما ذكرت، وأمير المؤمنين عالم بحقك، ولك عندنا مما تحب أكثر مما لنا عندك مما تكره.

ودخل عقيل على معاوية، فقال لأصحابه: هذا عقيل عمه أبو لهب! قال له عقيل، وهذا معاوية عمته حَمَّالة الحطب! ثم قال: يا معاوية، إذا دخلت النار فاعدل ذات اليسار، فإنك ستجد عمي أبا لهب مفترشاً عمتَك حمالة الحطب؛ فانظر أيهما خير، الفاعل أو المفعول به.

وقال له يوما: ما أبْين الشَّبَق[1] في رجالكم يا بني هاشم! قال: لكنه في نسائكم أبين يا بني أمية!

وقال له معاوية يوما: والله إنّ فيكم لخصلةً ما تعجبني يا بني هاشم. قال: وما هي؟ قال: لِين فيكم. قال: لين ماذا؟ قال: هو ذاك[2]. قال: إيانا تعيِّر يا معاوية؟

---

(١) الشبق: اشتداد الشهوة. (٢) أي لين الحديث والكلام.

أجل، والله إن فينا للينًا من غير ضعف، وعزا من غير جبروت؛ وأما أنتم يا بني أمية فإن لينكم غدر، وعزكم كفر. قال معاوية: ما كلَّ هذا أردْنا يا أبا يزيد. قال عقيل:

لِذي اللّبِّ[1] قبل اليوم ما تُقرَع العصا وما عُلِّم الإنسان إلا ليعْلما

قال معاوية:

وإنَّ سَفَاهَ الشيخ لا حِلم بعدَه وإن الفتى بعدَ السَّفاهة يَحلمُ

وقال معاوية لعقيل بن أبي طالب: لم جفوتَنا يا أبا يزيد؟ فأنشأ يقول:

إني آمروٌ مني التكرّم شِيمةٌ إذا صاحبي يوما على الهُون أضمِرا

ثم قال: وآيمُ الله يا معاوية، لئن كانت الدنيا مهَّدتك مهادَها، وأظلتك بجذافيرها[2] ومدت عليك أطناب سلطانها ـ ما ذاك بالذي يزيدك مني رغبة، ولا تخشّعاً لرهبة. قال معاوية نعتَّها أبا يزيد نعتاً هَشَّ لها قلبي؛ وإني لأرجو أن يكون الله تبارك وتعالى ما ردّاني برداء ملكها، وحباني بفضيلة عيشها، إلا لكرامة ادّخرها لي؛ وقد كان داود خليفة، وسليمان ملكا؛ وإنما هو المثال يُحتذى عليه، والأمور أشباه؛ وآيم الله يا أبا يزيد، لقد أصبحت علينا كريما، وإلينا حبيبا، وما أصبحتُ أُضمر لك إساءة.

بين عقيل وامرأة:

ويقال إن امرأة عقيل وهي بنت عتبة بن ربيعة خالة معاوية قالت لعقيل: يا بني هاشم، لا يحبكم قلبي أبداً؛ أين أبي؟ أين أخي؟ أين عمي؟ كأن أعناقهم أباريق فضة. قال عقيل: إذا دخلتِ جهنم فخذي على شمالك.

جواب ابن عباس رضي الله عنهما

لمعاوية وأصحابه

اجتمعت قريش الشام والحجاز عند معاوية وفيهم عبد الله بن عباس؛ وكان جريئاً

(١) اللب: العقل. (٢) الحذافير: الأعالي والنواحي.

على معاوية حقّاراً له، فبلغه عنه بعض ما غمّه؛ فقال معاوية: رحم الله أبا سفيان والعباس، كانا صفيَّين دون الناس، فحفظت الميتَ في الحي والحيَّ في الميت؛ استعملكَ عليٌّ يا ابن عباس على البصرة، واستعمل أخاك عبيدَ الله على اليمن، واستعمل أخاك تماما على المدينة؛ فلما كان من الأمر ما كان، هنأتُكم ما في أيديكم، ولم أكشفكم عما وعتْ غرائركم، وقلت: آخذ اليوم وأعطي غداً مثله. وعلمت أن بدء اللؤم يضر بعاقبة الكرم، ولو شئت لأخذت بحلاقيمكم وقيَّأتكم ما أكلتم. ولا يزال يبلغني عنكم ما تبرك له الإبل، وذنوبُكم إلينا أكثر من ذنوبنا إليكم: خذلتم عثمانَ بالمدينة، وقتلتم أنصاره يوم الجمل، وحاربتموني بصِفين، ولعمري لبنو تيمٍ وعديٍ أعظم ذنوبا منا إليكم؛ إذ صرفوا عنكم هذا الأمر، وسنوا فيكم هذه السنة؛ فحتى متى أُغضِي الجفون على القذى، وأسحب الذيول على الأذى، وأقول: لعل الله وعسى... ما تقول يا ابن عباس؟!.

قال: فتكلم ابن عباس فقال: رحم الله أبانا وأباك، كانا صفيين متفاوضين[1]؛ لم يكن لأبي من مال إلا ما فضل أباك، وكان أبوك كذلك لأبي؛ ولكن من هنَّأ أباك بإخاء أبي أكثر ممن هنأ أبي بإخاء أبيك؛ نصَرَ أبي أباك في الجاهلية، وحقن دمه في الإسلام؛ وأما استعمال عليَّ إيانا فلنفسه دون هواه وقد استعملت أنت رجالا لهواك لا لنفسك، منهم ابن الحضرميّ على البصرة فقُتل، وابن بشر بن أرطاة على اليمن فخان، وحبيب بن مُرة على الحجاز فرُدّ، والضحاك بن قيس الفهري على الكوفة فَحُصِب؛ ولو طلبت ما عندنا وقينا أعراضنا، وليس الذي يبلغك عنا بأعظم من الذي يبلغنا عنك، ولو وضِع أصغرُ ذنوبكم إلينا على مائة حسنة لمحقها، ولو وضع أدنى عذرنا إليكم على مائة سيئة لحسَّنها. وأما خذلُنا عثمان فلو لزمنا نصره لنصرناه، وأما قتلُنا أنصاره يوم الجمل فعلى خروجهم مما دخلوا فيه وأما حربُنا إياك بصِفين فعلى تركك الحقَّ وادعائك الباطل، وأما إغراؤك إيانا بتيم وعدي فلو أردناها ما غلبونا عليها.

---

(١) المفاوضة: المشاركة.

وسكت، فقال في ذلك ابن أبي لهب:

كان ابنُ حرْبٍ عظيمَ القدْرِ في النـاسِ حتى رمـاه بما فيـه آبنُ عبـاسِ
مـا زال يُهبطُـهُ طـوراً ويُصعِـدُه حتى استقاد وما بـالحقّ مـن بـاس
لم يتركَـنْ خُطـةً مما يُـذلّلُـه إلا كـواه بها في فـروةِ الراس

لابن أبي مليكة في ابن عباس:

وقال ابن أبي مليكة: ما رأيت مثل ابن عباس، إذا رأيتَه رأيت أفصحَ الناس، وإذا تكلم فأعرَبُ الناس[1]، وإذا أفتى فأفقه الناس ما رأيت أكثرَ صوابا ولا أحضر جوابا من ابن عباس.

بين ابن عباس ومعاوية:

ابن الكلبي قال: أقبل معاوية يوما على ابن عباس فقال: لو ولِيتُمُونا ما أتيتم إلينا ما أتينا إليكم، من الترحيب والتقريب، وإعطائكم الجزيل، وإكرامكم على القليل، وصبري على ما صبرتُ عليه منكم، إني لا أرِدُ أمراً إلا أظمأتم صدره[2] ولا آتي معروفا إلا صغَّرتم خطره وأعطيكم العطية فيها قضاء حقوقكم فتأخذونها متكارهين عليها؛ تقولون: قد نقص الحق دون الأمل! فأي أمل بعد ألف ألف أعطيها الرجل منكم، ثم أكون أسرَّ بإعطائها منه بأخذها؟ والله لئن انخدعت لكم في مالي وذللت لكم في عرضي، أرى انخداعي كرما وذلي حلما. ولو ولِيتمونا رضينا منكم بالانتصاف، ولا نسألكم أموالكم، لعلمنا بحالكم وحالنا؛ ويكون أبغضَها إلينا أحبها إليكم أن نُعفيكم.

فقال ابن عباس: لو ولينا أحسنّا المواساة، وما ابتلينا بالاثرة؛[3] ثم لم نغشِم الحي، ولم نشتم الميت؛ فلستم بأجود منا أكفاً، ولا أكرم أنفساً، ولا أصون لأعراض

---

(١) أعرب الناس: أبينهم وأفصحهم.

(٢) أظمأتم صدره: جعلتموه حقيراً.

(٣) الأثرة: تفضيل الإنسان نفسه على غيره.

المروءة؛ ونحن والله أعطى للآخرة منكم للدنيا، وأعطى في الحق منكم في الباطل، وأعطى على التقوى منكم على الهوى؛ والقسم بالسوية والعدل في الرعية يأتيان على المنى والأمل، ما أرضاكم منا بالكفاف، فلو رضيتم منا لم ترض أنفسُنا به لكم؛ والكفاف رضا من لا حق له؛ فلا تُبخلونا حتى تسألونا، ولا تلفظونا حتى تذوقونا.

أبو عثمان الحزامي قال: اجتمعت بنو هاشم عند معاوية، فأقبل عليهم فقال: يا بني هاشم، والله إن خيري لكم لممنوح، وإن بابي لكم لمفتوح؛ فلا يقطع خيري عنكم عِلة ولا يوصِد بابي دونكم مسألة؛ ولما نظرت في أمري وأمركم رأيت أمرا مختلفا: إنكم لترون أنكم أحق بما في يدي مني، وإذا أعطيتكم عطية فيها قضاء حقكم قلتم أعطانا دون حقنا، وقصّر بنا عن قدْرنا؛ فصرت كالمسلوب، والمسلوب لا حمد له؛ وهذا مع إنصاف قائلكم، وإسعاف سائلكم.

قال: فأقبل عليه ابن عباس فقال: والله ما منحتنا شيئاً حتى سألناه، ولا فتحت لنا بابا حتى قرعْناه؛ ولئن قطعتَ عنا خيرك للهُ أوسعُ منك ولئن أغلقت دوننا بابك لنَكُفَّنّ أنفسنا عنك، وأما هذا المال فليس لك منه إلا ما لرجل من المسلمين، ولنا في كتاب الله حقان: حق في الغنيمة،[1] وحق في الفيء؛[2] فالغنيمة ما غَلبنا عليه، والفيء ما اجتبيناه، ولولا حقنا في هذا المال لم يأتك منا زائر يحمله خف ولا حافر. كفاك أم أزيدك؟ قال: كفاني، فإنك تُهرّ ولا تُنبح.

وقال معاوية يوماً وعنده ابن عباس: إذا جاءت بنو هاشم بقديمها وحديثها، وجاءت بنو أمية بأحلامها وسياستها، وبنو أسد بن عبد العزى برفادتها ودياتها، وبنو عبد الدار بحجابتها ولوائها، وبنو مخزوم بأموالها وأفعالها، وبنو تيم بصدّيقها[3] وجَوادها، وبنو عدي بفاروقها[4] ومتفكّرها، وبنو سهم بآرائها ودهائها، وبنو جمح

---

(١) الغنيمة: ما أوجف عليه المسلمون بخيلهم وركابهم من المشركين.

(٢) الفيء: ما أفاء الله من أموال المشركين على المسلمين بلا حرب.

(٣) الصديق: ابي بكر الصديق. (٤) الفاروق: عمر بن الخطاب.

بشرفها وأنوفها، وبنو عامر بن لؤي بفارسها وقَريعها،[1] فمن ذا يُجلى في مضمارها ويجري إلى غايتها؟ ما تقول يا بن عباس؟

قال: أقول: ليس حي يفخرون بأمر إلا وإلى جنبهم من يشرَكهم، إلا قريشا فإنهم يفخرون بالنبوّة التي لا يشاركون فيها ولا يُساوَوْن بها ولا يُدفعون عنها، وأشهد أن الله لم يجعل محمدا من قريش إلا وقريش خير البرية، ولم يجعله في بني عبد المطلب إلا وهم خير بني هاشم، يريد أن يفخر عليكم إلا بما تفخرون به؛ إن بنا فتح الأمر وبنا يُختم، ولك ملك معجَّل ولنا ملك مؤجل، فإن يكن ملككم قبل ملكنا فليس بعد مُلكنا مُلك، لأنا أهل العاقبة، والعاقبة للمتقين.

ابن عباس وابن العاص:

أبو مخنف قال: حج عمرو بن العاص فمرّ بعبد الله بن عباس، فحسده مكانه وما رأى من هيبة الناس له وموقعه من قلوبهم، فقال له: يا ابن عباس، مالك إذا رأيتني ولَّيتني القَصَرة،[2] وكان بين عينيك دَبَرة، وإذا كنت في ملأ من الناس كنت الهوْهاةَ[3] الهُمزَة.

فقال ابن عباس: لأنك من اللئام الفجرة! وقريش الكرام البررة لا ينطقون بباطل جهِلوه، ولا يكتمون حقا علِموه، وهم أعظم الناس أحلاما، وأرفع الناسْ أعلاما، دخلتَ في قريشٍ ولستَ منها، فأنت الساقط بين فراشين، لا في بني هاشم رحْلك، ولا في بني عبد شمس راحلتك، فأنت الأثيم الزنيم،[4] الضال المضلّ، حملك معاوية على رقاب الناس، فأنت تسطو بحلمه، وتسمو بكرمه.

فقال عمرو: أما والله إني لمسرور بك، فهل ينفعني عندك؟

قال ابن عباس: حيث مال الحق مِلنا، وحيث سلك قصدنا.

---

(١) القريع: السيد والرئيس.
(٢) القصرة: أصل العنق والرقبة.
(٣) الموهاة: الأحمق.
(٤) الزنيم: الدعي.

المدائني قال: قام عمرو بن العاص في موسم من مواسم العرب، فأطرى معاوية بن أبي سفيان وبني أمية، وتناول بني هاشم، وذكر مشاهدَه بصفِّين، واجتمعت قريش، فأقبل عبد الله بن عباس على عمرو، فقال.

يا عمرو، إنك بعت دينك من معاوية، وأعطيته ما بيدك، ومَنَّاكَ ما بيد غيره فكان الذي أخذ منك أكثر من الذي أعطاك، والذي أخذتْ منه دون الذي أعطيته، وكلٌّ راضٍ بما أخذ وأعطى، فلما صارت مصر في يدك كدَّرها عليك بالعدل والتَنَقص، وذكرت مشاهدك بصفِّين، فوالله ما ثقلتْ علينا يومئذ وطأتُك ولقد كشفت فيها عورتك، وإن كنت فيها لطويل اللسان، قصير السنان آخر الخيل إذا أقبلت، وأولها إذا أدبرت، لك يدان، يد لا تبسطها إلى خير، وأخرى لا تقبضها عن شر، ولسانٌ غادر ذو وجهين، ووجهان وجه موحِش ووجه مؤنِس، ولعمري إن من باع دينه بدنيا غيره لَحَريّ أن يطول عليها ندمه، لك بيان وفيك خَطَل،[1] ولك رأي وفيك نكَد، ولك قدرٌ وفيك حَسَد، وأصغرُ عيب فيك أعظم عيب في غيرك.

فأجابه عمرو بن العاص: والله ما في قريش أثقل عليّ مسألةً، ولا أمّر جواباً منك، ولو استطعت أن لا أجيبَك لفعلت، غير أني لم أبع ديني من معاوية، ولكن بعتُ الله نفسي ولم أنس نصيبي من الدنيا، وأما ما أخذت من معاوية وأعطيته، فإنه لا تُعلَّمُ العوانُ[2] الخِمْرَةَ، وأما ما اتى إلى معاوية في مصر فإن ذلك لم يغيِّرني له، وأما خفة وطأتي عليكم بصفين فلِما استثقلتم حياتي، واستبطأتم وفاتي، وأما الجبن، فقد علمت قريش أنـي أولُ من يبارز، وآخر من ينازل وأما طول لساني فإني كما قال هشام بن الوليد لعثمانْ بن عفان رضي الله عنه:

لساني طويلٌ فاحْتَرس من شَـذَاتِـه ... عليكَ وسيْفي من لِسانيَ أطـوَلُ[3]

---

(١) الخطل: الكلام الفاسد الكثير المضطرب.

(٢) العوان من النساء: التي كان لها زوج. والمثل يضرب للمجرب العارف بأمره.

(٣) الشذاة: الحدة.

وأما وجهاي ولساناي، فإني ألقي كلَّ ذي قدْر بقدْره، وأرمي كلَّ نابح بحجَرِه، فمن عرف قدره كفاني نفسه، ومن جهل قدره كفيته نفسي، ولعمري ما لأحد من قريش مثل قدرك ما خلا معاوية، فما ينفعني ذلك عندك. وأنشأ عمرو يقول:

بني هـاشمٍ مـالي أراكُمْ كـأنكـمْ ... بيَ اليوم جُهّالٌ وليس بكـم جَهْـلُ
ألم تعْلموا أني جَسـورٌ على الوغَـى ... سريعٌ إلى الدّاعي إذا كثُـر القَتْـلُ
وأوّلُ مـن يـدعـو نـزالِ طبيعـةً ... جُبلْت عليها والطِّباعُ هو الجبْـلُ[1]
وأني فَصَلْت الأمر بعـد اشْتبـاهِـه ... بدوْمةَ إذ أعيا على الحكَم الفصـل[2]
وأنّـي لا أعْيـا بـأمْـرِ أُريـدُه ... وأني إذا عَجّتْ بكـارُكم فحْـلُ

محمد بن سعيد عن إبراهيم بن حويطب قال: قال عمرو بن العاص لعبد الله بن عباس بعد قتل علي بن أبي طالب رضي الله عنه: إن هذا الأمر الذي نحن فيه وأنتم، ليس بأول أمر قاده البلاء، وقد بلغ الأمر بنا وبكم إلى ما ترى، أبقت لنا هذه الحرب حياء ولا صبرا، ولسنا نقول: ليت الحرب عادت! ولكنّا نقول: ليتها لم تكن كانت! فانظر فيما بقي بعين ما مضى؛ فإنك رأس هذا الأمر بعد عليّ، فإنك أمير مطاع، ومأمور مطيع، ومشاور مأمون، وأنت هو.

مجاوبة بني هاشم وبني عبد شمس لابن الزبير

الشعبي قال: قال ابن الزبير لعبد الله بن عباس: قاتلت أمّ المؤمنين، وحواريَّ رسول الله ﷺ؛ وأفتيت بتزويج المُتعة.

فقال: أمّا أم المؤمنين فأنت أخرجتها وأبوك وخالك، وبنا سُمِّيَتْ أم المؤمنين وكنا لها خير بنين؛ فتجاوز الله عنها؛ وقاتلت أنت أبوك عليا، فإن كان عليا مؤمنا فقد ضللتم بقتالكم المؤمنين، وإن كان عليّ كافرا فقد بُؤْتُم بسخط من الله بفراركم من الزحف؛ وأما المتعة فإن عليا رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ رَخَّص

(١) الطباع: الطبع. والجبل: الخلقة. (٢) دومة: يريد دومة الجندل.

فيها، فأفتيت بها: ثم سمعته ينهى [عنها] فنهيت عنها؛ وأول مِجْمَر[1] سطع في المتعة مِجْمَرُ آل الزبير.

مناظرة في مجلس معاوية:

دخل الحسن بن عليّ على معاوية وعنده ابن الزبير وأبي سعيد بن عقيل بن أبي طالب؛ فلما جلس الحسن قال معاوية: يا أبا محمد، أيهما كان أكبر، عليّ أم الزبير؟ قال: فقال: ما أقرب ما بينهما، عليّ كان أسنّ من الزبير؛ رحم الله عليا فقال ابن الزبير: رحم الله الزبير، فتبسم الحسن؛ فقال أبو سعيد بن عقيل بن أبي طالب: دع عنك عليا والزبير؛ إن عليا دعا إلى أمر فاتَّبع وكان فيه رأساً، ودعا الزبير إلى أمر كان فيه الرأس امرأة؛ فلما تراءت الفئتان والتقى الجمعان نكص الزبير على عقبيه وأدبر منهزماً قبل أن يظهر الحق فيأخذه، أو يدحض الباطل فيتركه، فأدركه رجل لو قِيس ببعض أعضائه لكان أصغر، فضرب عنقه وأخذ سلبه وجاء برأسه، ومضى عليٌّ قُدُماً كعادته مع ابن عمه ونبيه ﷺ؛ فرحم الله عليا ولا رحم الزبير! فقال ابن الزبير: أما والله لو أنّ غيرك تكلم بهذا يا أبا سعيد لعلِم... قال: إنّ الذي تعرّض به يرغب عنك. وأُخبرت عائشة بمقالتهما، فالتفت أبو سعيد فلم ير شيئاً؛ فقال: إن الشيطان ليراك من حيث لا تراه! فضحكت عائشة وقالت: لله أبوك! ما أخبث لسانك.

الحسين ومعاوية:

الشعبي قال: دخل الحسين بن عليّ يوماً على معاوية ومعه مولى له يقال له ذكوان، وعند معاوية جماعة من قريش فيهم ابن الزبير، فرحب معاوية بالحسين وأجلسه على سريره، وقال: ترى هذا القاعد ـ يعني ابن الزبير ـ فإنه ليدركه الحسد لبني عبد مناف.

---

(١) المجمر: ما يوضع فيه الجمر مع البخور.

فقال ابن الزبير لمعاوية: قد عرفنا فضل الحسين وقرابته من رسول الله ﷺ؛ لكن إن شئت أعْلِمك فضل الزبير على أبيك أبي سفيان فعلت، فتكلم ذكوان مولى الحسين بن علي فقال:

يا ابن الزبير، إن مولاي ما يمنعه من الكلام أنْ لا يكون طلق اللسان رابط الجنان؛ فإن نطق نطق بعلم؛ وإن صمت صمت بحلم؛ غير أنه كفّ[1] الكلام، وسبق إلى السنان، فأقرت بفضله الكرام؛ وأنا الذي أقول:

فيمَ الكلام لِسابق في غاية ... والناس بين مُقصِّر ومُبلِّد[2]
إنّ الذي يجري لِيُدركَ شأوهُ ... يُنْمي بغير مُسوَّدٍ ومُسدَّدِ
بل كيف يُدرَك نورُ بدرِ ساطعٍ ... خيْرِ الأنام وفرعِ آل محمدِ

فقال معاوية: صدق قولك يا ذكوان؛ أكثر الله في موالي الكرام مثلك.

فقال ابن الزبير: إن أبا عبد الله سكت وتكلم مولاه، ولو تكلم لأجبناه، أو لكففنا عن جوابه إجلالاً له؛ ولا جواب لهذا العبد.

قال ذكوان: هذا العبد خير منك؛ قال رسول الله ﷺ: «مولى القوْم منهم»؛ فأنا مولى رسول الله ﷺ، وأنت ابن العوام ابن خويلد؛ فنحن أكرم ولاءً وأحسن فعلاً.

قال ابن الزبير: إني لست أجيب هذا! فهات ما عندك.

فقال معاوية: قاتلك الله يابن الزبير. ما أعياك وأبغاك. أتفخر بين يدي أمير المؤمنين وأبي عبد الله؟ إنك أنت المتعدي لطَوْرك[3]، الذي لا تعرف قدرك؛ فقس شِبرك بفترك؛ ثم تعرَّفْ كيف تقع بين عرانين[4] بني عبد مناف؛ وأما والله لئن دفعت في بحور بني هاشم وبني عبد شمس لقطّعتك بأمواجها، ثم لترمينّ بك في

---

(١) كفّ الكلام: امتنع عنه.
(٢) المبلد: الذي فتر في العمل وقصّر.
(٣) المتعدي لطوره: الذي جاوز حدّه وقدره.
(٤) عرانين القوم: ساداتهم وأشرافهم.

لُججها؛ فما بقاءك في البحور إذا غمرتك، وفي الأمواج إذا بَهزَتك[1]؟ هنالك تعرف نفسك؛ وتندم على ما كان من جرأتك، وتُمسِّي ما أصبحت فيه من أمان وقد حِيل بين العير والنَّزوان.

فأطرق ابن الزبير ملياً ثم رفع رأسه فالتفت إلى من حوله، ثم قال أسألكم بالله: أتعلمون أن أبي حواريُّ رسول الله ﷺ، وأن أباه أبا سفيان حارب رسول الله ﷺ؟ وأن أمي أسماءُ بنت أبي بكر الصديق، وأُمه هند آكلة الأكباد؟ وجدي الصدِّيق، وجده المشدوخ ببدر ورأس الكفر؟ وعمتي خديجة ذات الخطر والحسب، وعمته أم جميل حمالة الحطب؟ وجدتي صفية، وجدته حمامة؟ وزوج عمتي خير ولد آدم محمد ﷺ، وزوج عمته شر ولد آدم أبو لهب سيصلي ناراً ذات لهب؟ وخالتي عائشة أم المؤمنين، وخالته أشقى الأشقين؟ وأنا عبد الله، وهو معاوية؟

وقال له معاوية: ويحك يا بن الزبير كيف تصف نفسك بما وصفتها؟ والله مالك في القديم من رياسة، ولا في الحديث سياسة، ولقد قدناك وسُدْناك قديماً وحديثاً، لا تستطيع لذلك إنكاراً، ولا عنه فِراراً، وإن هؤلاء الحضور ليَعْلمون أن قريشاً قد اجتمعت يوم الفخار على رياسة حرب بن أمية وأن أباك وأسرتك تحت رايته راضُون بإمارته غير مُنكرين لفضله ولا طامعين في عَزْله، إن أمر أطاعوا، وإن قال أَنصتوا، فلم تزل فينا القيادة وعزُّ الولاية؛ حتى بعث الله عز وجل محمداً ﷺ، فانتخبه من خير خلقه، من أُسرتي لا أُسرتك، وبني أبي لابني أَبيك، فجحدته قريشٌ أشدّ الجحود؛ وأنكرته أَشدّ الإنكار وجاهدتْه أشدّ الجهاد، إلا من عصم الله من قريش؛ فما ساد قريشاً وقادهم إلا أبو سفيان بن حرب، فكانت الفئتان تلتقيان ورئيس الهدى منا ورئيس الضلالة منا؛ فمهديُّكم تحت راية مهدِّينا، وضالُّكم تحت راية ضالِّنا؛ فنحن الأرباب، وأنتم الأذناب؛ حتى خلّص الله أبا سفيان بن حرب بفضله من عظيم شركه؛ وعَصمَه بالإسلام من عبادة الأصنام؛ فكان ما لم يُعْطَ في

(١) البهز: الدفع الشديد.

الجاهلية عظيماً شأنه، وفي الإسلام معروفاً مكانه؛ ولقد أُعطيَ يوم الفتح ما لم يُعْطَ أحدٌ من آبائك، وإن مناديَ رسول الله ﷺ نادى: من دخل المسجد فهو آمِن، ومن دخل دار أبي سفيان فهو آمِن؛ وكانت داره حَرماً، لا دارُك ولا دار أبيك؛ وأما هند فكانت امرأة من قريش في الجاهلية عظيمة الخطر؛ وفي الإسلام كريمة الخبر، وأما جدك الصِّديق فبتصديق عبد مناف سُمي صديقاً لا بتصديق عبد العُزّى، وأما ما ذكرت من جدي المشدوخ ببدر، فلعمري لقد دعا إلى البراز هو وأخوه وابنه فلو برزْت إليه أنت وأبوك ما بارزوكم ولا رأوكم لهم أكفاء، كما قد طلب ذلك غيركم فلم يقبلوهم، حتى برز إليهم أكفاؤهم من بني أبيهم، فقضى الله مناياهم بأيديهم فنحن قتلنا ونحن قُتلنا . وما أنت وذاك؟ وأما عمتك أم المؤمنين فبنا شرُفت وسُميت أمّ المؤمنين، وخالتك عائشة مثل ذلك، وأما صفية فهي أَدْنَتْك من الظل، ولولا هي لكنت ضاحياً؛ وأمّا ما ذكرت من عمك وخال أبيك سيد الشهداء، فكذلك كانوا رحمهم الله، وفخرُهم وإرْثهم لي دونك، ولا فخر لك فيهم ولا إرث بينك وبينهم؛ وأمّا قولك: أنا عبد الله وهو معاوية، فقد علمتْ قريش أيُّنا أجْود في الإزَم[1]، وأحْزم في القَدَم، وأمنع للحُرَم؛ لا والله ما أراك منتهياً حتى تروم من بني عبد مناف ما رام أبوك، فقد طالبهم بالذَّحول[2] وقدّم إليهم الخيول، وخدعتم أمَّ المؤمنين ولم تراقبوا رسول الله ﷺ إذ مددتم على نسائكم السُّجوف[3] وأبرزتم زوجته للحتوف ومقارعة السيوف، فلما التقى الجمعان نكص أبوك هارباً فلم يُنْجِه ذلك أن طحنه أبو الحسين بكلكله طحْن الحصِيد بأيدي العبيد، وأمّا أنت فأفلتَّ بعد أن خمشتْك براثينُه ونالتْك مخاليبه، وآيم الله ليقوِّمَنَّك بنو عبد مناف بثقافها، أو لَتُصبحَنّ منها صباحَ أبيك بوادي السِّباع، وما كان أبوك المرهوبَ جانبه، ولكنه كما قال الشاعر:

أَكِيلة سِرحانٍ فَريسة ضيْغـمٍ فقَضْقَضَه بالكفِّ منـه وحطَّما[4]

---

(١) الإزم: الشدائد . (٢) الذحول: جمع ذحل، وهو الثأر .

(٣) سجوف: جمع سجف، وهو أحد السترين المقرونين . (٤) أكيلة: فريسة . وقضقضه: كسره .

ابن الزبير ومعاوية:

نازع مروان بن الحكم يوماً ابنَ الزبير عند معاوية، فكان هوى معاوية مع مروان؛ فقال ابن الزبير: يا معاوية، إنّ لك حقاً وطاعة، وإن لك صلة وحرمة؛ فأطِع الله نطعْك؛ فإنه لا طاعة لك علينا إن لم تطع الله؛ ولا تُطرق إطراق الأفعوان في أصول السَّخْبر[١].

وقال معاوية يوماً وعنده ابن الزبير وذُكر له مروان ـ فقال: إن يطلب هذا الأمر فقد يطمع فيه من هو دونه، وإن يتركه يتركه لمن هو فوقه؛ وما أراكم بمُنْتَهِينَ حتى يبعث الله عليكم من لا تعطفه قرابة، ولا ترده مودّة، يسومكم خسفاً ويُوردكم تلفاً.

قال ابن الزبير: إذاً والله نُطلق عقال الحرب بكتائبَ تمور كرجْل[٢] الجراد، حافاتها الأسَل[٣]، لها دويٌّ كدوي الريح، تتبع غِطريفاً من قريش لم تكن أمّه براعيةِ ثَلَّة[٤].

قال معاوية: أنا ابن هند، أطلقت عقال الحرب، وأكلتُ ذِروة السنام، وشربت عنفوان المكْرَع[٥]، وليس للآكل بعدي إلا الفلذة، ولا للشارب إلا الرَّنْق[٦].

مجاوبة الحسن بن علي لمعاوية وأصحابه

ابن العاص والحسن:

وفد الحسن بن عليّ على معاوية، فقال عمرو لمعاوية، يا أمير المؤمنين، إن الحسن لفَةٌ[٧]، فلو حملتَه على المنبر فتكلم وسمع الناس كلامه عابوه وسقط من عيونهم. ففعل، فصعد المنبر وتكلم وأحسن؛ ثم قال: أيها الناس، لو طلبتم ابناً لنبيِّكم ما بين لابتَيها لم تجدوه غيري وغير أخي. وإنْ أدري لعله فتنةٌ لكم ومتاع إلى حين. فساء ذلك

(١) السخبر: شجر تألفه الحيات فتسكن أصوله. (٢) الرجل: القطعة العظيمة من الجراد.
(٣) الأسل: النّبل. (٤) الثلة: جماعة الغنم. (٥) المكرع: أي أول الماء.
(٦) الرّنْق: تراب في الماء من القذى ونحوه. (٧) الفةُ: الكليل اللسان العي عن حاجته.

عَمْراً وأراد أن يقطع كلامه، فقال له: أبا محمد، أتصف الرُّطب؟ فقال: أجل، تلقحه الشمال وتخرِّجه الجنوب، وتُنضجه الشمس، ويصبغه القمر. قال: أبا محمد، هل تنعت الخَرَاءة؟ قال: نعم، تُبعد المَشْيَ في الأرض الصَّحْصح[1] حتى تتوارى من القوم، ولا تَستقبل القبلة ولا تستدبرها، ولا تستنجِ بالقُمّة والرِّمة ـ يريد الروث والعظم ـ ولا تبُل في الماء الراكد.

مروان والحسن:

بينما معاوية بن أبي سفيان جالس في أصحابه إذ قيل له: الحسن بالباب. فقال معاوية: إن دخل أفسد علينا ما نحن فيه! فقال له مروان بن الحكم: ائذن له؛ فإني أسأله ما ليس عنده فيه جواب. قال معاوية: لا تفعل فإنهم قوم قد أُلهموا الكلام وأذِن له؛ فلما دخل وجلس قال له مروان: أسرع الشيبُ إلى شاربك يا حسن، ويقال إنّ ذلك من الخُرْق!

فقال الحسن: ليس كما بلغك، ولكنا معشر بني هاشم أفواهُنا عذبة شِفاهها فنساؤنا يُقْبلن علينا بأنفاسهنّ وقبَلهنّ؛ وأنتم معشر بني أُمية فيكم بَخَر شديد، فنساؤكم يصرفن أفواههنّ وأنفاسَهنّ عنكم إلى أصداغكم؛ فإنما يشيب منكم موضعُ العِذار من أجل ذلك. قال مروان: إن فيكم يا بني هاشم خصلةَ سوء. قال: وما هي؟ قال: الغُلْمة[2]. قال: أجل، نُزعت الغلمة من نسائنا ووضعت في رجالنا، ونزعت الغلمة من رجالكم ووضعت في نسائكم، فما قام لأمويةٍ إلا هاشمي! فغضب معاوية وقال: قد كنت أخبرتكم فأبيتم حتى سمعتم ما أظلم عليكم بيتكم وأفسد عليكم مجلسكم.

فخرج الحسن وهو يقول:

ومارَسْتُ هذا الدهر خمسين حِجَّةً ... وخمساً أُزجِّي قائلاً بعد قائل[3]

(١) الصحصح: ما استوى من الأرض.

(٢) الغُلمة: شدة الشهوة للجماع. (٣) أزجي: أدفع.

فلا أنا في الدنيـا بلغـتُ جَسيمَهـا ولا في الذي أهوى كدَحْت بطائـل
وقد أشرعـتْ فيَّ المَنـايـا أكفَّهـا وأيقنتُ أني رهْن مـوتٍ بعـاجـل

الحسن وحبيب الفهري:

قال الحسن بن علي لحبيب بن مسلمة الفِهري: ربَّ مسير لك في غير طاعة الله! قال: أما مسيري إلى أبيك فلا! قال: بلى، ولكنك أطعت معاوية على دنيا قليلة، فلئن كان قام بك في دنياك لقد قعد بك في آخرتك، ولو كنتَ إذ فعلتَ شراً قلتَ خيراً كنت كما قال الله عز وجل: ﴿خَلطوا عملاً صالحاً وآخر سيِّئاً﴾ [1]، ولكنك كما قال الله: ﴿بل رانَ على قلوبهم ما كانوا يكسِبون﴾ [2].

ابن جعفر وابن الحكم في مجلس عبد الملك:

قدم عبد الله بن جعفر على عبد الله بن مروان، فقال له يحيى بن الحكم: ما فعلتْ خبيثة؟ فقال: سبحان الله! يسميها رسول الله ﷺ طيْبة وتسميها خبيثة؟ لقد اختلفتما في الدنيا وستختلفان في الآخرة! قال يحيى: لأن أموت بالشام أحب إليّ من أن أموت بها! قال: اخترت جوارَ النصارى على جوار رسول الله ﷺ! قال يحيى: ما تقول في عليّ وعثمان؟ قال: أقول ما قاله من هو خير مني فيمن هو شر منهما: ﴿إن تعذبْهم فإنهم عبادُك وإن تغفر له فإنك أنت العزيز الحكيم﴾ [3].

مجاوبة بين معاوية وأصحابه

معاوية والضحاك وابن العاص:

قال معاوية يوماً وعنده الضحاك بن قيس، وسعيد بن العاص، وعمرو بـن العاص: ما أعجب الأشياء؟

---

(١) سورة التوبة الآية ١٠٢. (٢) سورة المطففين الآية ١٤.
(٣) سورة المائدة الآية ١١٨.

قال الضحاك بن قيس: إكداءُ العاقل وإجداء الجاهل. وقال سعيد بن العاص: أعجب الأشياء ما لم يُرَ مثله. وقال عمرو بن العاص: أعجب الأشياء غلبة من لا حقّ له ذا الحقِّ على حقه. وقال معاوية: أعجب من هذا أن تعطي من لا حق له ما ليس له بحق من غير غلَبة.

معاوية وقوم من قريش:

حضر قوم من قريش مجلس معاوية، فيهم عمرو بن العاص، وعبد الله بن صفوان بن أمية، وعبد الرحمن بن الحرث بن هشام؛ فقال عمرو: أحْمد الله يا معشر قريش إذ جعل أمركم إلى من يغضي على القذى، ويتصام عن العوراء، ويجرّ ذيله على الخدائع. قال عبد الله: لو لم يكن كذلك لمسَّنا إليه الضر أو دببنا إليه الخَمر، ورجونا أن يقوم بأمرنا من لا يطعمك مالَ مصر. قال معاوية: يا معشر قريش، حتى متى لا تُنصفون من أنفسكم؟ قال عبد الرحمن بن الحارث: إن عمراً أفسدك علينا وأفسدنا عليك. لو أغضبتَ عن هذه. قال: إن عمراً لي ناصح. قال عبد الرحمن: فأطعِمنا مثل ما أطعمتَه، وخذنا بمثل نصيحته؛ إنا رأيناك يا معاوية تضرب عوامّ قريش بأيديك في خواصها، كأنك ترى أن بكرامها جاروك دون لئامها، وإنا والله لنفرغ من إناء فعم في إناء ضخم، وكأنك بالحرب قد حَل عقالها عليك من لا ينظر لك. قال معاوية: يا بن أخي، ما أحوج أهلك إليك! فلا تفجعهم بنفسك! ثم أنشد:

أعَزَّ رجالاً من قريْش تتابَعوا ... على سَفه، مِني الحيا والتكرمُ[1]

معاوية وابن الزبير:

وقال معاوية لابن الزبير: تُنازعني هذا الأمر كأنك أحق به مني! قال: لم لا أكون أحق به منك يا معاوية، وقد اتبع أبي رسول الله ﷺ على الإيمان واتبع الناسُ أباك على الكفر؟ قال له معاوية: غلطت يا ابن الزبير بعث الله ابنَ عمي نبياً فدعا أباك فأجابه؛ فما أنت إلا تابعٌ لي، ضالاً كنتُ أو مَهْدياً.

---

(١) تتابعوا: أسرعوا إلى الشر.

معاوية ومروان وابن العاص في الحسين:

العتبي قال: دعا معاوية مروان بن الحكم فقال له: أشِر عليَّ في الحسين. قال: تخرجه معك إلى الشام، فتقطعه عن أهل العراق وتقطعهم عنه. قال: أردتَ والله أن تستريح منه وتبتليني به، فإن صبرتُ عليه صبرتُ على ما أكره، وإن أسأت إليه كنت قد قطعت رحِمه! فأقامه وبعث إلى سعيد بن العاص، فقال له: يا أبا عثمان، أشر عليّ في الحسين. فقال: والله إنك ما تخاف الحسين إلا على من بَعْدك، وإنك لتُخلف له قِرنا إن صارعه ليصرعنه، وإن سابقه ليسبقنّه؛ فذر الحسين منبت النخلة، يشرب من الماء، ويصعد في الهواء، ولا يبلغ إلى السماء! قال: فما غيَّبك عني يوم صفِّين؟ قال: تحملت الحُرم، وكُفيت الحزم، وكنت قريباً لو دعوتنا لأجبناك، ولو ثُلمت لرقعناك! قال معاوية: يا أهل الشام؛ هؤلاء قومي وهذا كلامُهم.

مجاوبة بين بني أمية

ابن سعيد وابن عتبة في حضرة معاوية:

قال: لما أخرج أهل المدينة عمرو بن سعيد الأشدق، وكان ولِيهُم بعد الوليد بن عتبة بن أبي سفيان، قال عمر بن سعيد لمعاوية: إن الوليد بن عتبة هو الذي أمر أهلَ المدينة باخراجي؛ فأَرْسلْ إليه وتوثّقه. فأرسل إليه معاوية، فلما دخل عليه قال له عمرو: أوليد، أنت أمرت بإخراجي؟ قال لا ورحِمك أبا أمية، ولا أمرت أهلَ الكوفة بإخراج أبيك؛ بل كيف أطاعني أهل المدينة فيك، إلا أن تكون عَصَيت الله فيهم؟ إنك لتحل عُرى ملك شديدةً عقدتُها، وتمتري[1] أخلاف فيقَةٍ[2] سريعةٍ درتُها؛ وما جعل الله صالحاً مصلِحاً كفاسدٍ مفسِد!

معاوية وخالد بن عبد الله في أموال العراق:

جلس يوماً عبد الملك بن مروان وعند رأسه عبد الله بن خالد بن أسيد، وعند

(١) تمري: تمسح. (٢) الفيقة: اللبن يجتمع في الضرع ما بين الحلبتين.

رجليه أمية بن عبد الله بن خالد بن أسيد، وأُدخلت عليه الأموال التي جاءت من قِبل الحجاج حتى وُضعت بين يديه، فقال: هذا والله التوفير، وهذه الأمانة؛ لا ما فعل هذا ـ وأشار إلى خالد ـ آستعملته على العراق فاستعمل كل مُلِطٍّ[1] فاسق فأدّوا إليه العشرة واحداً، وأدّى إليّ من العشرة واحداً! واستعملت هذا على خراسان ـ وأشار إلى أمية ـ فأهدى إليّ برذونين حَطِمَيْن[2]، فإن استعملتكم ضيعتم وإن عزلتكم قلتم استخف بنا وقطع أرحامَنا! فقال خالد بن عبد الله: استعملتَني على العراق وأهلُه رجلان: سامع مطيع مناصح، وعدو مبغض مكاشح؛ فأما السامع المطيع المناصح فإنا جزيناه ليزداد وُدّاً إلى ودّه، وأما المبغض المكاشح، فإنا داريناه ضغنه وسللنا حقده، وكثرنا لك المودةَ في صدور رعيتك؛ وإن هذا جَبى الأموال وزرع لك البغضاءَ في قلوب الرجال؛ فيوشك أن تَنبت البغضاءُ فلا أموال ولا رجال! فلما خرج ابن الأشعث قال عبد الملك: هو والله ما قال خالد.

خالد بن يزيد ومحمد بن عمرو:

قدم محمد بن عمرو بن سعيد بن العاص الشام، فأتى عمتَه آمنة بنت سعيد بن العاص، وكانت عند خالد بن يزيد بن معاوية، فدخل عليه فرآه فقال له: ما يَقدم علينا أحدٌ من أهل الحجاز إلا اختار المقام عندنا على المدينة. فظن محمد أنه يعرّض به، فقال: وما يمنعهم وقد قدم من المدينة قوم على النواضح[3]، فنكحوا أمّك، وسلبوك ملكك، وفرّغوك لطلب الحديث وقراءة الكتب ومعالجةِ ما لا تَقدر عليه. يعني الكيميا، وكان يعملها.

عثمان وابن العاص بعد عزله عن مصر:

لما عزل عثمان بن العاص عن مصر وولاها عبد الله بن أبي سرح، دخل عليه عمرو وعليه جبة، فقال له: ما حشوُ جُبَّتك يا عمرو؟ قال: أنا! قال: قد علمت أنك فيها. ثم قال: أشعرت يا عمرو أن اللّقاحَ درّت بعدك ألبانها بمصر؟ قال: لأنكم أعجفتم[4] أولادَها.

---

(١) الملط: الذي يمنع الحق. (٢) حطمين: هزيلين.

(٣) النواضح: الإبل يستقي عليها الماء. (٤) أعجفتم: أهزلتم.

ابن لعمر بن عبد العزيز وابن لسليمان:

وقع بين ابن لعمر بن عبد العزيز وابنٍ لسليمان بن عبد الملك كلام. فجعل ابن عمر يذكر فضل أبيه، قال له ابن سليمان؛ إن شئت فأقلل وإن شئت فأكثر؛ ما كان أبوك إلا حسنةً من حسنات أبي! لأن سليمان هو ولي عمرَ ابن عبد العزيز.

العباس بن الوليد والوليد بن يزيد:

ذكروا أن العباس بن الوليد وجماعة من بني مروان كانوا عند هشام، فذكروا الوليد بن يزيد، فحمَّقوه وعابوه، وكان هشام يبغضه؛ ودخل الوليد، فقال له العباس بن الوليد: كيف حبُّك للروميات؟ قال: إن أباك كان مشغوفاً بهنّ. قال: إني لا أحبهن. [قال]: وكيف لا يُحببن وهن يلدن مثلك؟ قال: آسكت، فلستَ بالفحل يأتي عسْبه[1] بمثلي. قال له هشام: يا وليد، ما شرابك؟ قال: شرابُك يا أمير المؤمنين. وقام فخرج، فقال هشام: هذا الذي تزعمون أنه أحمق.

الوليد بن يزيد وولد لهشام:

وقرّب إلى الوليد بن يزيد فرسُه، فجمع جراميزه[2] ووثب على سرجه، ثم التفت إلى ولدٍ لهشام بن عبد الملك، فقال: يحسن أبوك أن يصنع مثلَ هذا؟ قال: لأبي مائة عبد يصنعون مثل هذا! فقال الناس: لم يُنصفه في الجواب.

عبد الملك ويحيى بن الحكم وبنت لعبد الرحمن بن هشام:

خطب عبد الملك بن مروان بنت عبد الرحمن بن الحرث بن هشام، فقالت: والله لا تَزوجني أبو الذباب! فتزوجها يحيى بن الحكم؛ فقال عبد الله ليحيى: أما والله لقد تزوجت أسودَ أفوَه[3]! قال يحيى: أما إنها أحبَّت مني ما كرهت منك! وكان عبد الملك رديء الفم، يدمي فيقع عليه الذباب، فسمي أبا الذباب.

---

(١) العسب: ماء الفحل. (٢) جراميزه: جسده وأعضاؤه.

(٣) الأفوه: الواسع الفم.

الجواب القاطع

ثابت بن عبد الله وسعيد بن عثمان:

نظر ثابت بن عبد الله بن الزبير إلى أهل الشام، فقال: إني لأبغض هذه الوجوه. قال له سعيد بن عثمان: تبغضهم لأنهم قتلوا أباك! قال: صدقت، ولكِن الأنصار والمهاجرون قتلوا أباك!

الحجاج وخارجي:

وقال الحجاج لرجل من الخوارج: والله إنك من قوم أبغضهم! قال له: أدخل اللهُ أشدّنا بغضاً لصاحبه الجنة.

عمرو بن معديكرب وباهلي:

وقال ابن الباهلي لعمرو بن معديكرب: إن مُهرك لمقرف[1]. قال: هجينٌ عرف هجيناً[2] مثله.

الحجاج وخارجية:

وقال الحجاج لامرأة من الخوارج: والله لأعُدَّنكم عَدّاً ولأحصُدَنَّكم حَصداً! قالت له: الله يزرع وأنت تحصد، فأين قدرة المخلوق من الخالق.

وأُتِيَ الحجاج بامرأة من الخوارج، فقال لأصحابها: ما تقولون فيها؟ قالوا: عاجلها القتل أيها الأمير، قالت الخارجية: لقد كان وزراء صاحبك خيراً من وزرائك يا حجاج! قال لها: ومن صاحبي؟ قالت: فرعون؛ استشارهم في موسى فقالوا: أرْجِهْ[3] وأخاه!

---

(١) المقرف من الخيل: الذي أمه عربية وأبوه غير عربي.

(٢) الهجين: الذي أبوه عربي وأمه غير عربية.

(٣) أرجه وأخاه: أخره وأخاه ولا تعجل لهما بشر (سورة الأعراف الآية ١١١).

زياد وخارجي:

وأُتِيَ زيادٌ برجل من الخوارج، فقال له: ما تقول فيّ وفي أمير المؤمنين؟ قال أما الذي تسميه أميرَ المؤمنين فهو أميرُ المشركين، وأما أنت فما أقول في رجل أوله لزنية وآخره لدعوة! فأمر به فقتل وصلب.

الأشعث وشريح:

قال الأشعث بن قيس لشريح القاضي: لشدّ ما ارتفعت! قال: فهل رأيت ذلك ضرك؟ قال: لا. قال: فأراك تعرف نعمة الله عليك وتجهلها على غيرك.

ابن الفضل وبعض قرابته:

نازع محمد بن الفضل بعض قرابته في ميراث، فقال له: يا بن الزنديق! قال له: إن كان أبي كما تقول وأنا مثله، فلا يحل لك أن تنازعني في هذا الميراث؛ إذ كان لا يرث دِينٌ ديناً.

الحجاج وخارجية:

وأُتي الحجاج بامرأة من الخوارج، فجعل يكلمها وهي لا تنظر إليه، فقيل لها الأمير يكلمك وأنت لا تنظرين إليه! قالت: إني لأستحي أن أنظر من لا ينظر الله إليه! فأمر بها فقتلت.

عثمان وعلي:

لقي عثمان بن عفان عليَّ بن أبي طالب، فعاتبه في شيء بلغه عنه، فسكت عنه علي؛ فقال له عثمان: مالك لا تقول؟ قال: له علي: ليس لك عندي إلا ما تحب وليس جوابك إلا ما تكره.

وتكلم الناس عند معاوية في يزيد ابنه إذ أخذ له البيعة، وسكت الأحنف؛ فقال له: مالك لا تقول أبا بحر؟ قال: أخافك إن صَدقْتُ وأخاف الله إن كذَبْتُ!

قال معاوية يوماً: أيها الناس، إن الله فضّل قريشاً بثلاث: فقال لنبيه عليه الصلاة والسلام: ﴿وأنذرْ عشيرَتكَ الأقربين﴾[١]، فنحن عشيرته؛ وقال: ﴿وإنهُ لذِكْرٌ لكَ ولقَوْمِكَ﴾[٢]، فنحنُ قومُهُ؛ وقال: ﴿لإيلافِ قُريْشٍ إيلافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتاءِ والصَّيْفِ فلْيَعْبُدوا رَبَّ هذا البيْتِ الذي أَطْعَمَهُم من جوعٍ وآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾[٣]، ونحن قريش! فأجابه رجل من الأنصار فقال: على رسلك يا معاوية، فإن الله يقول: ﴿وكذَّبَ بهِ قومكَ﴾[٤]، وأنتم قومه؛ وقال: ﴿ولمّا ضُرِبَ ابن مريَمَ مثَلاً إذا قومُكَ منه يَصِدُّونَ﴾[٥]، وأنتم قومه، وقال الرسول عليه الصلاة والسلام: ﴿يا رَبِّ إنّ قومي اتَّخَذُوا هٰذا القرآنَ مهجوراً﴾[٦]، وأنتم قومه؛ ثلاثة بثلاثة، ولو زدتَنا لزدناك! فأفحَمه.

وقال معاوية لرجل من اليمن: ما كان أجهلَ قومَك حين ملّكوا عليهم امرأة! فقال: أجهلُ من قومي قومُك الذين قالوا حين دعاهم رسولُ الله ﷺ: ﴿اللهُمَّ إن كانَ هذا هو الحقَّ من عِندِك فأَمْطِر علينا حِجارةً مِنَ السماءِ أَوِ ائْتِنا بعذابٍ أليمٍ﴾[٧]، ولم يقولوا: اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فاهدنا إليه.

مجاوبة الأمراء والردّ عليهم

قال معاوية لجارية بن قدامة: ما كان أهونَك على أهلك إذ سموك جارية. قال: ما كان أهونَك على أهلك إذ سموك معاوية، وهي الأنثى من الكلاب. قال: لا أمّ لك! قال: أمي ولدتني للسيوف التي لقيناك بها في أيدينا. قال: إنك لتهدِّدني! قال: إنك لم تفْتَتِحْنا قسرا ولم تَمِلكنا عَنوة، ولكنك أعطيتَنا عهدا وميثاقاً وأعطيناك سمعا وطاعة، فإن وفَيْتَ لنا وفيْنا لك، وإن فزعت إلى غير ذلك، فإنا تركنا وراءنا رجالا شدادا وألسنة حداداً.

---

(١) سورة الشعراء الآية ١٢٤. (٢) سورة الزخرف الآية ٤٤.
(٣) سورة قريش الآية ١ ـ ٣. (٤) سورة الأنعام الآية ٦٦.
(٥) سورة الزخرف الآية ٥٧. (٦) سورة الفرقان الآية ٣٠. (٧) سورة الأنفال الآية ٣٢.

قال له معاوية: لا كثّر الله في الناس أمثالَك. قال جارية: قَلْ معروفاً وراعنا؛ فإن شر الدعاء المحتطَب.

معاوية والأحنف:

عدّد معاوية بن أبي سفيان على الأحنف ذنوباً، فقال: يا أمير المؤمنين، لم تردّ الأمور على أعقابها؛ أما والله إن القلوب التي أبغضناك بها لبيْنَ جوانحنا، والسيوف التي قاتلناك بها على عواتقنا؛ ولئن مددتَ فِتْراً من غَدْر لنَمُدَّن باعاً من خترٍ؛[1] ولئن شئت لنستصفينَّ كدرَ قلوبنا بصفو حلمك. قال: فإني أفعل!.

معاوية وعدي:

قال معاوية لعدي بن حاتم: ما فعلت الطرفات يا أبا طريف؟ يعني أولاده؛ قال: قُتلوا! قال: ما أنصفك ابن أبي طالب إذ قُتِل بنوك معه وبَقِيَ له بنوه! قال: لئن كان ذلك لقد قُتل هو وبقيتُ أنا بعده! قال له معاوية: ألم تزعم أنه لا يُخْنَق في قتل عثمان عنز؟ قال: قد والله خُنق فيه التيس الأكبر. قال معاوية: أما إنه قد بقيت من دمه قطرة ولا بد أن أتبعها! قال عدي: لا أبا لك! شِمِ[2] السيف، فإنّ سلَّ السيف يَسُلُّ السيف. فالتفت معاوية إلى حبيب بن مسلمة فقال: أجعلها في كتابك فإنها حكمة.

الأحنف وشامي لعن عليا:

الشيباني عن أبي الجناب الكِندي عن أبيه، أن معاوية بن أبي سفيان بينا هو جالس وعنده وجوه الناس، إذ دخل رجل من أهل الشام فقام خطيبا، فكان آخر كلامه أن لعن عليا؛ فأطرق الناس وتكلم الأحنف فقال: يا أمير المؤمنين، إن هذا القائل ما قال آنفا لو يعلم أن رضاك في لعْن المرسلين لعنهم، فاتق الله ودع عنك عليا، فقد لقي

---

(١) الختر: غدر أقبح من الغدر. (٢) شام السيف: سله وأغمده، فهي من الأضداد.

ربَّه، وأُفرد في قبره، وخلا بعمله؛ وكان والله - ما علمنا - المبّرز بسبقه، الطاهرَ خلقه، الميمونَ نقيبتُه[1]، العظيمَ مصيبتُه فقال له معاوية: يا أحنف، لقد أغضيت العين على القذى، وقلت ما ترى! وآيم الله لتصعدنّ المنبر فتلعننّه طوعا أو كرها، فقال له الأحنف يا أمير المؤمنين، إن تعفني فهو خيرٌ لك، وإن تجبُرْني على ذلك فوالله لا تجري فيه شفتاي أبداً! قال: قم فاصعد المنبر. قال الأحنف: أما والله مع ذلك لأنصفنك في القول والفعل. قال: وما أنت قائل يا أحنف إن أنصفتَني؟ قال: أصعدُ المنبر فأحمد الله بما هو أهله، وأصلّ على نبيه ﷺ، ثم أقول: أيها الناس، إن أمير المؤمنين معاوية أمرني أن ألعن عليا، وإن عليا ومعاوية اختلفا فاقتتلا، وادّعى كلّ واحد منهما أنه بُغي عليه وعلى فئته؛ فإذا دعوتُ فأمّنوا رحمكم الله. ثم أقول: اللهم العن أنت وملائكتُك وأنبياؤك وجميعُ خلقك الباغيّ منهما على صاحبه؛ والْعَنِ الفئة الباغية؛ اللهم العنهم لعنا كبيراً! أمّنوا رحِمكم الله. يا معاوية، لا أزيد على هذا ولا أنقص منه حرفاً ولو كان فيه ذهاب نفسي؛ فقال معاوية: إذاً نُعْفيك يا أبا بحر.

معاوية وعقيل في أمر علي:

وقال معاوية لعقيل بن أبي طالب: إن عليا قد قطعك ووصلتُك؛ ولا يرضيني منك إلا أن تلعنه على المنبر! قال: أفعل، فأصعد، فصعد، ثم قال بعد أن حمد الله وأثنى عليه: أيها الناس، إن أمير المؤمنين معاوية أمرني أن ألعن عليَّ بن أبي طالب فالعنوه فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ثم نزل، فقال له معاوية إنك لم تبين أبا يزيد من لعنتَ بيني وبينه. قال: والله لازدتُ حرفاً ولا نقَصتُ آخر، والكلام إلى نية المتكلم.

الهيثم بن عدي قال: قال معاوية لأبي الطفيل: كيف وجْدُك على عليّ؟ قال: وجدُ ثمانين مثكلا! قال: فكيف حبُّك له؟ قال: حب أم موسى، وإلى الله أشكو التقصير!

---

(١) ميمون النقيبة: مبارك النفس مظفر فيما يحاول.

وقال مرة أخرى: أبا الطفيل! قال: نعم. قال: أنت مِنْ قتلة عثمان؟ قال: لا، ولكني ممن حضره ولم ينصره. قال: وما منعك من نصره؟ قال: لم ينصره المهاجرون والأنصار، فلم أنصره. قال: لقد كان حقُّه واجبا وكان عليهم أن ينصروه. قال: فما منعَك من نصرته يا أمير المؤمنين وأنت ابن عمه؟ قال: أو ما طلبي بدمه نصرة له؟ فضحك أبو الطِفيل وقال: مثلك ومثل عثمان كما قال الشاعر:

لأعرفنَّك بعد الموْتِ تَندُبُني وفي حياتي ما زوّدْتَني زادا

معاوية وابن الخطل:

العتبي قال: صعد معاوية المنبر فوجد من نفسه رقة، فقال بعد أن حمد الله وأثنى عليه: أيها الناس، إن عمر ولاني أمراً من أمره، فوالله ما غششتُه ولا خنتُه ثم ولاني الأمر مَن بعده ولم يجعل بيني وبينه أحداً؛ فأحسنت والله وأسأت، وأصبت وأخطأت؛ فمن كان يجهلني فإني أعَرِّفه بنفسي. فقام إليه سلمة بن الخَطِل العرجيّ؛ فقال: أنصفت يا معاوية وما كنت منصفا. قال فغضب معاوية وقال: ما أنت وذاك يا أحدب؟ والله لكأني أنظر إلى بيتك بمهْيعة،[1] وبطنب[2] تَيْس، وبطنب بهمة، بفنائه أعنز عشر، يحتلبن في مثل قوارة حافر العَير،[3] تهفو الريح منه بجانب، كأنه جناح نسر. قال: رأيت والله ذاك في شر زماننا إلينا، ووالله إن حَشْوه يومئذ لحسبٌ غير دنس؛ فهل رأيتني يا معاوية أكلت مالا حراما أو قتلت امرأً مسلما؟ قال: وأين كنت أراك وأنت لا تدبُّ إلا في خمر؟ وأي مسلم يعجز عنك فتقتله؟ أم أي مال تقوى عليه فتأكله؟ اجلس لا جلست. قال: بل أذهب حتى لا تراني. قال إلى أبعد الأرض لا إلى أقربها فمضى، ثم قال معاوية: رُدّوه عليّ، فقال الناس: يعاقبه! فقال له: أستغفر الله منك يا أحدب، والله لقد بررتَ في قرابتك، وأسلمت فحُسن إسلامك، وإن أباك لسيّدُ قومه؛ ولا أبرح أقول بما تحب فاقعد.

---

(١) المهيعة: الجحفة بين الحرين.

(٢) الطنب: عرق الشجر وعصب الجسد.

(٣) قوارة حافر العير: يريد ما يقور من باطن حافره.

معاوية وخريم الناعم:

الأوزاعي قال: دخل خريم الناعم على معاوية، فنظر إلى ساقيه فقال: أيُّ ساقين. لو أنهما على جارية. قال في مثل عجيزتك يا أمير المؤمنين. قال معاوية: واحد بأخرى والبادي أظلم.

عبد الملك وعطاء:

دخل عطاء المُضحك على عبد الملك بن مروان، فقال له: أمَا وجَدَتْ لك أمك آسما إلا عطاء؟ قال: لقد استكثرت من ذلك ما استكثرتَه يا أمير المؤمنين، ألاَ سمْتني باسم المباركة، صلوات الله عليها، مريم.

معاوية وصحار:

قال معاوية لصُحار بن العباس العبدي: يا أزرق. قال: البازي أزرق. قال: يا أحمر. قال: الذهب أحمر. قال: ما هذه البلاغة فيكم عبد القيس؟ قال: شيءٌ يختلج في صدورنا فتقذفه ألسنتُنا كما يقذف البحر الزَّبَد. قال: فما البلاغة عندكم؟ قال: أن نقول فلا نخطيء، ونجيب فلا نُبطيء.

ابن عامر وابن حازم:

وقال عبد الله بن عامر بن كريز لعبد الله بن حازم يا بن عَجْلَى. قال: ذاك اسمها. قال: يا بن السوداء. قال: ذاك لونها. قال: يا بن الأمة. قال: كل أنثى أمة فاقصد بذرعك لا يرجع سهمك عليك؛ إن الإماء قد ولدْنَك.

عبد الملك وابن ظبيان:

دخل عبيد الله بن زياد بن ظبيان على عبد الملك بن مروان، فقال له عبد الملك: ما هذا الذي يقول الناس؟ قال: وما يقولون؟ قال: يقولون إنك لا تشبه أباك قال: والله لأنا أشبه به من الماء بالماء، والغراب بالغراب؛ ولكن أدلك على من لم يشبه أباه.

قال: من هو؟ قال: من لم تُنضجه الأرحام، ولم يولد لتمام، ولم يشبه الأخوال والأعمام. قال: ومن هو؟ قال: ابن عمي سويد بن منجوف. وإنما أراد عبد الملك ابن مروان، وذلك لأنه وُلد لستة أشهر.

هشام وزيد ابن علي:

دخل زيد بن عليّ على هشام بن عبد الملك، فلم يجد موضعا يقعد فيه: فعلم أن ذلك فُعل به على عمد؛ فقال: يا أمير المؤمنين، اتق الله. قال: أو مثلك يا زيد يأمر مثلي بتقوى الله؟ قال زيد: إنه لا يكبر أحدٌ فوق تقوى الله، ولا يصغر دون تقوى الله. قال له هشام: بلغني أنك تحدّث نفسك بالخلافة ولا تصلح لها؛ إنك ابن أمة. قال: زيد: أما قولك إني أحدِّث نفسي بالخلافة، فلا يعلم الغيب إلا الله؛ وأما قولك إني ابن أمة، فهذا إسماعيل بن إبراهيم خليل الرحمن ابن أمة من صُلبه خير البشر محمدٌ ﷺ، وإسحاق ابن حرة. أُخرج من صلبه القردة والخنازير وعبدة الطاغوّت. قال له: قم. قال: إذن لا تراني إلا حيث تكره. فلما خرج من عنده قال: ما أحب أحد قط الحياة إلا ذَل. قال له حاجبه: لا يسمع هذا الكلام منك أحد.

وقال زيد بن علي:

سرَّدَه الخوْف وازْرى بـــــه ... كذاك مـن يَكـره حَـرَّ الجِلادْ[1]
مُحْتفِـي الرِّجْليْـن يشكـو الوجـا ... تقْـرعُـه أطـرافُ مَـرْوٍ حِـدَادْ[2]
قـد كـان في الموْتِ لـه راحـة ... والموتُ حَتْـمٌ في رقـاب العِبـادْ

ثم خرج بخراسان، فقتل وصلب في كناسة. وفيه يقول سُديف بن ميمون في دولة بني العباس:

واذكـروا مَقْـل الحسيْـنِ وزيْـداً ... وقتيلاً بجانـــب المِهْــراس[3]

(١) الجلاد: يريد موضع الجلاد، وهو الضرب بالسيف في القتال.

(٢) المرو: حجارة بيض رقاق. (٣) المهراس: ماء بأحد.

يريد حمزة بن عبد المطلب المقتول بأحد .

عبد الملك ورجل من قيس:

دخل رجل من قيس على عبد الملك بن مروان؛ فقال: زُبيري . والله لا يحبك قلبي أبداً . قال: يا أمير المؤمنين، إنما يجزع مِن الحب النساء، ولكن عدل وإنصاف .

عمر بن الخطاب وأبو مريم:

وقال عمر بن الخطاب لأبي مريم الحنفي قاتل زيد بن الخطاب: والله لا يحبك قلبي أبداً حتى تحب الأرض الدم. قال: يا أمير المؤمنين، فهل تمنعني لذلك حقا؟ قال: لا . قال: فحسبي .

سليمان ويزيد ابن أبي مسلم:

دخل يزيد بن أبي مسلم على سليمان بن عبد الملك، فقال: على امريء أوطأك رسَنَه وسلَّطك على الأمة لعنة الله . فقال: يا أمير المؤمنين، إنك رأيتني والأمر مدبر عني ولو رأيتني والأمر مقبل عليَّ لعظم في عينك ما استصغرت مني . قال: أتظن الحجاج استقر في قعر جهنم أم هو يهوي فيها؟ قال: يا أمير المؤمنين، إن الحجاج يأتي يوم القيامة بين أبيك، وأخيك فضعه من النار حيث شئت .

مروان وزفر:

وقال مروان بن الحكم لزفر بن الحارث: بلغني أن كندة تدَّعيك . قال: لا خير فيمن لا يتَّقي رهبة ولا يدَّعي رغبة .

مروان وابن ولجة:

قال مروان بن الحكم للحسن بن دُلْجة: إني أظنك أحمق . قال: [أحمق] ما يكون الشيخ إذا عمل بظنِّه .

مروان وحويطب:

وقال مروان لحويطب بن عبد العُزَّى، وكان كبيراً مُسناً. أيها الشيخ، تأخر إسلامك حتى سبقَك الأحداث. فقال: الله المستعان، والله لقد هممت بالإسلام غير مرة، وكل ذلك يعوقني عنه أبوك وينهاني، ويقول: يضع من قدرك أن تترك دين آبائك لدينٍ محدَث، وتصير تابعاً فسكت مروان.

عبد الملك وثابت بن عبد الله:

قال عبد الملك بن مروان لثابت بن عبد الله بن الزبير: أبوك ما كان أعلم بك حيث كان يشتمك. قال: يا أمير المؤمنين، إنما كان يشتمني أني كنت أنهاه أن يقاتل بأهل المدينة وأهل مكة؛ فإن الله لا ينصر بهما؛ أما أهل مكة فأخرجوا النبي ﷺ وأخافوه، ثم جاءوا إلى المدينة فآذوه حتى سيرهم ـ يعرِّض بالحكم بن أبي العاص طريد النبي ﷺ ـ؛ وأما أهل المدينة فخذلوا عثمان حتى قُتل بين أظهرهم ولم يدفعوا عنه. قال له: عليك لعنة الله.

معاوية والبراءة من علي:

جلس معاوية يبايع الناس على البراءة من عليّ؛ فقال له رجل من بني تميم: يا أمير المؤمنين، نطيع أحياءكم ولا نبرأ من موتاكم. فالتفت معاوية إلى زياد فقال: هذا رجل فاستَوْص به.

معاوية والأنصار:

قال معاوية يوما: يا معشر الأنصار، بمَ تطلبون ما عندي؟ فوالله لقد كنتم قليلا معي كثيراً معي عليّ، ولقد فَلَلتم حدَّي يوم صِفين حتى رأيت المنايا تتلظى من أسنتكم، ولقد هجوتموني [في أسلافي] بأشدَّ من وخز الأسل،[1] حتى إذا أقام الله

---

(١) الأسل: الشوك الطويل، والرماح، والنبل.

مِنَّا ما حاولتم مِثْله، قلتم آرْع فينا وصية رسول الله ﷺ. هيهات. يأبى الحَقِينُ العِذْرة[1].

فأجابه قيس بن سعد، قال أما قولك جئناك نطلب ما عندك، فبالإسلام الكافي به الله ما سواه، لا بما نمتّ إليك به من الأحزاب؛ وأما استقامة الأمر، فعلى كره منا كان؛ وأما فَلّنا حدَّك يوم صِفين، فأَمْرٌ لا نعتذر منه؛ وأما عداوتنا لك، فلو شئت كفَفتَها عنك؛ وأما هِجَاؤنا إياك، فقولٌ يَثبت حقُّه ويزول باطله؛ وأما وصية رسول الله ﷺ، فمن يؤمنْ بها يحفظْها مِن بعده؛ وأما قولك يأبى الحقين العِذْرة، فليس دون الله يدٌ تحجزك منا؛ فدونك أمرك يا معاوية؛ فإنما مثلك كما قال الشاعر:

يا لكِ من قُبَّرَةٍ بَمعْمَرِ ... خلاَلك الجوُّ فبيضي واصْفِري[2]

سليمان وابن المهلب:

وقال سليمان بن عبد الملك ليزيد بن المهلب: فيمن العزّ بالبصرة؟ قال: فينا وفي حلفائنا من ربيعة. قال سليمان: الذي تحالفتما عليه أعزّ منكما.

عمر بن الخطاب وعبد الله بن الزبير:

مرّ عمر بن الخطاب بالصبيان يلعبون وفيهم عبد الله بن الزبير، ففرّوا وثبت ابن الزبير؛ قال له عمر: كيف لم تفرَّ مع أصحابك؟ قال: لم أجترم[3] فأخافك، ولم يكن بالطريق من ضيق فأوسِّع لك!

عبد الله بن الزبير وعدي بن حاتم:

وقال عبد الله بن الزبير لعدي بن حاتم: متى فقئتْ عينك؟ قال: يوم قتِل أبوك، وهربتَ عن خالتك، وأنا للحقّ ناصر، وأنت له خاذل. وكان فقئت عينه يوم الجمل.

---

(١) يضرب مثلاً للرجل يعتذر ولا عذر له.

(٢) صفر الطائر: أي مكا. (٣) أجترم: أقترف جرماً.

الرشيد وابن مزيد:

وقال هارون الرشيد ليزيد بن مزيد: ما أكثر الخلفاءَ في ربيعة؟ قال: نعم، ولكن منابرهم الجذوع.

يزيد بن معاوية والمسود:

كان المِسْور بن مخرمة جليلا نبيلا، وكان يقول في يزيد بن معاوية إنه يشرب الخمر؛ فبلغه ذلك؛ فكتب إلى عامله بالمدينة أن يجلده الحدّ، ففعل، فقال المسور في ذلك:

أَيشرَبُها صِـرْفـا يفُـضّ ختـامَهـا   أبـو خـالـدٍ ويُجلَـد الحد مِسْـوَرُ

المأمون وابن أكثم:

قال المأمون ليحيي بن أكثم القاضي: أخبرني من الذي يقول:

قـاضٍ يَـرى الحدّ في الزِّنـاء ولا   يـرى على مَـن يَلـوط مـن بَـاس

قال: يقوله يا أمير المؤمنين الذي يقول:

لا أَحسـبُ الجوْرَ ينقضي وعلى الْـ   ـأمّـة والٍ مـن آل عبّـاسِ

قال: ومن يقوله؟ قال: أحمد بن نعيم. قال: يُنفى إلى السند. وإنما مزْحنا معك.

سليمان وابن الرقاع:

قال سليمان بن عبد الملك لعدي بن الرقاع: أنشدني قولك في الخمر:

كُميْت إذا شُجّت، وفي الكـأس ورْدة   لها في عِظـام الشـاربين دَبيـبُ

تُريك القذَى مِن دونِها وهي دونَـه   لوجه أخيها في الإنـاء قطـوب[1]

فأنشده؛ فقال له سليمان: شربتَها ورب الكعبة! قال عدي: والله يا أمير المؤمنين، لئن رابك وصْفي لها قد رابني معرفتك بها! فتضاحكا وأخذا في الحديث.

---

(١) القطوب: القابض ما بين عينيه من جلد عابساً.

بلال وخالد بن صفوان:

الأصمعي قال: لما ولي بلال بن أبي بردة البصرة بلغ ذلك خالد بن صفوان، فقال:

سحابة صيفٍ عن قليل تقشَّعُ

فبلغ ذلك بلالا فدعا به، فقال؛ أنت القائل؟

سحابة صيفٍ عن قليل تقشع؟

أما والله لا تقشع حتى يصيبك منها شؤبوب[1] برد! فضربه مائة سوط.

وكان خالد يأتي بلالا في ولايته، ويغشاه في سلطانه، ويغتابه إذا غاب عنه. ويقول ما في قلب بلال من الإيمان إلا ما في بيت أبي الزرد الحنفي من الجوهر. وأبو الزرد رجل مفلس.

عتبة وخالد القسري:

دخل عتبة بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام على خالد بن عبد الله القسري بعد حجاب شديد، وكان عتبة رجلا سخيا، فقال له خالد يعرّض به: إن ها هنا رجالا يُداينون في أموالهم، فإذا فنَبت يداينون في أعراضهم! فعلم القرشي أنه يعرّض به؛ فقال: أصلح الله الأمير، إن رجالا تكون أموالهم أكثر من مروءاتهم، فأولئك تبقى أموالهم؛ ورجالا تكون مروءاتهم أكثر من أموالهم، فإذا نفدت ادانوا على سعة ما عند الله! فخجل خالد وقال: أما إنك منهم ما علمت.

شريك والربيع:

كان شريك القاضي يشاحن الربيع صاحب شرطة المهدي فحمل الربيعُ المهديَّ عليه، فدخل شريك يوما على المهدي، فقال له المهدي: بلغني أنك وُلدت في

---

(١) الشؤبوب: الدفعة من المطر. والشدة من كل شيء.

قوصرة.[1] فقال: ولدت يا أمير المؤمنين بخراسان، والقواصر هناك عزيزة، قال: إني لأراك فاطميا خبيثا! قال: والله لإني لأحب فاطمة وأبا فاطمة . ﷺ ؛ قال: وأنا والله أحبها؛ ولكني رأيتك في منامي مصروفا وجهك عني، وما ذاك إلا لبغضك لنا؛ وما أراني إلا قاتلك لأنك زنديق! قال: يا أمير المؤمنين؛ إن الدماء لا تسفك بالأحلام؛ وليست رؤياك رؤيا يوسف النبي ﷺ ؛ وأمّا قولك بأني زنديق، فإنّ للزنادقة علامة يُعرفون بها . قال: وما هي؟ قال: بشرب الخمر والضرب بالطنبور، قال: صدقت أبا عبد الله، وأنت خير من الذي حملني عليك.

عمر بن الخطاب وابن العاص:

قال عمر بن الخطاب لعمرو بن العاص لما قدم عليه من مصر: لقد سرت سيرة عاشق. قال: والله ما تأبطتْني الإماء ولا حملتني البغايا في غُبْرات المآلي![2] قال عمر: والله ما هذا جواب كلامي الذي سألتك عنه، وإن الدجاجة لتفحص في الرماد فتضع لغير الفحل، والبيضة منسوبة إلى طَرْقها.[3] وقام عمر فدخل، فقال عمرو: لقد فحش علينا أمير المؤمنين!

بين عبدالله بن مسلم والحضين بن المنذر:

وتزعم الرواة أنّ قتيبة بن مسلم لما افتتح سمرقند أفضى إلى أثاث لم يُرَ مثله، وإلى آلات لم ير مثلها، وأراد أن يُري الناس عظيم ما فتح الله عليهم، ويعرّفهم أقدار القوم الذين ظهروا عليهم، فأمر بدارٍ ففرشت وفي صحنها قدور أشتات تُرتَقى بالسلالم؛ فإذا الحضين بن المنذر بن الحارث بن وعلة الرقاشي قد أقبل والناس جلوس على مراتبهم، والحضين شيخ كبير؛ فلما رآه عبدالله بن مسلم قال لقتيبة: ائذن لي في كلامه. فقال: لا تردّه فإنه خبيث الجواب. فأبي عبدالله إلا أن يأذن له. وكان

(١) القوصرة؛ وعاء من قصب. (٢) المآلي: خرق الحيض.

(٣) كانت أم عمرو مغنية، وكان يأتيها غير واحد، وقد ألحق عمرو بالعاص لشبهة به.

عبد الله يضَعَّف،[1] وكان قد تسوّر حائطا إلى امرأة قبل ذلك؛ فأقبل على الحضين فقال: أمِن الباب دخلت يا أبا ساسان؟ قال: أجل، ضعف عمُّك عن تسوّر الحيطان! قال: أرأيت هذه القدور؟ قال: هي أعظم من أن لا تُرى. قال: ما أحسب بكر بن وائل رأى مثلها. قال: أجل، ولا عيلان؛ ولو كان رآها سُمِّي شعبان، ولم يسمَّ عيلان! قال له عبد الله: أتعرف الذي يقول:

عزلْنا وأمَّرْنا، وبكر بن وائلٍ ... تَجرّ خُصاها تبتغي مَن تُحالفُ

قال: أعرفه وأعرف الذي يقول:

وخَيبة من يخيب على غنيّ ... وباهلة بن يَعْصر والرَّباب

يريد: يا خيبة من يخيب.

قال: أتعرف الذي يقول:

كأنّ فِقاح الأزْد حوْل ابن مِسمعٍ ... إذا عَرِقتْ أفواه بكر بن وائلِ[2]

قال: نعم، وأعرف الذي يقول:

قوْم قتيبة أمّهم وأبوهم ... لولا قتْيبة أصبحوا في مَجهلِ

قال: أمّا الشعر فأراك ترويه، فهل تقرأ من القرآن شيئاً؟ قال: نعم، أقرأ منه الأكثر: ﴿هل أتى على الإنسان حِينٌ من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً﴾.[3] قال: فأغضبه، فقال: والله لقد بلغني أنّ امرأة الحضين حُملت إليه وهي حبلى من غيره! قال: فما تحرّك الشيخ عن هيئته الأولى؛ ثم قال على رِسله: وما يكون؟ تلد غلاما على فراشي فيقال فلان بن الحضين، كما يقال عبد الله بن مسلم! فأقبل قتيبة على عبد الله فقال: لا يبعد الله غيرك!

والحضين هذا هو الحضين بن منذر الرقاشي، ورقاش أمّهم، وهو من بني شيبان

---

(١) يضعّف: يوصف بالضعف في عقله ورأيه.

(٢) الفقاح: جمع فقحة وهي الدبر. (٣) سورة الإنسان الآية ٧٦.

ابن بكر بن وائل، وهو صاحب لواء علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه بصفين على ربيعة كلها . وله يقول علي بن أبي طالب:

لَمن رايةٌ سوداءُ يَخفِق ظلّها إذا قيل قدّمها حضيْن تقدُّما
يقدّمها في الصفّ حتى يزُيرَها حِياضَ المنايا تَقطر السُّمَّ والدَّما
جزى الله عني والجزاءُ بفضله رَبيعةَ خيراً ما أعَفَ وأكرَما

ابن الجارود وابن العاص:

وقال المنذر بن الجارود العبدي لعمرو بن العاص: أيُّ رجل أنت لو لم تكن أمّك! ممن هي؟ قال: أحمد الله إليك؛ لقد فكرت فيها البارحة، فجعلت أنقلها في قبائل العرب فما خطرت لي عبد القيس ببال.

ابن صفوان وداري:

قال خالد بن صفوان لرجل من بني عبد الدار وسمعه يفخر بموضعه من قريش ـ فقال له خالد: لقد هشمتك هاشم، وأمَّتْك[1] أميّة، وخزمتْك مخزوم، وجمحتْك جُمَح، وسهمتك[2] سهم؛ فأنت ابنُ عبد دارها، تفتح الأبواب إذا أُغلقت، وتغلقها إذا فتِحت.

جواب في هزل

المغيرة وأعرابي يؤكله:

كان للمغيرة بن عبد الله الثقفي وهو والي الكوفة، جَدْيٌ يوضع على مائدته، فحضره أعرابي، فمد يده إلى الجدي وجعل يسرع فيه؛ فقال له المغيرة: إنك لتأكله بحرْدٍ[3] كأن أمه نطحتك! قال: وإنك لمشْفق عليه كأنّ أمه أرضعتك.

---

(١) أمه: أصاب أم رأسه. (٢) سهمتك: قرعتك وغلبتك.

(٣) حرد الرجل: إذا اغتاظ فتحرش بالذي غاظه وهم به.

ابن عنبسة وإبراهيم في حضرة هشام:

كان إبراهيم بن عبد الله بن مطيع جالسا عند هشام، إذ أقبل عبد الرحمن بن عنبسة بن سعيد بن العاص، أحمرَ الجبة والمطرف والعمامة؛ فقال إبراهيم؛ هذا ابن عنبسة قد أقبل في زينة قارون! قال: فضحك هشام؛ قال له عبد الرحمن: ما أضحكك يا أمير المؤمنين؟ فأخبره بقول إبراهيم؛ قال له عبد الرحمن: لولا ما أخاف من غضبه عليك وعليّ وعلى المسلمين لأجبتُه! قال: وما تخاف من غضبه؟ قال: بلغني أن الدجال يخرج من غضبةيغضبها. وكان إبرهيم أعور! قال إبراهيم لولا أن له عندي يداً عظيمة لأجبتُه! قال: وما يده عندك؟ قال: ضربه غلام له بمدية فأصابه، فلما رأى الدم فزع، فجعل لا يدخل عليه مملوك إلا قال له: أنت حُر! فدخلت عليه عائدا له، فقلت له: كيف تجدك؟ قال لي: أنت حر! قلت له: أنا إبراهيم! قال لي: أنت حُر، فضحك هشام حتى استلقى.

ابن حسان وعطاء:

قال عبد الرحمن بن حسان لعطاء بن أبي صيفي بن ثابت: لو أصبت ركوة مملوءة خمرا بالبقيع ما كنت صانعاً؟ قال: كنت أعرّفها بين التجار، فإن لم تكن لهم فهي لك! لكن أخبرني عن الفريعة أهي أكبر أم ثابت، وقد تزوجها قبله أربعة، كلهم يلقاها بمثل ذراع البَكر ثم يطلقها عن قِلي،[1] فقيل لها: يا فريعة، لم تطلقين وأنت جميلة حلوة؟ قالت: يريدون الضيق ضيَّق الله عليهم...!

جارية وقرشي:

ولقي رجل من قريش كان به وضح[2] جارية من بدر وكان مغرماً بالشراب؛ فقال لها: أشعرتِ أنه بُعث نبيٌّ لهذه الأمة يُحل الخمر للناس؟ قالت: إذاً لا نصدّق به حتى يبرىء الأكمه والأبرص!.

---

(١) القلى: البغض والهجر. (٢) الوضح: البرص والغرة.

الزبرقان وزياد:

ودخل الزبرقان بن بدر على زياد، فسلَّم تسليما جافياً، فأدناه زياد وأجلسه معه؛ ثم قال له: يا أبا عباس الناس يضحكون من جفائك! قال: ولم ضحكوا؟ فوالله إنْ منهم رجل إلا ودَّ أنّي أبوه دون أبيه، لغيَّة كان أو لِرشدة!

دخل الفرزدق على بلال بن أبي بردة وعنده ناس من اليمامة يضحكون، فقال: يا أبا فراس، أتدري ممَّ يضحكون؟ قال: لا أدري. قال: من جفائك. قال: أصلح الله الأمير. حججتُ فإذا رجل على عاتقه الأيمن صبي، وامرأةٌ آخذة بمئزره وهو يقول:

أَنْـتَ وهَبْـتَ زائِـداً ومِـزْيَـداً وكهْلَـةً أُولِـج فيهـا الأجْـرِدَا!

وهي تقول: إذا شئت. فسألت: ممن الرجل؟ قال: من الأشعريين. فأنا أجفي من ذلك الرجل؟ قال: لا حياك الله! فقد علمت أنا لا نُفلت منك.

كوسج ومسبل:

اجتمع كوسج[1] مع رجل مُسبل، فقال المسبل[2]: ﴿والبلَدُ الطيِّبُ يَخرُجُ نباتُه بإذنِ ربه، والذي خَبُثَ لا يَخْرُجُ إلا نَكِدا﴾[3]! قال الكوسج: ﴿قُل لا يَستَوي الخبيثُ والطَّيِّبُ ولو أعجبَك كثْرَةُ الخبيث﴾[4].

مسلمة وموسوس:

مر مسلمة بن عبد الملك، وكان من أجمل الناس، بموسوس على مزبلة؛ فقال الموسوس: لو رآك أبوك آدم لقرّت عينُه بك. قال له مسلمة: لو رآك أبوك آدم لأذهب سخنةُ عينه بك قرةَ عينه بي. وكان مسلمة من أحضر الناس جواباً.

---

(١) الكوسج: الذي لا شعر على عارضيه. (٢) المسبل: الذي قد أسبل لحيته.
(٣) سورة الأعراف الآية ٥٨. (٤) سورة المائدة الآية ١٠٠.

النخعي والأعمش:

خرج إبراهم النخعي، وقام سليمان الأعمش يمشي معه؛ فقال إبراهيم: إن الناس إذا رأونا قالوا: أعور وأعمش! قال: وما غلبك أن يأثموا ونُؤجَر؟ قال: وما عليك أن يَسلموا ونَسلم؟

شداد وأسود:

وقال شداد الحارثي: لقيت أسود بالبادية فقلت: لمن أنت يا أسود؟ قال: لسيد الحي يا أصلع! قلت: ما أغضبك من الحق؟ قال لي: الحق أغضبك. قلت: أولست بأسود؟ قال: أولست بأصلع.

ابن أسماء في سجن الكوفة:

أُدخل مالك بن أسماء السجن، سجن الكوفة؛ فجلس إليه رجل من بني مرة فاتكأ عليه المري يحدثه؛ ثم قال: أندري كم قتلنا منكم في الجاهلية؟ قال: أما في الجاهلية فلا، ولكن أعرف من قتلتم منا في الإسلام! قال: ومن قتلنا منكم في الإسلام! قال: أنا، قد قتلتَني بنتن إبْطيك!

نميرية في يوم ريح:

مرت امرأة من بني نمير على مجلس لهم في يوم ريح، فقال رجل منهم: إنها لرسحاء[1]! قالت: والله يا بني نمير ما أطعتم الله ولا أطعتم الشاعر؛ قال الله تبارك وتعالى: ﴿قُل لِلمؤْمنينَ يَغُضّوا من أبصارهِمْ﴾[2]. وقال الشاعر:

فغُضَّ الطَّرف إنَّك من نُمَيْرٍ

(١) الرسحاء: قليلة لحم العجز والفخذين.

(٢) سورة النور الآية ٣٠.

لشريح:

قيل لشريح: أيهما أطيبُ: الجوْزنيق أم اللَّوزنيق[1]؟ قال: لست أحكم على غائب.

هشام والفرزدق:

هشام بن القاسم قال: جمعني والفرزدق مجلس، فتجاهلت عليه فقلت: مَن الكهل؟ قال: وما تعرفني؟ قلت: لا! قال: أبو فراس. قلت: ومن أبو فراس قال: الفرزدق. قلت: ومن الفرزدق؟ قال: وما تعرف الفرزدق؟ قلت: لا أعرف الفرزدق إلا شيئاً يفعله النساء عندنا يتشهَّون به كهيئة السويق. قال: الحمد لله الذي جعلني في بطون نسائكم يتشهون بي!

هشام والأبرش الكلبي:

قال هشام بن عبد الملك للأبرش الكلبي: زوّجني امرأةً من كلب. فزوّجه؛ فقال له ذات يوم: لقد وجدنا في نساء كلب سَعة! قال: يا أمير المؤمنين، نساء كلب خُلقن لرجال كلب.

وقال له يوماً وهو يتغذى معه: يا أبرش، إن أكلك أكلُ معدِّي قال: هيهات، تأبى ذلك قضاعة.

عمارة وشيطان الطاق:

عمارة عن محمد بنْ أبي بكر البصري قال: لما مات جعفر بن محمد قال أبو حنيفة لشيطان الطاق: مات إمامُك. وذلك عند المهدي؛ فقال شيطان الطاق: لكن إمامك من المُنْظَرين إلى يوم الوقت المعلوم! فضحك المهدي من قوله، وأمر له بعشرة آلاف درهم.

(١) الجوزنيق واللوزنيق: نوعان من الحلواء، يعمل أولهما من الجوز وثانيهما بدهن اللوز.

نساء كندة:

العتبي قال: حدثني أبي لما افتتح النجير، وهي مدينة باليمن: سمع رجلٌ من كندة رجلاً وهو يقول: وجدنا في نساء كندة سَعة! فقال له: إن نساء كندة مكاحل فَقدت مَراودَها[1].

بن صفوان والفرزدق:

لقي خالد بن صفوان الفرزدق، وكان كثيراً ما يداعبه، وكان الفرزدق دميا؛ فقال له. يا أبا فراس، ما أنت بالذي ﴿لما رأَيْنَهُ أكَبْرنه وقطعْنَ أيدِيَهُنَّ﴾[2] قال له: ولا أنت أبا صفوان بالذي قالت فيه الفتاة لأبيها: ﴿يا أبتِ آسْتأْجِرْهُ إنّ خيْرَ من آسْتأْجَرْتَ القويُّ الأمينُ﴾[3].

بين رجلين:

باع رجل ضيعة من رجل، فلما انتقد المال قال للمشتري: أما والله لقد أخذتها كثيرةَ المئونة قليلة المعونة. قال له المشتري: وأنت والله أخذتها بطيئة الاجتماع سريعة الافتراق!

واشترى رجل من رجل دارا، فقال لصاحبها: لو صبرت لاشتريت منك الذراع بعشرة دنانير! قال له البائع: وأنت لو صبرت لاشتريت منك الذراع بدرهم!

بقرة بني إسرائيل:

وكان بالرقة رجل يحدّث بأخبار بني إسرائيل، فقال له الحجاج بن حَنْتمة: كيف كان اسم بقرة بني إسرائيل؟ قال حنتمة! فقال له رجل من ولد أبي موسى الأشعري: أين وجدت هذا؟ قال: في كتاب عمرو بن العاص.

---

(١) المراود: جمع مرود، وهو الميل من الزجاج أو المعدن يكتحل به.

(٢) سورة يوسف الآية ٣١.

(٣) سورة القصص الآية ٢٦.

للشعبي:

وقال رجل للشعبي: ما كان اسمُ امرأةِ إبليس؟ قال: إن ذلك نكاحٌ ما شهدْناه!

ودخل رجل على الشعبي، فوجده قاعداً مع امرأة؛ فقال: أيكما الشعبي؟ قال الشعبي: هذه! وأشار إلى المرأة.

معن بن زائدة:

كان معن بن زائدة ظنيناً في دينه، فبعث إلى ابن عياش المنتوف بألف دينار وكتب إليه: قد بعثنا إليك بألف دينار، اشتريتُ بها منك دِينَك؛ فاقبض المال واكتب إليّ بالتسليم. فكتب إليه: قد قبضت المال وبعتك به دِيني خلا التوحيد لما علمت من زهدك فيه!

ابن أبي بردة والممرور:

بعث بلال بن أبي بردة إلى ابن أبي علقمة الممرور، فلما أتى قال: أتدري لم بعثت إليك؟ قال لا أدري. قال: بعثت إليك لأضحك بك! قيل: لقد ضحك أحد الحَكمين من صاحبه - يعرّض له بجده أبي موسى - فغضب بلال وأمر به إلى الحبس، فكلّمه الناس وقالوا: إن المجنون لا يعاقَب ولا يحاسب. فأمر بإطلاقه وأن يؤتى به إليه، فأُتي به في يوم سبت وفي كمه طرائف أُتحف بها في الحبس؛ فقال له بلال: ما هذا الذي في كمك؟ قال: من طرائف الحبس. قال: ناولني منها. قال: هو يوم سبت، ليس يُعطَى فيه ولا يؤخذ! يعرّض بعمة كانت له من اليهود.

حسان وعائشة:

دخل حسان بن ثابت على عائشة رضي الله عنها فأنشدها:

حَصانٌ رَزَانٌ ما تُزنُّ بريبَةٍ   وتُصْبِحُ غرْثى مِنْ لُحومِ الغوافِلِ [1]

---

(١) حصان رزان: اي عفيفة عاقلة، وما تزن بريبة أي ليست موضع شك. غرثى: جائعة.

قالت له: لكنك لست كذلك! وكان حسان من الذين جاءوا بالإفك.

ابن الأحوز وأزدي:

نظر رجل من الأزد إلى هلال بن الأحوز حين قدم من قندابيل وقد أطافت بِهِ بنو تميم، فقال: انظروا إليهم وقد أطافوا به إطافة الحواريين بعيسى. فقال له محمد بن عبد الملك المازني: هذا ضدٌّ: عيسى كان يحي الموتى، وذا يميت الأحياء.

ربيعة وبعض النساء:

لما حُلقت لحية ربيعة بن أبي عبد الرحمن كانت امرأة من المسجد تقف عليه كل يوم في حلقته، وتقول: الله لك يا أبا عبد الرحمن! من حلق لحيتك؟ فلما أبرمتْه قال لها: يا هذه، إن ذلك حلقها في جزَّة واحدة، وأنت تحلقينها في كل يوم.

سعيد بن هشام وبعض الرجال:

خرج سعيد بن هشام بن عبد الملك يوماً بحمص في يوم مطر، عليه طيلسان وقد كاد يمس الأرض، فقال له رجل وهو لا يعرفه: أفسدتَ ثوبك أبا عبد الله! قال: وما يضرك؟ قال: وددتُ أنك وهو في النار! قال: وما ينفعك؟

الحجاج وابن ظبيان:

قال: لما قدم الحجاج العراق والياً عليها خرج عبيد الله بن زياد بن ظبيان متوكئاً على مولى له وقد ضربه الفالج، فقال قدم العراق رجل على دِيني. فقال له حصين بن المنذر الرقاشي: فهو إذاً منافق! قال عبيد الله: إنه يقتل المنافقين! قال له حصين: إذاً يقتلك.

خالد بن يزيد والحجاج:

ولما قدم عبد الملك بن مروان المدينة نزل دار مروان، فمر الحجاج بخالد بن يزيد بن معاوية وهو جالس في المسجد، وعلى الحجاج سيف محلى وهو يخطر متبختراً

في المسجد، فقال له رجل من قريش: من هذا التّخطارة؟ فقال خالد: بخ بخ! هذا عمرو بن العاص! فسمعه الحجاج، فمال إليه فقال: قلتَ: هذا عمرو بن العاص، والله ما سرني أن العاص ولدني ولا ولدته، ولكن إن شئت أخبرتك من أنا! أنا ابن الأشياخ من ثقيف، والعقائل من قريش، والذي ضرب مائة ألف بسيفه هذا كلهم يشهد على أبيك بالكفر وشرب الخمر، حتى أقروا أنه خليفة! ثم ولى وهو يقول: هذا عمرو بن العاص.

وهب بن منبه ولهبي:

قال رجل من بني أبي لهب لوهب بن مُنّبه: ممن الرجل؟ قال: رجل من اليمن. قال: فما فعلتْ أمكم بلقيس؟ قال: هاجرت مع سليمان لله رب العالمين، وأمكم حمالة الحطب في جيدها حبل من مسَد[1]!

وقال رجل لابن شُبرمة: مِنْ عِندنا خرج العلم إليكم. قال: نعم، ثم لم يرجع إليكم.

يزيد بن منصور وابن مزيد:

نظر يزيد بن منصور خال المهدي إلى يزيد بن مزيد وعليه رداء يمان وهو يسحبه، فقال: ليس عليك عزلُه، فاسحبْ وجُرَّ! قال له: على آبائك عزلُه وعليّ سحبه! فشكاه إلى المهدي، فقال: لم تجد أحداً تتعرض له إلا يزيد بـن مزيد!

أبو يقظان وابن حاتم:

دخل أبو يقظان القيسي على يزيد بن حاتم وهو والي مصر وعنده هاشم بن حُديج، فقال له يزيد: حرِّكه! وعلي أبي اليقظان حلّة وشي وكساء خز، فقال له هشام: الحمد لله أبا اليقظان، لبستم الوشى بعد العباء! قال: أجل، تحوكون ونلبس، فلا عدمتم هذا منا، ولا عدمنا هذا منكم.

---

(١) المسد: الحبل المحكم الفتل.

الفرزدق وعبد الجبار:

كتب الفرزدق إلى عبد الجبار بن سَلمى المَجاشعي يستهديه جارية وهو بعمان فكتب إليه:

كتبْـــتَ إليّ تسْتَهـــدِي الجواري لقـد أنعظْـتَ مـن بلَـدٍ بعِيـد[1] !

وقال رجل من العرب: رأيتُ البارحةَ الجنة في منامي، فرأيت جميع ما فيها من القصور، فقلت: لمن هذه؟ فقيل لي: للعرب! قال له رجل من الموالي: أصَعِدتَ الغُرف؟ قال: لا. قال: تلك لنا.

ابن صفوان وابن جعفر:

قال عبد الله بن صفوان ـ وكان أمِّياً ـ لعبد الله بن جعفر بن أبي طالب أبا جعفر، لقد صرتَ حجةً لفتياننا علينا؛ إذا نهيناهم عن الملاهي قالوا: هذا ابن جعفر سيد بني هاشم يحضرها ويتخذها! قال له: وأنت أبا صفوان صرتَ حجة لصبياننا علينا؛ إذا لُمناهم في ترك المكتب قالوا: هذا أبو صفوان سيد بني جمح لا يقرأ آية ولا يخطّها.

معاوية وابن عامر:

قال معاوية لعبد الله بن عامر. إن لي إليك حاجة! قال بحاجةٍ أقضيها يا أمير المؤمنين؛ فسل حاجتك. قال: أريد أن تهب لي دورك وضياعك بالطائف. قال: قد فعلت! قال: وصَلَتْكَ رحِم! فسَلْ حاجتك. قال: حاجتي إليك أن تردّها عليّ يا أمير المؤمنين! قال: قد فعلت!

ثمامة وبعض الرجال:

وقال رجل لثمامة بن أشرس: إن لي إليك حاجة! قال: وأنا لي إليك حاجة. قال:

(١) أنعظتَ: اشتهيت ان تجامع.

وما حاجتك؟ قال: فتقضيها؟ قال: نعم. فلما توثق منه قال: فإن حاجتي إليك أن لا تسألني حاجة.

جواب في فخر

عمرو بن سعيد وخالد بن يزيد في حضرة عبد الملك:

سعيد بن أبي عروبة عن قتادة قال: تفاخر عمرو بن سعيد بن العاص وخالد بن يزيد بن معاوية، عند عبد الملك بن مروان؛ فقال عبد الملك لشيخ من موالي قريش: آقض بينهما. فقال الشيخ: كان سعيد بن العاص لا يعتمُّ أحد في البلد الحرام بلون عمامته؛ وكان حرب بن أمية لا يُبكى على أحد من بني أمية ما كان في البلد شاهداً؛ فلما مات سعيدٌ وحربٌ شاهد لم يُبْك عليه.

الأبرش وخالد ابن صفوان:

قال الأبرش الكلبي لخالد بن صفوان: هلم أفاخرك ـ وهما عند هشام بن عبد الملك ـ قال له خالد: قل. فقال له الأبرش: لنا رُبع البيت ـ يريد الركن اليماني ـ ومنا حاتم طيء، ومنا المهلب بن أبي صفرة! فقال خالد بن صفوان: منا النبي المرسَل، وفينا الكتاب المُنْزَل، ولنا الخليفة المؤمَّل! قال الأبرش: لا فاخرتُ مُضَرِيّاً بعدك.

هشام وقوم من اليمن:

ونزل بأبي العباس قوم من اليمن من أخواله من كعب، ففخروا عنده بقديمهم وحديثهم؛ فقال أبو العباس لخالد بن صفوان: أجب القوم. فقال: أخوال أمير المؤمنين. قال لا بد أن تقول. قال: وما أقول يا أمير المؤمنين، وما أقول لقوم هم بين حائك بُرْد، ودابغ جلد، وسائس قرد؛ ملكتهم امرأة، ودل عليهم هدهد، وغرقتهم فأرة؟

فلم يقم بعدها ليمانيٍ قائمة.

الحجاج وعبد الملك:

قال عبد الملك بن الحجاج: لو كان رجل من ذهب لكنته. قال له رجل من قريش وكيف ذلك؟ قال: لم تلدني أمة بيني وبين آدم ما خلا هاجَر. فقال له: لولا هاجر لكنت كلباً من الكلاب.

دخل عمر بن عُبيد الله بن مَعْمر على عبد الملك بن مروان، وعليه حِبَرة[1] صَدْآء عليها أثر الحمائل، فقال له أمية بن عبد الله بن خالد بن أسيد: يا أبا حفص، أيُّ رجلٍ أنت لو كنت من غير من أنت منه من قريش! قال: ما أحب أني مِن غير مَن أنا منه! إن منا لسيدَ الناس في الجاهلية، عبد الله بن جدعان؛ وسيد الناس في الإسلام، أبا بكر الصديق؛ وما كانت هذه يدي عندك. إني استنقذت أمهات أولادك من عدوك ابن فديك بالبحرين وهن حبالى، فولدن في حجابك.

عبد الرحمن بن خالد ومعاوية:

قال عبد الرحمن بن خالد بن الوليد بن المغيرة لمعاوية: أما والله لو كنا بمكة على السواء لعلمت. قال معاوية: إذاً كنت أكون معاوية بن أبي سفيان، منزلي الأبطح[2] ينشق عني سَيْله؛ وكنت عبد الرحمن بن خالد، منزلك أجياد[3] أعلاه مَدَرة[4]، وأسفله عذرة .

لزبير وعثمان:

تنازع الزّبير بن العوام وعثمان بن عفان في بعض الأمر؛ فقال الزبير: أنا ابن صفية. قال عثمان: هي أدْنتك من الظل، ولولا ذاك لكنت ضاحياً .

حمد بن يوسف وابن الفضل:

قال أحمد بن يوسف الكاتب لمحمد بن الفضل: يا هذا، إنك تتطاول بهاشم كأنك

---

(١) حِبَرَة: ثوب من قطن أو كتان مخطط كان يصنع باليمن. (٢) الأبطح: كل مسيل فيه دقاق الحصا.
(٣) أجياد: موضع بمكة يلي الصفا. (٤) مدرة: القرية المبنية بالطين واللبن.

جمعتَها، وهي تعتدّ في أكثر من خمسة آلاف. قال له: محمد بن الفضل: إن كثرة عددها ليس يُخرج من عنقك فضْل واحدها.

زياد ومعاوية:

فخر مولى زياد بزياد عند معاوية؛ فقال له معاوية: اسكت، فوالله ما أدرك صاحبُك شيئاً بسيفه إلا أدركت أكثر منه بلساني.

الأحوص ومخزومي:

وقال رجل من مخزوم للأحوص بن عبد الله الأنصاري: أتعرف الذي يقول:

ذهَبَت قريشٌ بالمكارمِ كلِّها ... والذلُّ تحت عمائمِ الأنصارِ؟

قال: لا، ولكني أعرف الذي يقول:

الناسُ كَنَّوْهُ أباحكَمٍ ... واللهُ كَنَّاهُ أبا جهْلِ

أبقَتْ رياستُه لأُسْرتِه ... لَؤْمَ الفروعِ ورِقَّة الأصلِ

قريش وقيس:

سأل رجل من قريش رجلاً من بني قيس بن ثعلبة: ممن أنت؟ قال: من ربيعة. قال له القرشي: لا أثر لكم ببطحاء مكة. قال القيسي: آثارنا في أكناف الجزيرة مشهورة، ومواقفنا في يوم ذي قار معروفة؛ فأما مكة فسواءٌ العاكفُ فيه والباد كما قال الله تبارك وتعالى. فأفحمه.

الأشعث وشريح:

قال الأشعث بن قيس لشريح القاضي: لَشَدّ ما ارتفعت. قال: فهل ضرَّك؟ قال: لا. قال: فأراك تعرف نعمة الله على غيرك وتجهلها على نفسك.

سليمان ويزيد ابن المهلب:

قال سليمان بن عبد الملك ليزيد بن المهلب: فيمن العزُّ بالبصرة؟ قال: فينا وفي

أحلافنا من ربيعة. قال له سليمان بن عبد الملك: الذي تحالفتما عليه أعز منكما.

عتبة وأعرابي:

قدم أعرابي البصرة فدخل المسجد الجامع وعليه خُلْقانٌ وعمامة قد كوّرها على رأسه، فرمي بطرْفه يمنة ويسرة، فلم ير فتية أحسن وجوهاً ولا أظهر زياً من فتية حضروا حلقة عتبة المخزومي فدنا منهم وفي الحلقة فرجة فطبقها[1]؛ فقال له عتبة: ممن أنت يا أعرابي؟ قال: من مذحج. قال: من زيدها الأكرمين، أو من مرادها الأطيبين؟ قال لست من زيدها ولا من مرادها. قال: فمن أيها؟ قال: فإني من حماة أعراضها، وزهرة رياضها، بني زبيد. قال: فأفحم عتبة حتى وضع قلنسوته عن رأسه، وكان أصلع؛ فقال له الأعرابي: فأنت يا أصلع، ممن أنت؟ قال: أنا رجل من قريش. قال: فمن بيت نُبُوَّتها، أو من بيت مملكتها؟ قال: إني من ريحانتها بني مخزوم. قال: والله لو تدري لِمَ سُمِّيَت بنو مخزوم ريحانة قريش، ما فخرْت بها أبداً؛ إنما سمَيت ريحانة قريش لِخَور[2] رجالها ولين نسائها! قال عتبة: والله لا نازعت أعرابيّاً بعدك أبداً.

فيروز ونميلة:

وضع فيروز بن حُصين يده على رأس نميلة بن مالك بن أبي عكابة عند زياد، فقال: من هذا العبد؟ قال: أنت والله العبد؛ ضربناك فما انتصرت، ومنَنَّا عليك فما شَكَرْت.

مالك بن مسمع وابن ظبيان:

اجتمعت بكر بن وائل إلى مالك بن مسمع لأمر أراده مالك؛ فأرسل إلى بكر بن وائل، وأرسل إلى عبيد الله زياد بن ظبيان؛ فأتى عبيد الله فقال: يا أبا مِسْمع، ما

---

(١) طبقها: أي سدها وغطاها. (٢) الخور: الضعف.

منعك أن ترسل إليّ؟ قال: يا أبا مطر، ما في كنانتي سهم أنا أوثق به مني بك. قال: وإني لفي كنانتك؟ أما والله لئن كنت فيها قائماً لأطُولنَّها، ولئن كنت فيها قاعداً لأخرقنّها.

ابن مسمع وشقيق:

نازع مالك بن مِسْمع شقيق بن ثور، فقال له مالك: إنما شَرَّفَك قبرٌ بِتُسْتَر. قال شقيق: لكن وضعك قبر بالمُشَقر. وذلك أن مسمعا أبا مالك جاء إلى قوم بالمشقر، فنبحه كلبهم، فقتله، فقتلوه به؛ فكان يقال له: قتيل الكلاب، وأراد مالك قبر مجزءة بن ثور أخي شقيق، وكان استشهد بتُستر مع أبي موسى الأشعري.

قتيبة بن مسلم وهبيرة:

قال قتيبة بن مسلم لهبيرة بن مسروح: أيُّ رجل أنت لو كانت أخوالك من غير سلول. فبادلْ بهم. قال: أصلح الله الأمير، بادلْ بهم من شئت وجنِّبني باهلة. وكان قتيبة من باهلة.

جواب ابن أبي دؤاد

ابن أبي دؤاد وابن الزيات:

قال أحمد بن أبي دؤاد لمحمد بن عبد الملك الزيات عند الواثق: أضوى، أي اسكت، بالنبطية؛ فقال له: لماذا؟ والله ما أنا بنبطي، ولا بدعي. قال له: ليس فوقك أحد يفْضُلك، ولا دونك أحد تنزل إليه؛ فأنت مطَّرَح في الحالتين جميعاً.

هو وأشناس:

دخل أحمد بن أبي دواد على أشناس، فقال له: بلغني أنك فاسدت هذا الرجل يعني محمد بن عبد الملك، وهو لنا صديق؛ فأحب أن لا يأتينا. قال له ابن أبي داود أنت رجل صنعتك هذه الدولة، فإن أتيناك فلها، وإن تركناك فلنفسك.

هو والواثق:

قال أحمد بن أبي داود: دخلت على الواثق؛ فقال: ما زال قوم اليوم في ثَلْبك ونقصك. فقلت: يا أمير المؤمنين ﴿لكل امرىء منهم ما اكتسب من الإثم والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم﴾[1]؛ فالله ولي جزائه، وعقاب أمير المؤمنين من ورائه؛ وما ضاع امرؤ أنت حائطه، ولا ذلَّ من كنت ناصره؛ فماذا قلت لهم يا أمير المؤمنين؟ قال أبا عبد الله:

وسعى إليَّ بعيْب عَزَّةَ نسْوة   جعل المليكُ خُدودهُنّ نعالَها

هو وأبو العيناء:

وقال أبو العيناء الهاشمي: قلت لابن أبي دواد: إن قوماً تضافروا عليّ. قال: ﴿يدُ الله فوْق أيديهم﴾[2] قلت إنهم جماعة. قال: ﴿كَمْ منْ فئَة قَليلة غلَبتْ فئةً كثيرة بإذْن اللهِ، واللهُ مع الصَّابرين﴾[3] قلت: إن لهم مكراً. قال: ﴿ولا يَحيقُ المكْرُ السَّيِّءُ إلاَّ بأهْلِه﴾[4] قال أبو العيناء: فحدثت به أحمد بن يوسف الكاتب، فقال: ما يرى ابن أبي دواد إلا أن القرآن إنما أُنْزِل عليه.

جواب في تفحش

خالد القسري وبدوي:

خطب خالد بن عبد الله القسري فقال: يا أهل البادية، ما أخشن بلدكم، وأغلظ معاشكم، وأجفى أخلاقكم؛ لا تشهدون جُمُعة، ولا تجالسون عالماً. فقام إليه رجل منهم دميم، فقال: أمّا ما ذكرت من خشونة بلدنا وغِلَظ طعامنا فهو كذلك، ولكنكم معشر أهل الحضر فيكم ثلاث خصال هي شر من كل ما ذكرت. قال له خالد: وما هي؟ قال: تنْقُبون الدُّور، وتنْبشُون القبور، وتنكحون الذُّكور! قال: قبحك الله

(١) سورة النور الآية ١١.
(٢) سورة الفتح الآية ١٠.
(٣) سورة البقرة الآية ٢٤٩.
(٤) سورة فاطر الآية ٤٣.

وقبح ما جئت به!

موسى بن مصعب وامرأة:

أبو الحسن قال: أتى موسى بن مصعب منزل امرأة مدنية لها قينة تعرضها؛ فإذا امرأة جميلة لها هيئة؛ فنظر إلى رجل دميم يجيء ويذهب ويأمر وينهى في الدار؛ فقال لها: من هذا الرجل؟ قالت: هو زوجي! قال: ﴿إنا لله وإنا إليه راجعون﴾[1] أما وجَدْتِ من الرجال غير هذا وبك من الجمال ما أرى؟ قالت: والله يا أبا عبد الله، لو استدبرك بمثل ما يستقبلني به لعظُمَ في عينك.

بنت الملاءة ورائض خيل:

أبو الحسن قال: قالت عاتكة بنت المُلاءة لرائض دواب زوجها في طريق مكة: ما وجدت عملاً شرّاً من عملك؛ إنما كسْبك باستك! فقال لها! جعلتُ فداك! ما بين ما أكتسب به وما تكتسبين به أنت إلا إصبعان! قالت: ويلي عليك! خذوا الخبيث. فطلبه حشمها؛ ففاتهم ركضاً.

يونس النحوي وأزدي:

أبو الحسن قال: قال رجل من الأزد في مجلس يونس النحوي؛ وددت والله أن بني تميم جميعاً في جوفي؛ على أن يُضرب وسطي بالسيف! قال له شيخ في ناحية المجلس، حِرمازيّ[2] من بني تميم: ما هذا، يكفيك من ذاك كمرةٌ[3] حماريّة تملأ بها استك إلى لهاتك!

بين أعرابيين:

وسأل أعرابي شيخاً من بني مروان وحوله قوم جلوس فقال: أصابتنا سَنَة ولي

---

(١) سورة البقرة الآية ١٥٦.
(٢) الحرماز: حي من تميم، وهو من الحرمزة، وهي الذكاء.
(٣) الكمرة: راس الذكر.

بضعَ عشرةَ بنتاً! فقال الشيخ: أما السنة فوددت والله أن بينكم وبين السماء صفيحة من حديد؛ وأما البنات فليت الله أضعفهن لك أضعافاً كثيرة، وجعلك بينهن مقطوع اليدين والرجلين ليس لهن كاسب غيرك! قال: فنظر الأعرابي ملياً ثم قال: ما أدرى ما أقول لك، ولكني أراك قبيح المنظر، لئيم المخبر؛ فأعضَّك الله ببظور أمهات هؤلاء الجلوس حولك.

وسأل أعرابيٌّ شيخاً من الطائف وشكا إليه سنة أصابته، فقال: وددت والله أن الأرض حصَّاء لا تنبت شيئاً! قال: ذلك أيبس لِجَعْر أمك في استِها.

قال: عبيد الله بن زياد بن ظبيان لزُرعة بن ضمرة الضمري: إني لو أدركتك يوم الأهواز لقطعت منك طابقاً[1] شحيماً، قال: أفلا أدلك على طابق شحيم هو أولى بالقطع؟ قال: بلى! قال: البظر الذي بين إسْكَتَيْ أمك!

قال عبد الله بن الزبير لعدي بن حاتم: متى فقئت عينك؟ قال يوم طعنتُك في استك وأنت مُوَلٍّ.

وقال الفرزدق: ما عييتُ بجواب أحدٍ قطُّ ما عييت بجواب امرأة وصبي ونبطي؛ فأما المرأة فإني ذهبت ببغلتي أسقيها في النهر، فإذا معشر نسوة، فلما همزْت البغلة حبَقت[2]؛ فاستضحك النسوة، فقلت لهن: ما أضحككن؟ فوالله ما حملتني أنثى قط إلا فعلتْ مثلها! فقالت امرأة منهن: فكيف كان ضراط أمك مقبرة، فقد حملتك في بطنها تسعة أشهر! فما وجدتُ لها جواباً. وأما الصبي، فإني كنت أنشد بجامع البصرة، وفي حلقتي الكميت بن زيد وهو صبي، فأعجبني حسن استماعه، فقلت له: كيف سمعت يا بُنَيَّ؟ قال لي: حسن! قلت: فسرَّك أني أبوك؟ قال: أما أبي فلا أريد به بديلاً، ولكن وددت أن تكون أمي! قلت: استرها عليّ يا ابن أخي، فما لقيت مثلها وأما النبطي، فإني لقيت نبطياً بيثرب، فقال لي: أنت الفرزدق؟ قلت:

---

(١) الطابق: العضو.

(٢) حبقت: أخرجت ريح الحدث.

نعم. قال أنت الذي يخاف الناس لسانك؟ قلت: نعم. قال: فأنت الذي إذا هجوتني يموت فرسي هذا؟ قلت: لا. قال: فيموت ولدي؟ قلت: لا. قال: فأموت أنا؟ قلت: لا. قال: فأدخلني الله في حِرِ آم الفرزدق، من رجلي إلى عنقي! قلت: ويلك! ولم تركت رأسك؟ قال: حتى أرى ما تصنع الزانية!

بين جرير والفرزدق:

ولقي جرير الفرزدق بالكوفة، فقال أبا فراس: تحتمل عني مسألة؟ قال: أحتملُها بمسألة. قال: نعم. قال: فسل عما بدا لك. قال: أي شيء أحب إليك يتقدمُك الخيرُ أو تتقدمُه؟ قال: لا يتقدمني ولا أتقدمه، ولكن أكون معه في قران. قال: هات مسألتك. قال له الفرزدق: أي شيء أحبُّ إليك إذا دخلت على امرأتك: أن تجد يدها على أير رجل أو يدَ رجل على حِرِها قال: قاتلك الله! ما أقبح كلامك وأرذل لسانك.

الفرزدق ومسجد الأحامرة:

أبو الحسن قال: مر الفرزدق يوماً بمسجد الأحامرة وفيه جماعة فيهم أبو المزرد الحنفي، فقال له الفرزدق: يا أخا بني حنيفة، ما شيء لم يكن، ولا يكون ولو كان لا يستقيم؟ قال: لا أدري! قال: يا أبا المزرد، إنه سفيه؛ فإن لم تغضب أخبرتُك. قال: فإني لا أغضب. فقال: حِرِ آمك: لم تكن له أسنان، ولا تكون، ولو كان لم يستقم!

الفرزدق وابن عفراء:

أبو الحسن قال: لقي الفرزدق عمرو بن عفراء، فعاتبه في شيء بلغه عنه؛ فقال له ابن عفراء وهو بالمربد: ما شيءٌ أحبُّ إليَّ من أن آتي كلَّ شيء تكرهه! قال له الفرزدق: بالله إنك تأتي كل شيء أكرهه؟ قال: نعم! قال: فإني أكره أن تأتي أمك فأْتها.

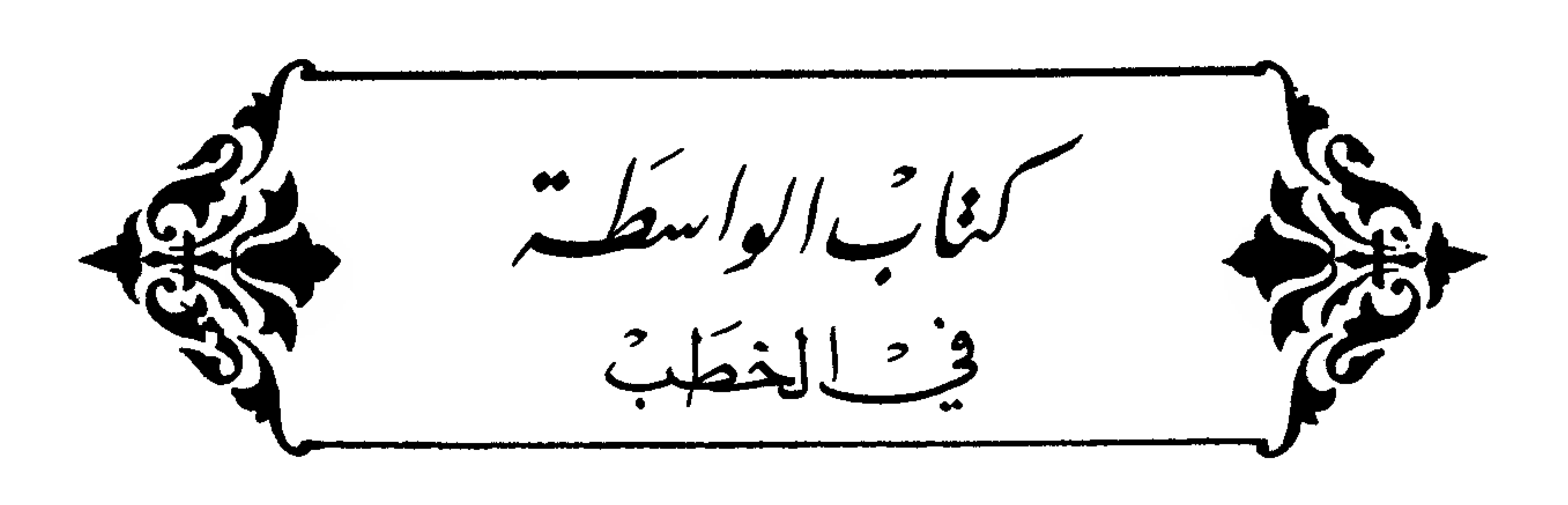
بين الجماز وضيف:

ضاف[1] رجلٌ قبيح الوجه دنيّ الحسب، أبا عبد الله الجمّاز؛ فجعل يفخر ببيته؛ فقال له الجماز: اسكت، فقباحةُ وجهك، ودناءةُ لفظك، يمنعاننا من سبّك! فأبى إلا التمادي في اللجاج؛ فقال له الجماز:

لو كنتَ ذا عِرْضٍ هَجَوْناكا   أو حَسَنَ الوجهِ لنِكْناكا
جَمَعْت مع قُبحِكَ لؤما فلِلْـ   ـقُبْحِ أو اللُّؤمِ تركْناك!

---

(١) ضافه: نزل به ضيفاً.



فرش الكتاب

قال أبو عُمر أحمد بن محمد بن عبد ربه: قد مضى قولنا في الأجوبة وتباين الناس فيها بقدر عقولهم، ومبلغ فطنهم، وحضور أذهانهم؛ ونحن قائلون بعون الله وتوفيقه في الخطب التي يتخير لها الكلام، وتفاخرت بها العرب في مشاهدهم، ونطقت بها الأئمة على منابرهم، وشهرت بها في مواسمهم، وقامت بها على رءوس خلفائهم؛ وتباهت بها في أعيادهم ومساجدهم. ووصلتها بصلواتهم، وخوطب بها العوام، واستجزلت لها الألفاظ، وتخيرت لها المعاني.

اعلم أن جميع الخطب على ضربين: منها الطوال، ومنها القصار؛ ولكل ذلك موضع يليق به، ومكان يحسن فيه؛ فأول ما نبدأ به من ذلك خطب النبي ﷺ، ثم السلف المتقدمين، ثم الجلة من التابعين والجلة من الخلفاء الماضين والفصحاء المتكلمين، على ما سقط إلينا ووقع عليه اختيارنا؛ ثم نذكر بعض خطب الخوارج؛ لجزالة ألفاظهم، وبلاغة منطقهم، كخطبة قطري بن الفجاءة في ذم الدنيا؛ فإنها معدومة النظير، منقطعة القرين؛ وخطبةِ أبي حمزة التي سمعها مالك بن أنس فقال: خطبنا أبو حمزة بالمدينة خطبة شكك فيها المستبصر، وردّد فيها المرتاب، ثم نسمح بصدر من خطب البادية وقول الأعراب خاصة؛ لمعرفتهم بداء الكلام ودوائه، وموارده ومصادره.

عبد الملك وابن سلمة:

قال عبد الملك بن مروان لخالد بن سلمة القرشي المخزومي: من أخطب الناس؟

قال: أنا! قال: ثم من؟ قال: شيخ جذام. يعني روح بن زنباع، قال: ثم من؟ قال: أُخيّفِش ثقيف. يعني الحجاج، قال: ثم من؟ قال: أمير المؤمنين!

لمعاوية في زياد:

وقال معاوية لما خطب الناس عنده فأكثروا: والله لأرْمينّكم بالخطيب المِصْقع. قم يا زياد!

لأبي دواد:

وقال محمد كاتب المهدي ـ وكان شاعراً راوية، وطالباً للنحو علامة ـ قال: سمعت أبا دواد يقول ـ وجرى شيء من ذكر الخطب وتحبير الكلام ـ فقال: تلخيص المعاني رفق، والاستعانة بالغريب عجز، والتشادق في غير أهل البادية نقص، والنظر في عيوب الناس عِيّ، ومسح اللحية هُلْك، والخروج عما بُني عليه الكلام إسهاب.

قال: وسمعته يقول: رأس الخطابة الطبع، وعمودها الدرْبة، وحَليها الإعراب. وبهاؤها تخيُّر اللفظ. والمحبة مقرونة بقلة الاستكراه.

وأنشدني بيتاً له في خطباء إياد.

يَرمون بالخُطب الطوال وتارةً وحْيَ الملاحِظ خِيفة الرُّقباء

وأنشدني في عيّ الخطيب واستعانته بمسح العثنون وفتل الأصابع:

مِليء ببُهْر والْتفاتٍ وسُعْلةٍ ومسْحةِ عُثْنونٍ وفتْل الأصابعِ[1]

بشر بن المعتمر وابن جبلة:

مرّ بشر بن المعتمر بإبراهيم بن جبلة بن مخرمة السكوني الخطيب، وهو يعلم فتيانهم الخطابة؛ فوقف بشر يستمع، فظنّ إبراهيم أنه إنما وقف ليستفيد، أو يكون رجلا من النظارة؛ فقال بشر: اضربوا عما قال صفحا، واطووا عنه كشحا. ثم دفع إليهم صحيفة من تنميقه وتحبيره، فيها:

---

(١) العثنون: ما نبت على الذقن وتحته سفلاً.

خذ من نفسك ساعة نشاطك وفراغ بالك وإجابتِها إياك، فإنّ قليل تلك الساعة أكرم جوهرا، وأشرف حسبا، وأحسن في الاستماع، وأحلى في الصدور، وأسلم من فاحش الخطأ، وأجلب لكل عينٍ من لفظ شريف، ومعنى بديع؛ واعلم أنّ ذلك أجدى عليك مما يعطيك يومُك الأطول بالكدّ والمطاولة والمجاهدة، وبالتكلف والمعاودة، ومهما أخطأك لم يخطئك أن يكون مقبولا قصداً، وخفيفا على اللسان سهلا، وكما خرج من ينبوعه ونجم من معدنه؛ وإياك والتوعُّر، فإنّ التوعر يُسلمك إلى التعقيد، والتعقيد هو الذي يستهلك معانيك، ويشين ألفاظك. ومن أراغ معنى كريما فليلتمس له لفظا كريما، فإنّ حق المعنى الشريف اللفظ الشريف، ومن حقهما أن تصونهما عما يفسدهما ويهجنهما، وعما تعود من أجله إلى أن تكون أسوأ حالا منك قبل أن تلتمس إظهارهما، وترهن نفسك بملابستهما وقضاء حقهما؛ فكن في ثلاثة منازل: فأوّل ذلك أن يكون لفظك رشيقاً عذبا، أو فخما سهلا؛ ويكون معناك ظاهراً مكشوفا، وقريباً معروفا، إمّا عند الخاصة إن كنت للخاصة قصدت، وإمّا عند العامّة إن كنت للعامّة أردت؛ والمعنى ليس يَشرفُ بأن يكون من معاني الخاصة، وكذلك ليس يتَّضع بأن يكون من معاني العامّة؛ وإنما مدار الشرف على الصواب، وإحراز المنفعة مع موافقة الحال وما يجب لكل مقام من المقال؛ وكذلك اللفظ العامي والخاصي؛ فإن أمكنك أن تبلغ من بيان لسانك، وبلاغة لفظك، ولطف مداخلك، وقدرتك في نفسك ـ أن تُفهم العامّة معاني الخاصة، وتكسوها الألفاظ المتوسطة التي لا تلطف عن الدهماء، ولا تجفو عن الأكفاء، فأنت البليغ التام.

فقال له إبراهيم بن جبلة: جُعلتُ فداك، أنا أحوج إلى تعلمي هذا الكلام من هؤلاء الغلْمة.

خطبة رسول الله ﷺ
في حجة الوداع

إنّ الحمد لله، نَحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا. من يهدِ الله فلا مضلَّ له، ومن يضللّ فلا هاديَ له،

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، و[أشهد] أن محمداً عبده ورسوله.

أُوصيكم عباد الله، بتقوى الله، وأَحُثْكم على طاعة الله، وأَستفتح بالذي هو خير.

أمّا بعد: أيها الناس، اسمعوا مني أُبيِّن لكم، فإني لا أدري لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا في موقفي هذا! أيها الناس: إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام، إلى أن تلقوْا ربكم، كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا. ألا هل بلغت، اللهم اشهد!

فمن كانت عنده أمانة فليؤدّها إلى الذي ائتمنه عليها؛ وإن ربا الجاهلية موضوع[1]، وإنّ أوّل ربا أبدأ به ربا عمي العباس بن عبد المطلب؛ وإن دماء الجاهلية موضوعة، وإن أول دم أبدأ به دم عامر بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب، وإن مآثر الجاهلية موضوعة غير السّدانة والسّقاية، والعمد قَوَد[2]، وشِبه العمد ما قتل بالعصا والحجر، وفيه مائة بعير، فمن زاد فهو من أهل الجاهلية.

أيها الناس، إنّ الشيطان قد يئس أن يُعبد في أرضكم هذه، ولكنه رضِي أن يطاع فيما سوى ذلك مما تَحقِرون من أعمالكم.

أيها الناس، إنما النّسيء[3] زيادة في الكفر يُضلّ به الذين كفروا يُحلّونَه عاماً ويحرّمونه عاما ليُواطِئوا عِدّةَ ما حرّم الله. وإنّ الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض، وإنّ عدّة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً في كتاب الله يوم خلق السموات والأرض، منها أربعةٌ حُرُم، ثلاثة متواليات، وواحد فرد: ذو القعدة، وذو الحجة، والمحرّم، ورجب الذي بين جمادي وشعبان. ألا هل بلغت، اللهم اشهد!

---

(١) موضوع: يقال: وضع عنه الدين أي أسقطه عنه.

(٢) القود: القصاص، أي من قتل عمداً يقتل. (٣) النسيء: تأخير حرمة المحرم إلى صفر أيام الجاهلية.

أيها الناس، إنّ لنسائِكم عليكم حقا، وإنّ لكم عليهنّ حقا: لكم عليهنّ أن لا يُوطِئنَ فرُشكم غيركم، ولا يُدخلْن أحداً تكرهونه بيوتكم إلا بإذنكم، ولا يأتين بفاحشة؛ فإن فعلن فإنّ الله قد أذن لكم أن تعضُلوهن[1] وتهجروهنّ في المضاجع وتضربوهنّ ضرباً غير مبرِّح؛ فإن انتهين وأطعنكم فعليكم رزقهنّ وكسوتهن بالمعروف؛ وإنما النساء عندكم عَوَانٍ لا يملكن لأنفسهنّ شيئا، أخذتموهنّ بأمانة الله، وآستحللتم فروجهنّ بكلمة الله؛ فاتقوا الله في النساء واستوصوا بهنّ خيرا [ألا هل بلّغت، اللهم اشهد!].

أيها الناس؛ إنما المؤمنون إخوة، ولا يحل لآمرىءٍ مال أخيه إلا عن طيب نفسه. ألا هل بلغت، اللهم اشهد! فلا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم أعناق بعض؛ فإني قد تركت فيكم ما إن أخذتم به لم تضلّوا [بعده] كتاب الله وأهل بيتي، ألا هل بلغت اللهم آشهد.

أيها الناس، إنّ ربَّكم واحد، وإنّ أباكم واحد؛ كلكم لآدم وآدم من تراب، أكرمكم عند الله أتقاكم؛ ليس لعربيّ على عجمي فضل إلا بالتقوى. ألا هل بلغت؟ قالوا: نعم. قال: فليبلغ الشاهد منكم الغائب.

أيها الناس، إنّ الله قسَم لكل وارث نصيبه من الميراث؛ ولا يجوز لوارث وصية في أكثر من الثّلث؛ والولد للفراش وللعاهر الحجر[2]؛ من دُعيَ إلى غير أبيه، أو تولّى غير مواليه، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل الله منه صَرفا ولا عدلا، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

خطب أبي بكر

وخطب أبو بكر يوم السقيفة: أراد عمرُ الكلام، فقال له أبو بكر: على رِسْلِك.

---

(١) تعضلوهن: يقال: عضل المرأة أي منع التزوج ظلماً.

(٢) الحجر: أي الخيبة؛ يعني أن الولد لصاحب الفراش من السيد أو الزوج، وللزاني الخيبة والحرمان.

ثم حمد الله وأثنى عليه، ثم قال:

أيها الناس، نحن المهاجرون، أول الناس إسلاما، وأكرمهم أحسابا، وأوسطهم دارا، وأحسنهم وجوها، وأكثر الناس ولادةً في العرب، وأمسّهم رحِما برسول الله ﷺ؛ أسلْمنا قبلكم، وقدِّمْنا في القرآن عليكم، فقال تبارك وتعالى: ﴿والسابقون الأوّلون من المهاجرين والأنصار والذين اتّبعوهم بإحسان﴾[1]؛ فنحن المهاجرون وأنتم الأنصار، إخواننا في الدين، وشركاؤنا في الفيء، وأنصارنا على العدوّ؛ آويتم ووا سيتم، فجزاكم الله خيرا، فنحن الأمراء، وأنتم الوزراء، لا تدين العرب إلا لهذا الحي من قريش، فلا تنْفَسُوا على إخوانكم المهاجرين ما منحهم الله من فضله.

وخطب أيضاً. حمد الله وأثنى عليه، ثم قال:

أيها الناس، إني قد وُلّيتُ عليكم ولست بخيركم، فإن رأيتموني على حقٍّ فأعينوني، وإن رأيتموني على باطل فسدّدوني؛ أطيعوني ما أطعتُ الله فيكم، فإذا عصيتُه فلا طاعة لي عليكم. ألا إنّ أقواكم عندي الضعيف حتى آخذ الحق له، وأضعفَكم عندي القويُّ حتى آخذَ الحق منه! أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.

وخطب أخرى. فلما حمد الله بما هو أهله، وصلى على نبيه عليه الصلاة والسلام، قال:

إن أشقى الناس في الدنيا والآخرة الملوك!

فرفع الناسُ رُءوسَهم، فقال:

ما لكم أيها الناس؟ إنكم لطعانون عَجلون، إن من الملوك من إذا مَلك زَهَّده الله فيما بيده، ورَغَّبه فيما بيد غيره، وانتقصه شطرَ أجله، وأشربَ قلبه الإشفاق، فهو يحسد على القليل، ويسخط على الكثير، ويسأم الرخاء وتنقطع عنده لذة البهاء، لا

---

(١) سورة التوبة الآية ١٠٠.

يستعمل العبرة، ولا يسكن إلى الثقة، فهو كالدرهم القَسِيّ[1] والسراب الخادع، جذِل الظاهر، حزين الباطن، فإذا وجبت نفسهُ، ونصب عُمرُه، وضحا ظله، حاسبه الله، فأشدّ حسابَه، وأقلّ عفوَه. ألا وإن الفقراء هم المرحومون! ألا إن من آمن بالله حكم بكتابه وسُنَّة نبيه ﷺ وإنكم اليوم على خلافة نبوة، ومفرق محجة، وسترون بعدي مُلكا عضوضا،[2] ومَلكا عَنودا، وأمة شعاعا، ودما مباحا؛ فإن كانت للباطل نزوة، ولأهل الحق جولة، يعفو لها الأثر، ويموت لها الخبر، فالزموا المساجد، واستشيروا القرآن واعتصموا بالطاعة، وليكن الإبرام بعد التشاور، والصفقة بعد طول التناظر، أي بلاد خَرْشَنَة[3] إن الله سيفتح لكم أقصاها كما فتح عليكم أدناها.

وخطب أيضا فقال:

الحمد لله، أحمده وأستعينه، وأستغفره وأُومن به، وأتوكل عليه وأستهدي الله بالهدى، وأعوذ به من الضلالة والردى، ومن الشك والعمى؛ من يهد الله فهو المهتدي، ومن يُضلل فلن تجد له وليا مرشداً؛ وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، يحي ويميت، وهو حي لا يموت، يعزّ من يشاء ويُذِلّ من يشاء، بيده الخير وهو على كل شيء قدير؛ وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أرسله بالهدى ودين الحق لِيُظهره على الدين كله ولو كره المشركون ـ إلى الناس كافة، رحمةً لهم وحجة عليهم، والناس حينئذ على شر حال في ظلمات الجاهلية، دينُهم بِدعة، ودعوتُهم فرية، فأعز الله الدين بمحمد ﷺ، وألف بين قلوبكم أيها المؤمنون، فأصبحتم بنعمته إخوانا، وكنتم عى شفا حفرة من النار فأنقذكم منها، كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون؛ فأطيعوا الله ورسوله، فإنه قال عز وجل: ﴿من يُطع الرسول فقد أطاع الله، ومن تولى فما أرسلناك عليهم حفيظا﴾[4].

أما بعد أيها الناس: إني أوصيكم بتقوى الله العظيم في كل أمر وعلى كل حال

---

(١) القسي: الرديء الزائف.
(٢) عضوض: فيه استبداد وعسف.
(٣) خرشنة: يريد بلاد الروم.
(٤) سورة النساء الآية ٨٠.

ولزوم الحق فيما أحببتم وكرهتم؛ فإنه ليس فيما دون الصدق من الحديث خير، من يكْذِب يفْجُر، ومن يفْجُر يهلِك، وإياكم والفخرَ؛ وما فَخْرُ مَن خُلِقَ من تراب وإلى التراب يعود، هو اليومَ حي وغداً مَيِّتٌ! فاعلموا وعُدُّوا أنفسكم في الموتى، وما أشْكَلَ عليكم فرُدُّوا عِلْمَهُ إلى الله، وقدّموا لأنفسكم خيراً تجدوه مُحضَراً، فإنه قال عز وجل: ﴿يومَ تَجدُ كل نفْسٍ ما عمِلَتْ من خَيْرٍ مُحضَراً وما عَمِلتْ من سُوءٍ تَوَدُّ لو أنّ بيْنَها وبيْنهُ أمَداً بعيدا، ويُحذِّرُكـم الله نفسَهْ، والله رءُوفٌ بالعبادِ﴾ (١) فاتقوا الله عبادَ الله وراقبوه، واعتبروا بمن مضى قبلكم، واعلموا أنه لا بدّ من لقاء ربكم والجزاءِ بأعمالكم، صغِيرها وكبيرها، إلا ما غفر الله، إنه غفورٌ رحيم، فأنفسَكم أنفسَكم والمستعانُ الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله ﴿إنّ الله وملائِكته يُصلّونَ على النبيَّ، يا أيُّها الذينَ آمنوا صَلُّوا عليهِ وسَلِّمُوا تسْليما﴾ (٢) اللهم صل على محمد عبدك ورسولك، أفضل ما صليتَ على أحدٍ من خلقك؛ وزكّنا بالصلاة عليه، وألحقنا به، واحشرنا في زمرته، وأوردْنا حَوضه اللهم أعِنَّا على طاعتك، وانصرنا على عدوّك.

وخطب أيضا، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال:

أُوصيكم بتقوى الله، وأن تُثنوا عليه بما هو أهله، وأن تَخْلطُوا الرغبة بالرهبة، وتجمعوا الإلحاف بالمسألة؛ فإن الله أثنى على زكريا وعلى أهل بيته، فقال: ﴿إنَّهم كانوا يُسارعُونَ في الخيْرَاتِ ويدعُوننا رَغباً ورهَباً وكانوا لنا خاشِعين﴾ (٣) ثم آعلموا عباد الله أن الله قد آرتهن بحقه أنفسكم، وأخذ على ذلك مواثيقَكم، وعوّضكم بالقليل الفاني الكثيرَ الباقي، وهذا كتاب الله فيكم لا تفنى عجائبُه، ولا يُطفأ نورهُ، فثِقُوا بقوله، وانتَصِحوا كتابه واستبصروا فيه ليوم الظلمة، فإنه خلقكم لعبادته، ووَكل بكم الكرام الكاتبين يعلمون ما تفعلون. ثم اعلموا عباد الله أنكم

(١) سورة آل عمران الآية ٣٠. (٢) سورة الأحزاب الآية ٥٦.

(٣) سورة الانبياء الآية ٩٠.

تغدون وتروحون في أجلٍ قد غُيِّب عنكم علمُه، فإن استطعتم أن [لا] تنقضي الآجالُ [إلا] وأنتم في عمل لله [فافعلوا] ولن تستطيعوا ذلك إلا بالله ـ فسابقوا في مَهَل بأعمالكم، قبل أن تنقضيَ آجالكم فتردّكم إلى سوء أعمالكم، فإن أقواما جعلوا آجالهم لغيرهم [ونسوا أنفسهَم]، فأنهاكم أن تكونوا أمثالهم؛ فالوحَي الوحي والنجاءالنجاء[1]، فإن وراءكم طالبا حثيثا مَرُّه، سريعا سيرُه.

خطب عمر بن الخطاب

رضي الله عنه

وخطب عمر؛ فحمد الله وأثنى عليه ثم قال:

أيها الناس، من أراد أن يسأل عن القرآن فليأت أُبيَّ بنَ كعب، ومن أراد أن يسأل عن الفرائض فليأت زيد بن ثابت، ومن أراد أن يسأل عن الفقه فليأت مُعاذ بن جبل، ومن أراد أن يسأل عن المال فليأتني؛ فإن الله جعلني له خازنا وقاسما: إني باديء بأزواج رسول الله ﷺ فمعطيهن، ثم المهاجرين الأولين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم، أنا وأصحابي ثم بالأنصار الذين تبوءُوا الدار والإيمان من قبلهم، ثم من أَسْرَعَ إلى الهجرة أسرع إليه العطاء، ومن أبطأ عن الهجرة أبطأ عنه العطاء، فلا يلومن رجلٌ إلا مُناخ راحلته. إني قد بقيتُ فيكم بعد صاحبي، فابتُليتُ بكم وآبتليتُم بي، وإني لن يحضُرَني من أموركم شيءٌ فأكله إلى غير أهل الجزاء والأمانة، فلئن أحسنوا لأُحْسنَنَّ إليهم، ولئن أساءوا لأُنكلَنَّ بهم.

وخطب أيضا فقال:

الحمد لله الذي أعزنا بالإسلام، وأكرمنا بالإيمان، ورحِمَنا بنبيه ﷺ، فهدانا به من الضلالة، وجمعنا به من الشتات، وألف بين قلوبنا، ونصرنا على عدونا، ومَكن لنا في البلاد، وجعلنا به إخواناً متحابين؛ فاحمدوا الله على هذه النعمة، واسألوه المزيد

---

(١) النجاء والنجاة: الخلاص من الشيء.

فيها والشكر عليها، فإن الله قد صَدقكم الوعد بالنصر على من خالفكم؛ وإياكم والعمل بالمعاصي وكفرَ النعمة، فقلما كفر قوم بنعمة ولم ينزعوا إلى التوبة إلا سُلبوا عزَّهم وسُلِّط عليهم عدوُّهم.

أيها الناس: إن الله قد أعز دعوة هذه الأمة وجمع كلمتها وأظهر فلحها ونصرها وشرفها، فاحمدوه عباد الله على نعمه، واشكروه على آلائه؛ جعلنا الله وإياكم من الشاكرين.

وخطب فقال بعد أن حمد الله وأثنى عليه:

أيها الناس: تعلموا القرآن [تعرفوا به]، واعملوا به تكونوا من أهله؛ واعلموا أنه لم يبلغ من حق مخلوق أن يطاع في معصية الخالق [ألا وإني أنزلت نفسي من مال الله بمنزلة والي اليتيم، وإن استغنيتُ عفَفْت، وإن افتقرتُ أكلت بالمعروف، تقَرُّم[1] البَهْمةِ الأعرابية]، القضم[2] دون الخضم[3].

وخطبة له أيضا:

أيها الناس: إنه قد أتى عليّ زمان وأنا أرى أن قراءة القرآن [إنما] تريدون به الله عز وجل وما عنده: [ألا وإنه قد] خُيِّل إليّ أن قوما قرءُوه إذ يتنزل الوحي وإذ رسول الله بين أظهرنا ينبئنا من أخباركم؛ فقد انقطع الوحي وذهب النبي، فإنما نعرفكم بما أقول لكم؛ ألا من رأينا منه خيراً ظننا به خيرا وأحببناه عليه، ومن رأينا منه شرا ظننا به شرا وأبغضناه عليه؛ سرائركم بينكم وبين ربكم؛ ألا وإني إنما أبعث عمالي ليُعَلِّموكم دينَكم وسُنَّتُكم، ولا أبعثهم ليضرِبوا ظهوركم ويأخذوا أموالكم؛ ألا من رابه شيء من ذلك فليرفعه اليّ، فوالذي نفسي بيده لأقِصَّنَّكم منه.

فقام عمرو بن العاص فقال: يا أمير المؤمنين، أرأيت أن بعثْتَ عاملا من عُمالك

---

(١) التقرم: الاكل اكلاً ضعيفاً. (٢) القضم: الأكل بأطراف الاسنان.

(٣) الخضم: الأكل بأقصى الأضراس.

فأدب رجلا من رعيتك فضربه، أتقّصه منه؟

قال: نعم، والذي نفس عمر بيده لأقصنه منه؛ فقد رأيت رسول الله ﷺ يقصّ من نِفسه.

وخطب أيضاً فقال: أيها الناس اتقوا الله في سريرتكم وعلانيتكم، وأْمُروا بالمعروف وآنْهوا عن المنكر، ولا تكونوا مثل قوم كانوا في سفينة فأقبل أحدهم على موضعه يخرقه، فنظر إليه أصحابه فمنعوه، فقال: هو موضعي ولي أن أحكم فيه، فإن أخذوا على يده سَلِم وسَلِموا، وإن تركوه هَلَكَ وهَلَكوا معه! وهذا مثلٌ ضربتهُ لكم. رحمنا الله وإياكـم.

وخطب عام الرَّمادة بالعباس رحمه الله:

حمد الله وأثنى عليه وصلى على نبيه، ثم قال:

أيها الناس، استغفروا ربكم إنه كان غفارا، اللهم إني أستغفرك وأتوب إليك اللهم إنا نتقرب إليك بعمِّ نبيك وبقية آبائه وكبار رجال، فإنك تقول وقولك الحق ﴿وأمّا الجدارُ فكانَ لغلامَيْن يَتيمَيْن في المدينةِ وكانَ تَحْتهُ كَنْزٌ لهما وكان أبوُهما صالحاً﴾(1)؛ فحفظتهما لصلاح أبيهما؛ فاحفظ اللهم نَبيّك في عمه؛ اللهم آغفر لنا إنك كنت غفارا، اللهم أنت الراعي لا تُهمل الضالّة، ولا تدع الكسيرة بمَضْيعَة، اللهم قد ضرع الصغير ورق الكبير وارتفعت الشكوى، وأنت تعلم السرّ وأخفى؛اللهمأغثهم بغياثك قبل أن يقنطوا فيهلكوا، فإنه لا ييْأس من روْحِ اللهِ إلا القومُ الكافرون.

فما برحوا حتى علّقوا الحذاء، وقلصوا المآزر، وطفق الناس بالعباس يقولون: هنيئا لك يا ساقي الحرمين.

وخطب إذ ولي الخلافة:

---

(1) سورة الكهف الآية ٨٢.

صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال:

يا أيها الناس، إني داعٍ فأمِّنوا: اللهم إني غليظُ فَلَيِّنّي لأهل طاعتك بموافقة الحق ابتغاءَ وجهك والدار الآخرة، وارزقني الغِلْظة والشدة على أعدائك وأهل الدعارة والنفاق، من غير ظلمٍ مني لهم، ولا اعتداءٍ عليهم؛ اللهم إني شحيح فسخّني في نوائب المعروف، قصدا من غير سَرَف ولا تبذير، ولا رياء ولا سمعة، واجعلني أبتغي بذلك وجهك والدار الآخرة؛ اللهم ارزقني خفض الجناح ولين الجانب للمؤمنين، اللهم إني كثير الغفلة والنسيان، فألهمني ذكرك على كل حال، وذكر الموت في كل حين؛ اللهم إني ضعيف عن العمل بطاعتك، فارزقني النشاط فيها والقوة عليها بالنية الحسنة التي لا تكون إلا بعوْنك وتوفيقك؛ اللهم ثبِّتني باليقين والبرِّ والتقوى، وذِكر المقام بين يديك والحياء منك، وارزقني الخشوع فيما يرضيك عني؟ والمحاسبة لنفسي، وإصلاح الساعات، والحذر من الشبهات؛ اللهم ارزقني التفكر والتدبر لما يتلوه لساني من كتابك، والفهم له، والمعرفة بمعانيه، والنظر في عجائبه، والعمل بذلك ما بقيت؛ إنك على كل شيء قدير.

وكان آخر كلام أبي بكر الذي إذا تكلم به عُرف أنه قد فرغ من خطبته:

اللهم اجعل خير زماني آخره، وخير عملي خواتمه، وخير أيامي يوم ألقاك.

وكان آخر كلام عمر الذي إذا تكلم به عرف أنه فرغ من خطبته:

اللهم لا تدعْني في غمرة، ولا تأخذني على غِرَّة، ولا تجعلني من الغافلين.

خطبة عثمان بن عفان
رضي الله عنه

ولما ولي عثمان بن عفان قام خطيباً، فحمد الله وأثنى عليه، وتشهد، ثم أُرتجَ عليه[1]؛ فقال:

(١) أُرتج عليه: استغلق عليه الكلام.

أيها الناس، إن أول كل مركب صعب، وإنْ أَعِشْ فستأتيكم الخُطَب على وجهها، وسيجعل الله بعد عسر يسرا.

خطب علي بن أبي طالب

كرم الله وجهه

خطب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضوان الله عليه أول خطبة خطبها بالمدينة، فحمد الله وأثنى عليه وصلى على نبيه عليه الصلاة والسلام ثم قال:

أيها الناس: كتابَ الله وسُنَّة نبيكم ﷺ، أما بعد: فلا يَدَّعيَن مُدَّعٍ إلا على نفسه، شُغِلَ مَن الجنةُ والنار أمامَه. ساع نَجا، وطالبٌ يرجو، ومقصِّر في النار: [ثلاثة؛ واثنان]: ملَك طار بجناحيه، ونبي أخذ الله بيده، لا سادس. هلك من ادَّعى، ورَدِي من اقتحم. اليمين والشمال مَضلة، والوسطى والجادَّة: منهج عليه أم الكتاب والسنة وآثار النبوة؛ إن الله داوى هذه الأمة بدواءين: السوط والسيف، فلا هوادة عند الإمام فيهما، استتروا ببيوتكم، وأصلحوا ذات بينكم؛ فالموت من ورائكم. من أبدى صفحته للحق هلك. قد كانت أمور لم تكونوا فيها محمودين. أما إني لو أشاء أن أقول لقلت. عفا الله عما سلف. سبق الرجلان وقام الثالث كالغراب، همته بطنه، ويله! لو قص جناحاه وقطع رأسه لكان خيراً له! انظروا، فإن أنكرتم فأنكروا، وإن عرفتم فآزِرُوا. حق وباطل، ولكُلٍّ أهل؛ ولئن أمِرَ الباطل لقديما فعل، ولئن قل الحق لربما ولعل؛ ولقلما أدبر شيء فأقبل، ولئن رجعت إليكم أموركم إنكم لسعداء، وإني لأخشى أن تكونوا في فترة، وما علينا إلا الاجتهاد.

وروى فيها جعفر بن محمد رضوان الله عليه:

ألا إن الأبرار عترتي، وأطايب أرومتي، أحلم الناس صغاراً، وأعلم الناس كباراً؛ ألا وإنا أهل البيت مِن عِلْم اللهِ عِلمنا وبحكْم الله حَكمنا، ومن قوْلِ صادقٍ سمعنا؛ فإن تتبعوا آثارنا تهتدوا ببصائرنا، [وإن لم تفعلوا يهلككم الله بأيدينا﴾ معنا راية الحق، من تبعها لحق، ومن تأخر عنها غرق. ألا وبنا تدرك ترة كل مؤمن وبنا تخلع

ربقة الذل من أعناقكم، وبنا فُتح وبنا يختم.

وخطبة له أيضاً:

حمد الله وأثنى عليه، ثم قال:

أوصِيكم عباد الله ونفسي بتقوى الله ولزوم طاعته وتقديم العمل، وترك الأمل؛ فإنه من فَرَّط في عمله لم ينتفع بشيء من أمله، أين التَّعِب بالليل والنهار، المقتحم لِلجَج البحار ومفاوز القفار، يسير من وراء الجبال وعالج الرمال[1]، يصل الغدو بالرواح، والمساء بالصباح، في طلب محقرات الأرباح؛ هجمت عليه منيتُه، فعظمَت بنفسه رزيتُه؛ فصار ما جمع بُورا، وما اكتسب غروراً، ووافى القيامة محسوراً:

أيها اللاهي الغارّ بنفسه، كأني بك وقد أتاك رسول ربك، لا يقرع لك باباً، ولا يهاب لك حجاباً، ولا يقبل منك بديلاً، ولا يأخذ منك كفيلاً، ولا يرجم لك صغيراً، ولا يوقر فيك كبيراً، حتى يؤديَك إلى قعر مظلمة، أرجاؤها موحشة، كفعله بالأمم الخالية والقرون الماضية! أين من سعى واجتهد؛ وجمع وعدّد، وبنى وشيَّد؛ وزخرف ونَجَّد، وبالقليل لم يقنع، وبالكثير لم يمتع؟ أين من قاد الجنود، ونشر البنود؟ أضحوا رفاتاً! تحت الثرى أمواتاً، وأنتم بكأسهم شاربون، ولسبيلهم سالكون.

عباد الله! فاتقوا الله وراقبوه، واعملوا لليوم الذي تسير فيه الجبال، وتشقَّق السماء بالغمام، وتطاير الكتب عن الأيمان والشمائل؛ فأي رجل يومئذ تراك؟ أقائل هاؤم اقرءوا كتابيه! أم: يا ليتني لم أوت كتابيه! نسأل من وعدنا بإقامة الشرائع جنته أن يقينا سخطه؛ إنّ أحسن الحديث وأبلغ الموعظة كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد.

وخطبة له أيضاً:

---

(١) عالج الرمال: ما تراكم منها ودخل بعضه في بعض.

الحمد لله الذي استخلص الحمدَ لنفسه، واستوجبه على جميع خلقه، الذي ناصية كلِّ شيء بيده، ومصير كل شيء إليه، القويِّ في سلطانه، اللطيف في جبروته، لا مانع لما أَعطى، ولا معطى لما منع، خالق الخلائق بقدرته، ومسخِّرهم بمشيئته، وفيِّ العهد، صادق الوعد، شديد العقاب، جزيل الثواب؛ أحمده وأستعينه على ما أنعم به مما لا يَعرف كنهه غيره؛ وأتوكل عليه توكُّل المتسلم لقدرته، المتبري من الحول والقوّة إليه؛ وأشهد شهادةً لا يشوبها شك أنه لا إله إلا هو وحده لا شريك له، إلٰهاً واحداً صَمَداً، لم يتخذ صاحبة ولا ولداً، ولم يكن له شريك في الملك، ولم يكن له وليٌّ من الذل وكبّره تكبيرا، وهو على كل شيء قدير، قطَع ادعاءَ المدّعي بقوله عز وجل: ﴿وما خلقتُ الجنَّ والإنس إلا ليعبدون﴾[1]. وأشهد أنّ محمداً ﷺ صفوتُه من خلقه، وأمينه على وحْيه، أرسله بالمعروف آمراً. وعن المنكر ناهياً، وإلى الحق داعياً؛ على حين فترة من الرسل، وضلالةٍ من الناس، واختلافٍ من الأمور، وتنازع من الألسن، حتى تمم به الوحي، وأنذر به أهل الأرض.

أُوصيكم عباد الله بتقوى الله؛ فإنها العصمة من كل ضلالة، والسبيل إلى كل نجاة؛ فكأنكم بالجثث قد زايلتها أرواحُها، وتضمنها أجداثها، فلن يستقبل معمّر منكم يوماً من عمره إلا بانتقاص آخرَ من أجله، وإنما دنياكم كفْيء الظل أو زاد الراكب؛ وأُحذركم دعاءَ العزيز الجبار عبدَه، يوم تعفي آثاره، وتُوحش منه دياره، وييْتَم صغاره، ثم يصير إلى حفير من الأرض، متعفراً على خدّه، غير موسد ولا ممهد: أسأل الذي وعدنا على طاعته جنته، أن يقينا سخطه، ويجنِّبنا نقمته، ويهب لنا رحمته. إنّ أبلغ الحديث كتاب الله.

وخطبة له رضي الله عنه:

أمّا بعد؛ فإنّ الدنيا قد أدبرت وآذنت بوداع، وإنّ الآخرة قد أقبلت وأشرفت باطِّلاع، وإنّ المضمار اليوم والسباق غداً، ألا وإنكم في أيام أمل من ورائِه أجل؛

---

(١) سورة الذاريات الآية ٥٦.

فَمن أخلص في أيام أمله حضور أجله، نفَعه عمله ولم يضره أمله؛ ومَن قصر في أيام أمله قبل حضور أجله، فقد خسر عمله وضره أمله؛ ألا فاعملوا لله في الرغبة كما تعملون له في الرهبة، ألا وإني لم أر كالجنة نام طالبها، ولم أر كالنار نام هاربها؛ [ألا وإنه من لا ينفعْه الحقّ يضرُرْه الباطل، ومن لم يستقم به الهدى يَجُرّ به الضلال إلى الردى]؛ ألا وإنكم قد أُمرتم بالظعن، ودُللتم على الزاد، وإن أخْوف ما أخاف عليكم اتباع الهوى وطول الأمل.

وخطبة له: قالوا ولما أغار سفيان بن عوف الأزْدي على الأنبار في خلافة علي رضي الله عنه، وعليها [ابن] حسان البكري، فقتله وأزال تلك الخيل عن مسالحها[١]، فخرج علي رضي الله عنه حتى جلس على باب السُّدَّة، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال:

أمّا بعد؛ فإن الجهاد باب من أبواب الجنة، فمن تركه ألبسه الله ثوب الذل وشَمْلَة البلاء، وألزمه الصغار، وسامه الخسف، ومنعه النَّصف[٢]؛ ألا وإني دعوْتكم إلى قتال هؤلاء القوم ليلاً ونهاراً، وسراً وإعلاناً، وقلت لكم: اغزوهم قبل أن يغزوكم، فوالله ما غزي قوم قط في عُقر دارهم إلا ذلّوا. فتواكلتم وتخاذلتم، وثقل عليك قولي فاتخذتموه وراءكم ظهرياً؛ حتى شُنَّت عليكم الغارات؛ وهذا أخو غامد قد بلغت خيله الأنبار، وقتل ابن حسان البكري؛ وأزال خيلكم عن مسالحها؛ وقتل منكم رجالاً صالحين، وقد بلغني أنّ الرجل منهم كان يدخل على المرأة المسلمة والأخرى المعاهِدة، فينزع حِجلها وقلبها[٣] ورعاثها[٤]، ثم انصرفوا وافرين ما كُلِم رجل منهم؛ فلو أنّ رجلاً مسلماً مات من بعد هذا أسفاً ما كان عندي ملوماً، بل كان به عندي جديراً؛ فواعجباً من جدّ هؤلاء في باطلهم وفشلِكم عن حقكم؛ فقبحاً لكم وترحاً حين صرتم غرضاً يُرمَى؛ يُغار عليكم ولا تُغيرون، وتُغزوْن ولا تَغزون، ويُعصى الله وترضوْن؛ فإذا أمرتكم بالمسير إليهم في أيام الحرّ، قلتم: حَمارّة

(١) المسالح: الثغور. (٢) النصف: الانتصاف.

(٣) القلب: السوار. (٤) الرعاث: القرط.

القيظ؛ أملهنا حتى ينسلخ عنا الحرّ! وإذا أمرتكم بالمسير إليهم ضحى في الشتاء، قلتم: [صَبارّة القُرّ][1] أمهلنا حتى ينسلخ عنا هذا القرّ! كل هذا فراراً من الحرّ والقرّ؛ فأنتم والله من السيف أفرّ! يا أشباه الرجال ولا رجال! ويا أحلام[2] أطفال وعقول ربات الحجال! وددت أنّ الله أخرجني من بين أظهركم، وقبضني إلى رحمته من بينكم، وأني لم أركم ولم أعرفكم! معرفةٌ والله جرّت وهنا! [لقد ملأتم قلبي قيحاً] وورّيْتم والله صدري غيظاً، وجرعتموني الموت أنفاساً، وأفسدتم عليَّ رأيي بالعصيان والخذلان، حتى قالت قريش: إنّ ابن أبي طالب شجاع ولكن لا علم له بالحرب! لله أبوهم! وهل منهم أحد أشدّ لها مراساً وأطولُ تجربة مني؟ لقد مارستها وأنا ابن عشرين، فها أنا ذا الآن قد نيَّفت على الستين، ولكن لا رأي لمن لا يُطاع!

وخطبة له رضي الله عنه، قام فيهم فقال:

أيها الناس المجتمعة أبدانهم، المختلفة أهواؤهم! كلامكم يوهِي الصم الصّلاب. وفعلكم يُطمع فيكم عدوّكم؛ تقولون في المجالس كيت وكيت؛ فإذا جاء القتال قلتم: [حِيدي][3] حياد ما عزت دعوة من دعاكم؛ ولا استراح قلب من قاساكم؛ أعاليل بأباطيل؛ وسألتموني التأخير؛ دفاعَ ذي الدَّين الممطول؛ ألا [لا] يدفع الضيمَ الذليل، ولا يُدرَك الحقُّ إلا بالجدّ. أيَّ دار بعد داركم تمنعون؟ أم مع أي إمام بعدي تقاتلون؟ المغرورُ والله من غررتموه؛ ومن فاز بكم فاز بالسهم الأخيَب! أصبحت والله لا أصدّق قولكم؛ ولا أطمع في نُصْرتكم؛ فرّق الله بيني وبينكم، وأعقبني بكم من هو خير لي منكم! وددت والله أن لي بكل عشرة منكم رجلاً من بني فراس بن غنم، صرْف الدينار بالدرهم!

وخطب إذا استنفر أهل الكوفة لحرب الجمل، فأقبلوا إليه مع ابنه الحسن رضي الله عنهم، فقام فيهم خطيباً فقال:

---

(١) القرّ: البرد. (٢) أحلام: عقول.

(٣) حيدي: ميلي، يريد تنحي عني أيتها الحرب.

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين وآخر المرسلين، أمّا بعد؛ فإنّ الله بعث محمداً عليه الصلاة والسلام إلى الثقلين كافة، والناسَ في اختلاف، والعرب بشرِّ المنازل، مستضيئون للثاءات[1] بعضهم على بعض، فرأب الله به الثَّأي، ولأم به الصدع، ورتق به الفتق، وأمّن به السبل، وحقن به الدماء، وقطع به العداوة الواغرة للقلوب، والضغائن المخشنة للصدور؛ ثم قبضه الله عز وجل مشكوراً سعيه، مرضيّاً عمله، مغفوراً ذنبه، كريماً عند ربه نُزُله؛ فيا لها مصيبة عمَّت المسلمين، وخصَّت الأقربين؛ وولي أبو بكر، فسار بسيرة رضيها المسلمون؛ ثم ولي عمر، فسار بسيرة أبي بكر رضي الله عنهما؛ ثم ولي عثمان، فنال منكم ونلتم منه، حتى إذا كان من أمره ما كان أتيتموه فقتلتموه، ثم أتيتموني فقلتم لي: بايعنا! فقلت لكم: لا أفعل! وقبضت يدي فبسطتموها، ونازعتم كفي فجذبتموها، وقلتم: لا نرضى إلا بك، ولا نجتمع إلا عليك! وتداككتم[2] عليّ تداكُكَ الإبل الهيم[3] على حياضها يوم ورودها، حتى ظننت أنكم قاتلي، وأن بعضكم قاتل بعض؛ فبايعتموني، وبايعني طلحة والزبير، ثم ما لبثا أن استأذناني للعمرة فسارا إلى البصرة فقتلا بها المسلمين وفعلا الأفاعيل، وهما يعلمان والله أني لست بدون واحدٍ ممن مضى، ولو أشاء أن أقول لقلت؛ اللهم إنهما قطعاً قرابتي، ونكثا بيعتي، وألبا عليَّ عدوّي؛ اللهم فلا تُحكم لهما ما أبرما، وأرهما المساءة فيما عملا وأملا!

ومما حفظ عنه بالكوفة على المنبر: قال نافع بن كليب: دخلت الكوفة للتسليم على أمير المؤمنين علي رضي الله عنه، فإني لجالس تحت منبره، وعليه عمامة سوداء، وهو يقول: انظروا هذه الحكومة، فمن دعا إليها فاقتلوه وإن كان تحت عمامتي هذه! فقال له عدي بن حاتم: قلت لنا أمس: من أبى عنها فاقتلوه. وتقول لنا اليوم: من دعا إليها فاقتلوه! والله ما ندري ما نصع بك؟ وقام إليه رجل أحدب من أهل العراق فقال: أمرت بها أمس وتنهى عنها اليوم، فأنت كما قال الأول: آكلك وأنا أعلم ما أنت. فقال علي: إلي يقال هذا.

---

(١) الثأي: الإفساد. (٢) تداككتم: تزاحمتم. (٣) الهيم: العطاش.

أصبَحْتُ أَذْكرُ أرْحـامـاً وآصِـرةً بُدلتُ منها هَوِيّ الرِّيح بالقَصَبِ[1]

أما والله لو أني حين أمرتكم بما أمرتكم به، ونهيتكم عما نهيتكم عنه، حملتكم على المكروه الذي جعل الله عاقبتَه خيراً إذا كان فيه، لكانت الوثقى التي لا تقلع، ولكن بمَنْ؟ وإلى مَن؟ [أريد أن] أُداوي بكم [وأنتم دائي]؛ إني والله بكم كناقِش[2] الشَّوكة بالشوكة، يا ليت لي بعض قومي وليت لي من بعد خير قومي، اللهم إن دجلة والفرات نهران أعجمان أصمان أبكمان، اللهم سلط عليهما بحرك، وانزع منهما بصرك؛ ويل للنَّزَعة[3] يا أشطان الرَّكيِّ[4]! [أين الذين] دُعوا إلى الإسلام فقبلوه، وقرءوا القرآن فأحسنوه، ونطقوا بالشعر فأحكموه وهيجوا إلى الجهاد فولِهُوا [وَلَهَ] اللقاح [إلى] أولادها، وسلبـوا السيـوف أغمادهـا ضربـاً ضربـاً، [وأخذوا بأطراف الأرض] زحفاً زحفاً، لا يتباشرون بالأحياء، ولا يُعزَّون على القتلى ولا يغيرون على العلي.

أولئكَ إخـوانِـي آلـذاهبُـونَ فحـقّ البُكـاءِ لَهُمْ أَنْ يَطيبـا
رُزِقْـتُ حبيبـاً على فـاقـةٍ وفارقْتُ بعـدَ حبيـبٍ حبيبا!

ثم نزل تدمع عيناه؛ فقلت إنا لله وإنا إليه راجعون على ما صرت إليه! فقال: نعم، إنا لله وإنا إليه راجعون! أقوِّمهم والله غدوة ويرجعون إلى عشية مثل ظهر الحية، حتى متي؟ وإلى متى؟ حسبي الله ونعم الوكيل!

وهذه خطبته الغراء، رضي الله عنه:

الحمد لله الأحد الصمد، الواحد المنفرد، الذي لا مِن شيء كان ولا من شيء خُلق إلا وهو خاضع له؛ قدرةٌ بان بها من الأشياء وبانت الأشياء منه، فليست له صفة تنال، ولا حدٌّ يضرب له فيه الأمثال، كلَّ دون صفته تحبيرُ اللغات، وضلت هناك تصاريفُ الصفات وحارت دون ملكوته مذاهب التفكير، وانقطعت دون علمه

---

(١) هويّ الريح: هبوبها. (٢) نقش الشوكة: أخرجها.
(٣) النزعة: الذين ينزعون الدلاء. (٤) الأشطان: حبال الدلاء. والركيّ: البئر.

جوامعُ التفسير، وحالت دون غيبه حُجُبٌ تاهت في أدنى دنوِّها طامحاتُ العقول؛ فتبارك الله الذي لا يبلغه بُعدُ الهمم، ولا يناله غوص الفطن؛ وتعالى الذي ليس له نعت موجود، ولا وقت محدود، وسبحان الذي ليس له أول مُبتدأ، ولا غاية منتهى، ولا آخر يفنى؛ وهو سبحانه كما وصف نفسه، والواصفون لا يبلغون نعته؛ أحاط بالأشياء كلها علمه وأتقنها صنعهُ، وذللها أمره، وأحصاها حفظُه؛ فلا يعزب عنه غيوب الهوى، ولا مكنونُ صلم الدجى، ولا ما في السموات العلى إلى الأرض السابعة السفلى؛ فهو لكل شيء منها حافظ ورقيب، أحاط بها الأحدُ الصمد الذي لم تغيِّره صروف الأزمان، ولا يتكاءده[1] صنعُ شيء منها كان؛ قال لما شاء أن يكون: كن! فكان؛ آبتدع ما خلق بلا مثال سبق، ولا تعب ولا نصب؛ وكل عالم من بعد جهلٍ يعلم، والله لم يجهل ولم يتعلم؛ أحاط بالأشياء كلها علماً، ولم يزدد بتجربتها خُبراً؛ علمه بها قبل كونها كعمله بها بعد تكوينها؛ لم يكوِّنها لتسديد سلطان، ولا خوف زوال ولا نقصان، ولا استعانة على ضد مناويء، ولا ند مكاثر، ولكن خلائق مربوبون، وعباد آخرون، فسبحان الذي لا يئُودُه[2] خلق ما ابتدأ، ولا تدبير ما برأ، خلق ما عَلِم، وعلِم ما أراد، ولا يتفكر على حادث أصاب، ولا شبهة دخلت عليه فيما أراد، لكن قضاءٌ مُتْقَن، وعلمٌ محكم، وأمرٌ مُبرَم، توحَّد بالربوبية، وخص نفسه بالوحدانية، فلبس العز والكبرياء، واستخلص المجد والسناء، واستكمل الحمد والثناء؛ فانفرد بالتوحيد، وتوحد بالتمجيد؛ فجل سبحانه وتعالى عن الأبناء وتطهر وتقدس عنْ ملامسة النساء؛ فليس له فيما خلق نِدّ، ولا فيما ملك ضدّ، هو الله الواحد الصمد، الوارث للأبد الذي لا يبيد ولا ينفد، مَلك السموات العلى، والأرَضين السفلى، ثم دنا فعلا. وعلا فدنا، له المثل الأعلى، والأسماء الحسنى، والحمد لله رب العالمين؛ ثم إن الله تبارك وتعالى - سبحانه وبحمده - خلق الخلق بعلمه ثم اختار منهم صفوته، واختار من كل خيار صفوته أمناءَ على وحيه، وخزنةً له على أمره، إليهم ينتهي رسله، وعليهم ينزل وحيه، جعلهم أصفياء، مصطفين

---

(١) تكاءده الأمر: شق عليه. (٢) آد الشيء حامله: أثقله وأجهده.

أنبياء، مهديين نجباء؛ آستودعهم وأقرهم في خير مستقَر، تناسختهم أكارم الأصلاب، إلى مطهّرات الأمهات، كلما مضى منهم سلف انبعث لأمره منهم خلف، حتى انتهت نبوّة الله وأفضت كرامتُه إلى محمد ﷺ؛ فأخرجه من أفضل المعادن محتداً، وأكرم المغارس منبتاً، وأمنعها ذروة، وأعزها أرومة، وأوصلها مكرمة من الشجرة التي صاغ منها أمناء، وانتخب منها أنبياء، شجرة طيبة العود، معتدلة العمود، باسقة الفروع، مخضرة الأصول والغصون، يانِعةَ الثمار، كريمة المجتَنى، في كرمٍ نبتتْ، وفيه بسقت وأثمرت، وعزت فامتنعت، حتى أكرمه الله بالروح الأمين، والنور المبين، فختم به النبيين، وأتم به عدة المرسلين، [وجعله] خليفته على عباده، وأمينه في بلاده؛ زينه بالتقوى وآثار الذكرى؛ وهو إمام من اتقى، ونصرُ مَن اهتدى، سراجٌ لمعَ ضوءُه، وزَند برقَ لمعه، وشهابٌ سطع نوره؛ فاستضاءت به العباد، وآستنارت به البلاد؛ وطوى به الأحساب فأزجى به السحاب، وسخر له البراق حتى صافحته الملائكة، وأذعنت له الألسنة، وهدم به أصنام الآلهة، سِيرته القَصد، وسُنته الرشد؛ وكلامُه فصل، وحكمه عدل؛ فصدع ﷺ بما أمره به، حتى أفصح بالتوحيد دعوته؛ وأظهر في خلقه لا إله إلا الله، حتى أذعن له [الخلقُ] بالربوبية، وأقرّ له بالعبودية والواحدانية؛ اللهم فخصَّ محمداً بالذكر المحمود. والحوضِ المورود. اللهم آت محمداً الوسيلة والرفعة والفضيلة، واجعل في المصطَفَيْنِ محلته، وفي الأعلين درجته، وشرِّف بنيانه وعظِّم برهانه، واسقنا بكأسه، وأوردنا حوضه، واحشرنا في زمرته، غير حزايا ولا ناكثين ولا شاكين ولا مرتابين ولا ضالين ولا مفتونين ولا مُبدلين ولا حائدين ولا مضلين؛ اللهم أعط محمداً من كل كرامة أفضلها، ومن كل نعيم أكمله، ومن كل عطاء أجزله، ومن كل قسم أتمه؛ حتى لا يكون أحد من خلقك أقربَ منك مكاناً، ولا أحظى عندك منزلة ولا أقرب إليك وسيلة، ولا أعظم عليك حقاً ـ ولا شفاعة، من محمد؛ واجمع بيننا وبينه في ظل العيش، وبرد الرَّوْح[1]، وقرة الأعين، ونضرة السرور، وبهجة النعيم؛ فإنا نشهد أنه قد بلغ

---

(١) الروح: نسيم الريح.

الرسالة، وأدى الأمانة والنصيحة، واجتهد للأمة. وجاهد في سبيلك. وأوذي في جنبك ولم يَخَف لومة لائم في دينك. وعَبدَك حتى أتاه اليقين، إمام المتقين، وسيد المرسلين، وتمام النبين، وخاتم المرسلين ورسول رب العالمين؛ اللهم رب البيت الحرام، ورب البلد الحرام، ورب الركن والمقام، ورب المشعر الحرام؛ بلِّغْ محمداً منا السلام؛ اللهم صل على ملائكتك المقربين، وعلى أنبيائك المرسلين، وعلى الحفظة الكرام الكاتبين، وصلى الله على أهل السموات وأهل الأرضين من المؤمنين.

وخطبته الزهراء:

الحمد لله الذي هو أول كل شيء ووليه، وكل شيء خاشع له، وكل شيء قائم به، وكل شيء ضارعٌ إليه، وكل شيء مستكين له؛ خشعت له الأصوات، وكلّت دونه الصفات، وضلت دونه الأوهام، وحارت دونه الأحلام، وانحسرت دونه الأبصار لا يقضي في الأمور غيره، ولا يتم شيء دونه، سبحانه ما أجل شأنه، وأعظم سلطانه! تُسبح له السموات العلى، ومن في الأرض السفلى، له التسبيح والعظمة والملك والقدرة، والحولُ والقوة، يقضي بعلم ويعفو بحلم؛ قوةُ كلّ ضعيف، ومفزع كل ملهوف وعِزّ كلِّ ذليل، ووليُّ كل نِعمة، وصاحب كلِّ حسنة، وكاشفُ كل كربة المُطَّلع على كل خفِيَّة، المحصِي كلَّ سريرة، يعلم ما تُكِنُّ الصدور، وما تُرْخَى عليه الستور؛ الرحيم بخلقه، الرؤوف بعباده؛ من تكلم منهم سمِع كلامه، ومن سكت منهم عَلِم ما في نفسه، ومن عاش منهم فعليه رِزْقُه، ومن مات منهم فإليه مصيره؛ أحاط بكل شيء علمُه وأحصى كل شيء حفظُه، اللهم لك الحمد عدد ما تحيي وتُميت، وعدد أنفاس خلقك ولفظِهم ولحظِ أبصارهم، وعدد ما تجري به الريح وتحمله السحاب، ويختلف به الليل والنهار، ويسير به الشمس والقمر والنجوم ـ حمداً لا ينقضي عدده، ولا يفنى أمده: اللهم أنت قبل كل شيء، وإليك مصير كل شيء، وتكون بعد هلاك كل شيء وتبقى ويفنى كلُّ شيء، وأنت وارثُ كلَّ شيء، أحاط علمُك بكلِّ شيء، وليس يُعجزُك شيء، ولا يتوارى عنك شيء، ولا يقدر أحد قدرتَك، ولا يشكرك أحد حقَّ شكرك، ولا تهتدي العقول لصفتك، ولا تبلغ

الأوهام حدّك؛ حارت الأبصار دون النظر إليك، فلم ترك عينٌ فتخبر عنك كيف أنت وكيف كنت. لا نعلم اللهم كيف عظمتُك، غير أنا نعلم أنك حيٌّ قيوم، لا تأخذك سِنَةٌ ولا نوم، لم ينته إليك نظر، ولم يُدْرِكْكَ بصر، ولا يقدر قدرتَك ملَكٌ ولا بشَر؛ أدركت الأبصار، وكتمت الآجال، وأحصيت الأعمال، وأخذت بالنواصي والأقدام، لم تخلق الخلق لحاجة ولا لوحشة ملأت كلَّ شيء عظمة، فلا يُردُّ ما أردت، ولا يعطَى ما منعت، ولا ينقص سلطانك من عصاك، ولا يزيد في ملكك من أطاعك؛ كلُّ سرٍّ عندك علمُه، وكل غيب عندك شاهده؛ فلم يستتر عنك شيء، ولم يشغلك شيء عن شيء، وقدرتُك على ما تقضي، كقدرتِك على ما قضيت، وقدرتك على القوي كقدرتك على الضعيف وقدرتك على الأحياء كقدرتك على الأموات؛ فإليك المنتهى وأنت الموعد، لا منجى إلا إليك؛ بيدك ناصيةُ كل دابة، وبإذْنك تسقط كلُّ ورقة؛ لا يعزب[1] عنك مثقال ذرة؛ أنت الحيُّ القيوم؛ سبحانك! ما أعظم ما يُرى من خلقك! وما أعظم ما يُرى من ملكوتك! وما أقلها فيما غاب عنا منه! وما أسبغ نعمتَك في الدنيا وأحقرها في نعيم الآخرة! وما أشدّ عقوبتك في الدنيا وما أيسرها في عقوبة الآخرة! وما الذي نرى من خلقك، ونعتبر من قدرتك. ونصف من سلطانك فيما يغيب عنا منه مما قصُرَت أبصارُنا عنه وكانت عقولنا دونه، وحالت الغيوب بيننا وبينه، فمن قرع سنه وأعمل فكره كيف أقمت عرشك، وكيف ذرأت خلقك، وكيف علقت في الهواء سمواتك، وكيف مددت أرضك - يرجعْ طرْفُهُ حاسراً، وعقلُه مبهوراً، وسمعه والها، وفكرُه متحيراً؛ فكيف يُطلب علم ما قبل ذلك من شأنك إذ أنت وحدك في الغيوب التي لم يكن فيها غيرُك، ولم يكن لها سواك؟ لا أحد شهدك حين فطَرْتَ[2] الخلق، ولا أحد حضرك حين ذرأْتَ[3] النفوس، فكيف لا يعظم شأنُك عند من عرفك، وهو يرى من خلقك ما ترتاع به عقولهم، ويملأ قلوبهم، من رعدٍ تفزَعُ له القلوب، وبرقٍ يخطف الأبصار، وملائكةٍ خلقتَهم وأسكنتَهم سمواتك، وليست فيهم فترة، ولا عندهم غفلة، ولا بهم معصية؛

(١) يعزب: يغيب. (٢) يقال فطر الله العالم: أوجده ابتداء. (٣) يقال: ذرأ الله الخلق: أي خلقهم.

هم أعلمُ خلقك بك، وأخوفهم لك، وأقومُهم بطاعتك، ليس يغشاهم نومُ العيون، ولا سهوُ العقول؛ لم يسكنوا الأصلاب، ولم تضمَّهم الأرحام؛ أنشأتهم إنشاءً، وأسكنتهم سَمٰواتك، وأكرمتَهم بجوارك، وائتمنتهم على وحيك، وجنبتَهم الآفات، ووقيتهم السيئات، وطهرتَهم من الذنوب؛ فلولا تقويتك لم يقْوُوا، ولولا تثبيتك لم يثبتوا، ولولا رهبتك لم يطيعوا، ولولاك لم يكونوا؛ أما إنهم على مكانتهم منك، ومنزلتهم عندك، وطولِ طاعتهم إياك ـ لو يعانون ما يخفي عليهم لاحتقروا أعمالهم، ولعلموا أنهم لم يعبدوك حقَّ عبادتك؛ فسبحانك خالقاً ومعبوداً ومحموداً، بحسن بلائك عند خلقك! أنت خلقت ما دبرته مطعماً ومشرباً، ثم أرسلت داعياً إلينا، فلا الداعِيَ أجَبنا، ولا فيما رغَّبتَنا فيه رغِبْنا، ولا إلى ما شوَّقتنا إليه اشتقنا؛ أقبلنا كلنا على جيفة نأكل منها ولا نشبع وقد زاد بعضُنا على بعض حرصاً لما يرى بعضُنا من بعض، فافتضحنا بأكلها واصطلحنا على حبها، فأعمت أبصار صالحينا وفقهائنا، فهم ينظرون بأعين غير صحيحة، ويسمعون بآذان غير سميعة، فحيثما زالت زالوا معها، وحيثما مالت أقبلوا إليها، وقد عاينوا المأخوذين على الغِرّة كيف فجأتهُمُ الأمور، ونزل بهم المحذور، وجاءهم من فراق الأحبة ما كانوا يتوقعون، وقدِموا من الآخرة ما كانوا يوعدون: فارقوا الدنيا وصاروا إلى القبور، وعَرفوا ما كانوا فيه من الغرور، فاجتمعت عليهم حسرتان: حسرةُ الفَوت[1] وحسرةُ الموت، فاغبرت لها وجوههم وتغيرت بها ألوانهم، وعرقت بها جباهُهم، وشَخصَتْ أبصارُهم، وبردت أطرافهم، وحيل بينهم وبين المنطق، وإن أحدهم لبيْنَ أهله، ينظر ببصره، ويسمعُ بأذنه؛ ثم زاد الموت في جده حتى خالط بصره، فذهبت من الدنيا معرفته، وهلكت عند ذلك حجته، وعاين هول أمرٍ كان مغطى عليه فأحدّ لذلك بصرَه؛ ثم زاد الموتُ في جده حتى بلغت نفسه الحلقوم، ثم خرج من جسده فصار جسداً ملقى لا يجيب داعياً، ولا يسمع باكياً؛ فنزعوا ثيابه وخاتمه، ثم وضَّئوه وضوء الصلاة، ثم غسلوه وكفنوه إدراجاً في أكفانه وحنطوه، ثم حملوه إلى قبره، فدلوه في حفرته، وتركوه

---

(١) الفوت: يقال: جعل الله رزقه فوت يده: أي حيث يراه ولا يصل إليه.

مخلي بمفظعات من الأمور، وتحت مسألة منكر ونكير، مع ظلمة وضيق ووحشة قبر، فذاك مثواه حتى يبلى جسدُه ويصير تراباً؛ حتى إذا بلغ الأمر إلى مقداره، وألحق آخر الخلق بأوله، وجاءه أمر من خالقه، أراد به تجديد خلقه ـ أمر بصوت من سمواته فمارت السموات موراً[1]، وفزع من فيها، وبقي ملائكتها على أرجائها، ثم وصل الأمر إلى الأرض، والخلقُ رفاتٌ لا يشعرون فأرج أرضُهم وأرجَفَها وزلزَلها، وقلع جبالَها ونسفَها وسيَّرَها، ودكَّ بعضُها بعضاً من هيبته وجلاله، وأخرج من فيها فجدّدهُمْ بعد بلائهم، وجمعهم بعد تفرُّقهم، يريد أن يُحصِيَهم ويميزهم، فريقاً في ثوابه، وفريقاً في عقابه، فخلد الأمر لأبده، دائماً خيره وشره، ثم لم ينس الطاعة من المطيعين، ولا المعصية من العاصين، فأراد عز وجل أن يجازي هؤلاء، وينتقم من هؤلاء، فأثاب أهل الطاعة بجواره، وحلولِ داره، وعيشٍ رغد، وخلود أبد، ومجاورةٍ للرب، وموافقة محمد ﷺ، حيث لا ظعن ولا تغيُّر؛ وحيث لا تصيبهم الأحزان، ولا تعترضهم الأخطار؛ ولا تُشْخِصُهم[2] الأسفار؛ وأما أهل المعصية فخلدهم في النار، وأوثق منهم الأقدام وغلَّ منهم الأيدي إلى الأعناق؛ في لهب قد اشتد حره، ونارٍ مطبقة على أهلها لا يدخل عليها بها روْح، همُّهم شديد، وعذابُهم يزيد، ولا مدة للدار تنقضي، ولا أجل للقوم ينتهي.

اللهم إني أسألك بأن لك الفضل والرحمة بيدك، فأنت وليها لا يليها أحد غيرك، وأسألك باسمك المخزون المكنون، الذي قام به عرشُك وكرسيُّك وسمواتُك وأرضُك، وبه ابتدعتَ خلقَك ـ الصلاةَ على محمد، والنجاةَ من النار برحمتك، آمين؛ إنك وليٌّ كريم.

وخطب أيضا فقال: أيها الناس احفظوا عني خمساً فلو شدَدْتُم إليها المطايا حتى تُنضوها لم تظفروا بمثلها: ألاَ لا يرجُوَنَّ أحدُكم إلا ربَّه، ولا يخافنّ إلا ذنبه ولا يستحْيِ أحدكم إذا لم يعلم أن يتعلم، وإذا سئل عما لا يعلم أن يقول لا أعلم، ألا وإن

(١) المور: الاضطراب. (٢) يقال شخص من بلده: أي خرج. وشخص اليه: رجع.

الخامسة الصبر، فإن الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد؛ من لا صبر له لا إيمان له، ومن لا رأس له لا جسد له: ولا خير في قراءة إلا بتدبُّر ولا في عبادة إلا بتفكُّر، ولا في حلم إلا بعلم؛ ألا أنبئكم بالعالِم كل العالم؟ من لم يزين لعباد الله معاصيَ الله، ولم يُؤمِّنْهم مكرَه، ولم يُؤيْسهم من روْحه. لا تُنزلوا المطيعين الجنة ولا المذنبين الموحدين النار حتى يضيَ الله فيهم بأمره؛ ولا تأمنوا على خير هذه الأمة عذابَ الله؛ فإنه يقول: ﴿فلا يَأْمنُ مكْرَ اللهِ إلاّ القوْمُ الخاسِرون﴾[1] ولا تقنطوا شر هذه الأمة من رحمة الله، ﴿فإنه لا ييأس من رَوح الله إلا القوم الكافرون﴾[2].

ومن كلامه رضوان الله عليه: قال ابن عبّاس: لما فرغ عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه من وقعة الجمل، دعا بآجرَّتين فعلاهما، ثم حمد الله وأثنى عليه، ثم قال:

يا أنصار المرأة وأصحاب البهيمة! رغا فأجبتم وعُقِرَ فهربتم؛ دخلت شرَّ بلاد [أقربها من الماء، و] أبعدها من السماء. بها يغيض كل ماء، ولها شرُّ أسماء: هي البصرة، والبُصيرة، والمُؤتفكة، وتَدمر. أين ابن عبَّاس؟ فدُعِيت. فقال لي: مُرْ هذه المرأة فلْتَرْجع إلى بيتها الذي أُمِرَت أن تَقَرَّ فيه.

وتمثل علي بن أبي طالب رضي الله عنه بعد الحكمين:

زَلَلــتُ فيكــم زَلَّــةً فــأعتــذِرْ سوف أكِيس بعدَهـا وأشتَمـرْ[3]

وأجمعُ الأمر الشَّتِيت المُنْتشر

خطب معاوية

قال القحذمي: لما قَدم معاويةُ المدينة عام الجماعة تلقّاه رجال قريش فقالوا: الحمد لله الذي أعز نصرك، وأعلى كعبك. قال: فوالله ما ردّ عليهم شيئاً حتى صعد المنبر؛ فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال:

---

(١) سورة الأعراف الآية ٩٩. (٢) سورة يوسف الآية ٨٧.

(٣) الكيْس: العقل.

أما بعد فإني والله ما وليتُها بمحبة علمتُها منكم ولا مسرَّة بولايتي، ولكني جالدتكم بسيفي هذا مجالدة، ولقد رُضْتُ لكم نفسي على عمل ابن أبي قحافة، وأردتها على عمل عمر، فنفرتْ من ذلك نفارا شديداً؛ وأردتها مثل ثَنِيَّات[1] عثمان، فأبت عليّ؛ فسلكت بها طريقا لي ولكم فيه منفعة: مؤاكلة حسنة، ومُشاربة جميلة؛ فإن لم تجدوني خيرَكم فإني خيرٌ لكم ولاية؛ والله لا أحمل السيف على من لا سيف له، وإن لم يكن منكم إلا ما يستشفى به القائل بلسانه، فقد جعلت ذلك له دَبْرَ أذني وتحت قدمي؛ وإن لم تجدوني أقوم بحقكم كله فاقبلوا مني بعضه، فإن أتاكم مني خيرٌ فاقبلوه، فإن السيل إذا زاد عَنّى، وإذا قلَّ أغنى[2]؛ وإياكم والفتنة، فإنها تفسد المعيشة، وتكدّر النعمة. ثم نزل.

خطبة أيضا لمعاوية

حمد الله وأثنى عليه، ثم صلى على النبي ﷺ، ثم قال:

أما بعد، أيها الناس، إنا قدِمنا عليكم، وإنما قدمنا على صديق مستبشر، أو على عدو مستتر، وناسٍ بين ذلك ينظرون وينتظرون ﴿فإنْ أُعْطُوا منها رَضُوا وإنْ لم يُعطَوْا منها إذا هُمْ يَسْخَطون﴾[3] ولست واسعاً كلَّ الناس؛ فإن كانت محمدةٌ فلا بدّ مِن مذَمَة، فلَوناً هَوْناً إذا ذُكر غُفِر؛ وإياكم والتي إن أُخفيت أو بقت، وإن ذُكرت أوثقت. ثم نزل.

وخطبة أيضا لمعاوية

صعد مِنبر المدينة، فحمد الله وأثنى، عليه ثم قال:

يا أهل المدينة، إني لست أحب أن تكونوا خلقا كخلق العراق؛ يعيبون الشيء وهم فيه، كل امرىء منهم شيعةُ نفسه، فاقبلونا بما فينا فإن ما وراءنا شرٌّ لكم، وإن

---

(١) الثنيات: جمع ثنية: الطريق العالي في الجبل.

(٢) أغنى: كفى.   (٣) سورة التوبة الآية ٥٨.

معروف زماننا هذا منكَرُ زمان قد مضى، ومنكَر زماننا معروف زمان لم يأت، ولو قد أتى فالرَّتق خير من الفتق، وفي كلّ بلاغ، ولا مقام على الرزية.

وخطبة لمعاوية أيضا

قال العتبي: خطب معاوية الجمعة في يوم صائف شديد الحر، فحمد الله وأثنى عليه، وصلى على رسوله ﷺ، ثم قال:

إن الله عز وجل خلقكم فلم يَنسكُم، ووعظكم فلم يهملكم، فقال: ﴿يا أيها الذينَ آمنوا اتَّقوا اللهَ حقَّ تُقاتِه ولا تَموتُنَّ إلاَّ وأنتمْ مُسْلِمون﴾[1]. قوموا إلى صلاتكم.

ومما ذكر لعبيد الله بن زياد عند معاوية

قال ابن دأب: لما قدم عبيد الله بن زياد على معاوية بعد هلاك زياد فوجده لاهياً عنه أنكره، فجعل يتصدّى له بخلوة ليسبُر من رأيه ما كَرِهَ أن يُشرك به عمله، فاستأذن عليه بعد انصداع الطُّلاب وإشغال[2] الخاصة وافتراق العامة، وهو يوم معاوية الذي كان يخلو فيه بنفسه، ففطن معاوية لما أراد، فبعث إلى ابنه يزيد، وإلى مروان بن الحكم، وإلى سعيد بن العاص، وعبد الرحمن بن الحكم، وعمرو بن العاص، فلما أخذوا مجالسهم أذِن له، فسلم ووقف واجما يتصفح وجوه القوم، ثم قال:

صريح العقوق مُكاتمةُ الأدْنين، لا خير في اختصاص وإن وفَرَ[3]، أحمد الله إليكم على الآلاء[4]، وأستعينه على اللأواء[5]، وأستهديه من عمى مُجهِد، وأستعينه على عدو مرصِد، وأشهد أن لا إله إلا الله المنقذ بالأمين الصادق من شقاء هاوٍ، ومن غواية غاوٍ، وصلوات الله على الزكي، نبيّ الرحمة، ونذير الأمّة، وقائد الهدى؛ أمّا بعد يا أمير المؤمنين، فقد عسف بنا ظنٌّ فَرَّع[6]، وفَزَع صدّع، حتى طمع السحيق،

---

(١) سورة آل عمران الآية ١٠٢.
(٢) الإشغال: التفرق.
(٣) وفز: عمّ وشاع.
(٤) الآلاء: النعم.
(٥) اللأواء: الشدة.
(٦) فرع: فرق.

وبئس الرفيق، ودب الوشاة بموت زياد، فكلهم متحفّز للعداوة، وقد قلّص الإزْرة[1]، وشمّر عن عِطافه[2]، ليقول؛ مضى زياد بما استُلحق به، وولّى على الدنية من مُستلِحقه. فليت أمير المؤمنين سَلِم في دَعته، وأسلم زياداً في ضَعته، فكان ترب عامّته، وواحد رعيّته، فلا تشخص إليه عين ناظر ولا أصبع مشير، ولا تذلَق[3] عليه ألسن كَلَمتْه حيا ونبشته ميتا، فإن تكن يا أمير المؤمنين حاببت زياداً بولاء رفات، ودعوة أموات، فقد حاباك زياد بجدّ هصور وعزم جسور، حتى لانت شكائمُ الشّرس، وذلت صعبة الأشوس، وبذل لك يا أمير المؤمنين يمينه ويساره، تأخذ بهما المنيع، وتقهر بهما البزيع[4]، حتى مضى والله يَغفر له؛ فإن يكن زياد أخذ بحقْ فأنزلنا منازل الأقربين يا أمير المؤمنين نمشي الضَّرَّاء[5] وندبّ الخفاء[6]، ولنا من خيرك أكمله، وعليك من حوبنا[7] أثقله، وقد شهد القوم، وما ساءني قربهم ليُقرّوا حقا، ويردّوا باطلا؛ فإنّ للحقِّ مناراً واضحاً، وسبيلا قصْدا؛ فقل يا أمير المؤمنين بأي أمريْك شئت، فما نأرز[8] إلى غير جُحرنا، ولا نستكثر بغير حقنا، وأستغفر الله لي ولكم.

قال: فنظر معاوية في وجوه القوم كالمتعجب، فتصفَّحهم بلحْظه رجلا رجلا وهو متبسم، ثم اتجه تلقاءه وعقد حبوته وحسر عن يده وجعل يومئ بها نحوه، ثم قال معاوية:

الحمد لله على ما نحن فيه؛ فكل خير منه، وأشهد أن لا إله إلا الله؛ فكل شيء خاضع له، وأنّ محمداً عبده ورسوله، دلّ على نفسه بما بان عن عجز الخلق أن يأتوا بمثله، فهو خاتم النبيين، ومصدّق المرسلين، وحجة رب العالمين، صلوات الله عليه وسلامه وبركاته، أمّا بعد، فرب خيرِ مستور، وشر مذكور، وما هو إلا السهم الأخْيب لمن طار به، والحظ المرغِب لمن فاز به، فيهما التفاضل، وفيهما التغابن، وقد

---

(١) الإزرة: الاتزار.
(٢) العطاف: الرداء.
(٣) ذلق اللسان: ذرب وحد.
(٤) البزيع: السيد.
(٥) الضراء: الشجر الملتف.
(٦) دبّ الخفاء: المكر والخديعة.
(٧) الحوب: الإثم.
(٨) يقال: أرزت الحية إلى جحرها، إذا لاذت به ورجعت إليه.

صَفقتْ يداي في أبيك صفقة[١] ذي الخَلة من ضوارع[٢] الفُصْلان، عامَلَ اصطناعي له بالكفر لما أوليته، فما رميتُ به إلا انتصل[٣]، ولا انتضيته إلا غلّقَ جفنه، وزلّت شفرته، ولا قلتُ إلا عانَد، ولا قمتُ إلا قعد، حتى اخترمه الموت، وقد أوقع بَختَره[٤]، ودل على حقده، وقد كنت رأيت في أبيك رأيا حضَرَه الخطل، والتبس به الزلل، فأخذ مني بحظ الغفلة، وما أبريء نفسي، إنّ النفس لأمّارة بالسوء؛ فما برحت هَناة أبيك تحطب في جبل القطيعة حتى انتكث المبرم. وانحل عقد الوداد. فيا لها توبةً تُؤتَنف من حَوبة[٥] أورثت ندما أسمعَ بها الهاتف وشاعت للشامت؛ فليهنأ الواصم[٦] ما به احتقر؛ وأراك تحمد من أبيك جِدا وجُسورا: هما أوفيا به على شرف التقحم. وغمط النعمة؛ فدعْهما فقد أذكرتَنا منه ما زهَّدَنا فيك من بعده، وبهما مشيتَ الضرّاء ودببت الخفاء؛ فاذهب إليك، فأنت نَجْل الدَّغَل[٧]، وعِترة النَّغَل؛ والأخَر شرّ.

فقال يزيد: يا أمير المؤمنين، إنّ للشاهد غيرَ حكم الغائب، وقد حضرك زياد، وله مواطن معدودة بخير، لا يفسدها التظنّي، ولا تغّيرها التهم، وأهلوه أهلوك التحقوا بك، وتوسطوا شأنك، فسافرتْ به الرُّكبان، وسمعت به أهل البلدان، حتى اعتقده الجاهل، وشك فيه العالم، فلا يتحجَّر يا أمير المؤمنين ما قد اتسع، وكثرت فيه الشهادات، وأعانك عليه قوم آخرون.

فانحرف معاوية إلى من معه فقال: هذا، وقد نَفِس عليه[٨] ببيعته، وطعن في إمرته، يعلم ذلك كما أعلمه؛ يا لَلرجال من آل أبي سفيان! لقد حكموا وبذَّهم يزيدُ وحده.

ثم نظر إلى عبيد الله فقال: يا ابن أخي، إني لأعْرَف بك من أبيك، وكأني بك

---

(١) صفقت: صادفت.
(٢) ضوارع الفصلان: صغار الفصلان الضعيفة الضاوية.
(٣) انتصل: خرج نصله.
(٤) الختر: العذر.
(٥) الحوبة: الإثم والذنب..
(٦) الواصم: العياب المحقر.
(٧) الدغل والنغل: الفساد.
(٨) نفس عليه: حسده.

في غمرة لا يخطوها السابح؛ فالزم ابنَ عمك، فإنّ لما قال حقا.

فخرجوا، ولزم عبيد الله يزيد يرد مجلسه ويطأ عِقَبه أياما، حتى رَمَى به معاوية إلى البصرة واليا عليها. ثم لم تزل توكسه أفعاله حتى قتله الله بالخازر[1].

وخطبة لمعاوية أيضا

قال الهيثم بن عدي: لما حضرت معاويةَ الوفاة ويزيد غائب، دعا بمسلم بن عقبة المرّي، والضحاك بن قيس الفهري، وقال لهما: أبلغا عني يزيد وقولا له: انظر أهل الحجاز فهم عصابتك وعترتك فمن أتاك منهم فأكرمه ومن قعد عنك فتعاهدْه؛ وانظر أهل العراق، فإن سألوك عزْلَ عامل في كل يوم فاعزله عنهم، فإن عزلَ عامل واحد أهونُ عليك من سلّ مائة ألف سيف، ثم لا ندري علامَ أنت عليه منهم؛ ثم انظر أهل الشام، فاجعلهم الشعار دون الدّثار، فإن رابك من عدوّ ريبٌ فارمِهِ بهم فإن أظفرك الله فاردد أهل الشام إلى بلادهم، لا يقيموا في غير بلادهم فيتأدبوا بغير آدابهم؛ ولست أخاف عليك غير عبدالله بن عمر، وعبد الله بن الزبير. والحسين بن علي؛ فأما عبد الله بن عمر فرجلٌ قدوقذه[2] الورع، وأما الحسين فأرجو أن يكفيكه الله بمن قتل أباه وخذل أخاه وأما ابن الزبير فإنه خَب ضَب[3]، فإن ظفرت به فقطعه إربا إربا.

ومات معاوية؛ فقام الضحاك بن قيس خطيبا فقال:

إن أمير المؤمنين كان أنف العرب، وهذه أكفانه ونحن مُدْرجُوه فيها ومخلّوه بينه وبين ربه: فمن أراد حضوره بعد الظهر فليحضر.

وصلى عليه الضحاك. ثم قدم يزيد؛ فلم يقدِم أحد على تعزيته حتى دخل عليه عبد الله بن همام فأنشأ يقول:

---

(١) الخازر: نهر بين إربل والموصل. (٢) وقذه: غلبه.

(٣) يقال رجل خب ضب أي مراوغ خداع.

اْصبر يزيدُ فقد فـارَقْـتَ ذا مِقـةٍ وآشْكُرْ حِبَاءَ الذي بالمُلكِ حاباكـا
لارزْءَ أعْظَمُ في الأقوامِ قد عَلِموا مِمَّا رُزِئْـتَ ولا عُقْبى كعُقْبـاكـا
أصْبَحْتَ راعيِ أهْلِ الدينِ كُلِّهِمُ فأنت تَـرعـاهُـمُ واللهُ يَـرْعـاكـا
وفي مُعـاويـة البـاقـي لنـا خلَـفٌ أمَّـا نُعِيـت فلا يُسمَـع بمنعـاكـا

قال فانفتح الخطباء بالكلام.

وخطبة أيضا لمعاوية

ولما مرض معاوية مرض وفاته قال لمولى له: من بالباب؟ قال: نفر من قريش يتباشرون بموتك! قال: ويحك! لِمَ؟ فوالله ما لهم بعدي إلا الذي يسوءُهم وأذن للناس فدخلوا، فحمد الله وأثنى عليه وأوجز، ثم قال:.

أيها الناس، إنا قد أصبحنا في دهر عنود، وزمن شديد، يُعَدُ فيه المحسن مسيئاً، ويزداد الظالم فيه عُتُواً، لا ننتفع بما علِمنا، ولا نسأل عما جهلْنا، ولا نتخوّف قارعة حتى تُحل بنا، فالناس على أربعة أصناف: منهم من لا يمنعه من الفساد في الأرض إلا مَهانةُ نفسه، وكلال حده، ونضيض وفره؛ ومنهم المصلت لسيفه، المجلِب برجله، المعلن بشرّه؛ قد أشرط[1] نفسَه، وأوبق دينه[2]: لحُطام ينتهزه، أو مِقْنبٍ[3] يقوده، أو منبر يَفرعه[4]؛ ولبئس المتجرُ أن تراها لنفسك ثمنا، ومما لَكَ عند الله عوضاً - ومنهم من يطلب الدنيا بعمل الآخرة، ولا يطلب الآخرة بعمل الدنيا؛ قد طامن من شخصه، وقارب من خطوه، وشمر عن ثوبه، وزخرف نفسه للأمانة، واتخذ ستر الله ذريعة إلى المعصية؛ ومنهم من أقعده عن طلب الملك ضُئُولة نفسه، وانقطاع سببه، فقصرت به الحال عن أمله؛ فتحلى باسم القناعة، وتزيَّا بلباس الزهادة؛ وليس مِن ذلك في مَراح ولا مَغدى؛ وبقي رجال غض أبصارَهم ذكرُ المرجع، وأراق دموعهم

---

(١) أشرط: أعلم. (٢) أوبق: أهلك.
(٣) المقنب: الجماعة من الخيل. (٤) يفرعه: يعلوه.

خوف المضجع؛ فهم بين شريد باد، وبين خائف منقمع وساكتٍ مكعوم[1]، وداع مخلص، وموجَع ثكلان؛ قد أخملتهم التَّقِيَّة، وشملتهم الذلة؛ فهم في بحر أجاج؛ أفواههم ضامرة، وقلوبهم قرِحة؛ قد وُعِظوا حتى ملوا، وقُهِروا حتى ذلوا؛ وقُتِلوا حتى قَلّوا؛ فلْتكن الدنيا في أعينكم أصغر من حُثالة القَرَظ[2]، وقُراضة الجلمين؛ واتعظوا بمن كان قبلكم قبل أن يتعظ بكم مَن بعدكم، وآرفضوها ذميمة، فقد رفضت من كان أشغَفَ بها منكم.

وليزيد بن معاوية بعد موت أبيه

الحمد لله الذي ما شاء صنع، من شاء أعطى ومن شاء منع، ومن شاء خفض ومن شاء رفع. إن أمير المؤمنين كان حبْلا من حبال الله، مدّه ما شاء أن يمده، ثم قطعه حين أراد أن يقطعه؛ وكان دون مَن قبله، وخيراً مما يأتي بعد، ولا أُزَكّيه عند ربه وقد صار إليه؛ فإن يعْف عنه فبرحمته، وإن يعاقبْه فبذنبه؛ وقد وليت بعده الأمر، ولست أعتذر من جهل، ولا أنِي على طلب علمٍ؛ وعلى رسْلِكُمْ[3] إذا كَرِه الله شيئا غيره؛ وإذا أحب شيئا يسَّره.

وخطبة ليزيد أيضا

الحمد لله أحمده وأستعينه، وأُومن به وأتوكل عليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا؛ من يهد الله فلا مضلَّ له، ومن يُضْلل فلا هادي له؛ وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، اصطفاه لوحيه، واختاره لرسالته، بكتاب فصّله وفضَّله، وأعزّه وأكْرمه، ونصره وحفظه؛ ضرب فيه الأمثال، وحلَّل فيه الحلال وحرَّم فيه الحرام وشرع فيه الدين إعذاراً وإنذارا: لئلا يكون للناس على الله حُجَّة بعد الرُسل، ويكون بلاغا لقومٍ عابدين. أوصيكم عباد الله بتقوى الله العظيم الذي ابتدأ الأمور بعلمه وإليه يصير معادها،

(١) المكعوم من الإبل: الذي يشد لئلا يعض أو يأكل.

(٢) القرظ: ورق السلم. (٣) على رسلكم: لا تعجلوا.

وانقطاع مدتها، وتصرم دارها. ثم إني أحذِّركم الدنيا. فإنها حلوة خضِرة، حُفَّت بالشهوات، وراقت بالقليل، وأينعت بالفاني، وتحببت بالعاجل. لا يدوم نعيمُها، ولا تُؤمن فجيعتُها، أكَّالةٌ عوّالةٌ غرّارة. لا تُبْقي على حال. ولا يَبْقى لها حال. لن تعدو الدنيا ـ إذا تناهت إلى أمنيَّة أهل الرغبة فيها. والرضا بها ـ أن تكون كما قال الله عز وجل: ﴿واَضرِبْ لهم مثَل الحياةِ الدُّنْيا كماءٍ أنْزَلناهُ مِن السَّماءِ فاختَلَط به نباتُ الأرض فأصْبَح هَشيما تذْرُوه الرِّياحُ وكان اللهُ على كلِّ شيءٍ مُقْتدِرا﴾[1]. نسأل الله ربَّنا وإلهنا وخالقنا ومولانا أن يجعلنا وإياكم من فزَع يومئَذٍ آمنين.

إن أحسن الحديث وأبلغ الموعظة كتاب الله، يقول الله: ﴿وإذا قرِىء القرآنُ فاسْتَمعوا له وأنْصِتُوا لعلَّكُم تُرحمونَ﴾[2]. أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿لقدْ جاءَكم رسولٌ من أنفِسكُمْ عزيزٌ عليهِ ما عنِتُّمْ حريصٌ عليكمْ بالمؤمنينَ رءُوفٌ رحيمٌ فإنْ توَلَّوْا فقلْ حسْبيَ اللهُ لا إله إلا هو عليه توَكَّلتُ وهوَ ربُّ العرْش العظِيم﴾[3].

خطب بني مروان

خطبة عبد الملك بن مروان

وكان عبد الملك بن مروان يقول في آخر خطبته: اللهم إن ذنوبي قد عظمت وجلَّت أن تحصى، وهي صغيرة في جنب عفوك فاعف عني.

وخطب بمكة شرفها الله تعالى فقال في خطبته:

إني والله ما أنا بالخليفة المستضعف ـ يعني عثمان ـ ولا بالخليفة المداهن يعني معاوية ـ ولا بالخليفة المأفون ـ يعني يزيد.

قال أبو إسحاق النظام: أما والله لولا نسبك من هذا المستضعف، وسببك من

---

(١) سورة الكهف الآية ٤٥.

(٢) سورة الأعراف الآية ٢٠٤. (٣) سورة التوبة الآية ١٢٨.

هذا المداهِن؛ لكنتَ منها أبعد من العَيُّوق[1] . والله ما أخذْتَها بوراثة، ولا سابقة ولا قرابة، ولا بدعوى شورى، ولا بوصية .

خطبة الوليد بن عبد الملك

لما مات عبد الملك بن مروان، رجع الوليد من دفن عبد الملك لم يدخل منزله حتى دخل المسجد، ونادى في الناس: الصلاة جامعة! فصعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أيها الناس لا مؤخّر لِمَا قدّم الله، ولا مقدِّم لِمَا أخّر الله، وقد كان من قضاء الله وسابقِ علمه وما كتب على أنبيائه وحملة عرشه من الموت، موتُ وَلِيِّ هذه الأمة، ونحن نرجو أن يصير إلى منازل الأبرار، للذي كان عليه من الشدة على المريب، واللين على أهل الفضل والدين، مع ما أقام من مَنار الإسلام وأعلامه، وحجّ هذا البيت، وغزو هذه الثغور، وشنَّ الغارات على أعداء الله؛ فلم يكن فيها عاجزا، ولا وانيا، ولا مفرطا؛ فعليكم أيها الناس بالطاعة ولزوم الجماعة؛ فإن الشيطان مع الفذ[2]، وهو من الجماعة أبعد واعلموا أنه من أبدى لنا ذات نفسه ضربنا الذي فيه عيناه، ومن سكت مات بدائه . ثم نزل .

وخطب سليمان بن عبد الملك

فقال: الحمد لله، ألا إنّ الدنيا دار غرور، ومنزل باطل، تُضحِك باكيا، وتُبكي ضاحكا، وتُخيف آمنا، وتُؤمِّن خائفا، وتُفقر مثريا، وتثري مقترا ميّالة، غرارة، لعّابة بأهلها . عباد الله، فاتخذوا كتاب الله إماما، وارتضوا به حَكَماً . واجعلوه لكم قائدا . فإنه ناسخ لما كان قبله، ولم ينسخه كتاب [بعده] واعلموا عباد الله أن هذا القرآن يجلو كيد الشيطان كما يجلو ضوءُ الصبح إذا تنفس ظلام الليل إذا عَسْعَسْ[3] .

وخطب عمر بن عبد العزيز رحمه الله ورضي عنه

قال العتبي: أول خطبة خطبها عمر بن عبد العزيز رحمه الله قوله: أيها الناس

---

(١) العيّوق: نجم أحمر مضيء في طرف المجرة الأيمن .

(٢) الفذّ: الفرد .   (٣) عسعس الليل: أقبل بظلامه .

أصلحوا سرائركم تَصْلُح لكم علانيتُكم، وأصلحوا آخرتكم تَصلح دنياكم، وإن امرأً ليس بينه وبين آدم أبٌ حي لَمُعْرِقٌ في الموت.

وخطبة له رحمه الله

وإن لكل سفر زادا لا محالة. فتزودوا [لسفركم] من دنياكم لآخرتكم التقوى، وكونوا كمن عاين ما أعد الله له من ثوابه وعقابه، فرهِبوا ورغِبوا. ولا يطولن عليكم الأمد، فتقسوَ قلوبكم وتنقادوا لعدوّكم. فإنه ما بُسط أمل مَن لا يدري لعله لا يصبح بعد إمسائه أو يمسي بعد إصباحه. وربما كانت بين ذلك خطرات المنايا، وإنما يطمئن إلى الدنيا من أَمِنَ عواقبها. فإنّ من يُداوِي من الدنيا كلْماً أصابته جراحة من ناحية أخرى، فكيف يطمئن إليها؟ أعوذ بالله أن آمركم بما أَنهَى عنه نفسي؛ فنخسر صفقتي، وتظهر عَيْلتي، وتبدو مسكنتي، في يوم لا ينفع فيه إلا الحق والصدق.

ثم بكى وبكى الناس معه.

خطبة لعمر بن عبد العزيز أيضا

شبيب بن شيبة عن أبي عبد الملك قال كنت من حرس الخلفاء قبل عمر، فكنا نقوم لهم ونبدؤهم بالسلام؛ فخرج علينا عمر رضي الله عنه في يوم عيد وعليه قميص كتان وعمامة على قلنسوة لاطئة[1]، فمثلنا بين يديه وسلمنا عليه، فقال: مَهْ! أنتم جماعة وأنا واحد؛ السلام عليَّ والردُّ عليكم، وسلم، فرددنا، وقرّبت له دابته، فأعرض عنها، ومشى ومشينا حتى صعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، وصلى على النبي ﷺ، ثم قال: وددت أنّ أغنياء الناس اجتمعوا فردّوا على فقرائهم، حتى نستوي نحن بهم، وأكون أنا أولهم. ثم قال: مالي وللدنيا؟ أم مالي ولها وتكلم فأرقّ حتى بكى الناسُ جميعاً يميناً وشمالا، ثم قطع كلامه ونزل؛ فدنا منه رجاء بن حيوة

---

(١) قلنسوة لاطئة: هي ما تسمى بالطاقية.

فقال له: يا أمير المؤمنين، كلمت الناس بما أرقَّ قلوبهم وأبكاهم، ثم قطعته أحوج ما كانوا إليه؛ فقال: يا رجاء، اني أكره المباهاة.

خطبة عبدالله بن الأهتم بين يدي عمر بن عبد العزيز

ودخل عبد الله بن الأهتم على عمر بن عبد العزيز مع العامة، فلم يفجأ إلا وهو قائم بين يديه يتكلم؛ فحمد الله وأثنى عليه وقال:

أما بعد، فإن الله خلق الخلق غنياً عن طاعتهم، آمِناً من معصيتهم؛ والناس يومئذ في المنازل والرأي مختلفون، والعرب بشَر تلك المنازل؛ أهل الوبر وأهل المدر، تُحتْازُ دونهم طيباتُ الدنيا ورفاهة عيشها؛ ميِّتهم في النار وحيهم أعمى، مع ما لا يحصى من المرغوب عنه والمزهود فيه؛ فلما أراد الله أن ينشر فيهم رحمتَه، بعثَ إليهم رسولا منهم عزيزاً عليه ما عَنِتُوا حَريصا عليهم، بالمؤمنين رؤوف رحيم؛ فلم يمنعهم ذلك أن جرحوه في جسمه، ولقبوه في اسمه، ومعه كتاب من الله ناطق، لا يرحل إلا بأمره، ولا ينزل إلا بإذنه، واضطروه إلى بطن غار؛ فلما أُمر بالعزيمة أسفر لأمر الله لونُه، فأفلج اللهُ حجتَه، وأعلى كلمتَه، وأظهر دعوته. وفارق الدنيا تقيا ﷺ.

ثم قام من بعده أبو بكر رضي الله عنه، فسلك سُنَّتَه وأخذ سبيله؛ وارتدَّت العرب فلم يقبل منهم إلا الذي كان رسولُ الله ﷺ يقبله؛ فانتضى السيوف من أغمادها، وأوقد النيران في شُعلها، ثم ركب بأهلِ الحق أهلَ الباطل، فلم يبرح يفصل أوصالهم ويسقي الأرض دماءهم، حتى أدخلهم في الباب الذي خرجوا منه، وقرّرهم بالأمر الذي نفروا منه؛ وقد كان أصاب من مال الله بكرا[1] يرتوي عليه. وحبشية ترضع ولدا له؛ فرأى ذلك غُصَّة في حلقه عند موته، وثقلا على كاهله، فأدّاه إلى الخليفة من بعده وبريء إليهم منه، وفارق الدنيا تقِيا نقِيا على منهاج صاحبه.

ثم قام من بعده عمر بن الخطاب رضي الله عنه؛ فمصر الأمصار، وخلط الشدة

---

(١) البكر: الفتى من الإبل.

باللين، وحسر عن ذراعيه، وشمر عن ساقيه، واعد للأمور أقرانها وللحرب آلتها، فلما أصابه قِنٌّ[1] المغيرة بن شعبة، أمر ابن العباس أن يسأل الناس هل يُثبتون قاتله؟ فلما قيل له قِنّ المغيرة استهل[2] بحمد الله أن لا يكون أصابه من له حق في الفيء، فيستحل دمه بما استحل من حقه؛ وقد كان أصاب من مال الله بضعة وثمانين ألفا فكسر بها رباعه[3]، وكره بها كفالة أهله وولده، فأدّى ذلك إلى الخليفة من بعده، وفارق الدنيا تقيا نقيا على منهاج صاحبه.

ثم إنَّا والله ما اجتمعنا بعدهما إلا على ضلع أعوج، ثم إنك يا عمر ابن الدنيا ولدتك ملوكها، وألقمتك ثديها، فلما وليتَها ألقيتها وأحببتَ لقاء الله وما عنده؛ فالحمد لله الذي جلا بك حوبتَنا، وكشف بك كُرْبتنا. امضِ ولا تلتفت، فإنه لا يُغني عن الحق شيءٌ، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم وللمؤمنين وللمؤمنات.

ولما قال: ثم إنا والله ما اجتمعنا بعدهما إلا على ضلع أعوع. سكت الناس كلهم غير هشام، فإنه قال: كذبت!

وخطبة أيضاً لعمر بن عبد العزيز

قال أبو الحسن: خطب عمر بن عبد العزيز بخناصِرَة[4] خطبة لم يخطب بعدها حتى مات، رحمه الله. حمد الله وأثني عليه، ثم قال:

أيها الناس، إنكم لم تُخلقوا عبثاً، ولم تُتْرَكوا سدى؛ وإن لكم معاداً يحكم الله بينكم فيه، فخاب وخَسِرَ من خرج من رحمة الله التي وسِعَتْ كل شيء، وحُرِم جنةً عرضُها السموات والأرض، واعلموا أن الأمان غدا لمن خاف اليوم وباع قليلاً بكثير، وفانيا بباق، ألا تَروْن أنكم في أسلاب الهالكين، وسيخلِّفها من بعدكم الباقون [كذلك] حتى تُردوا إلى خير الوارثين؛ ثم إنكم في كل يوم تُشَيِّعون غاديا ورائحا

---

(١) القن: العبد. (٢) استهل: صاح.

(٣) الرباع: الدور. (٤) خناصرة: بلد بالشام من أعمال حلب.

إلى الله، قد قضى نحبَه، وبلغ أجله، ثم تغيّبونه في صدع من الأرض، ثم تدعونه غير مُوَسَّد ولا مُمهَّد، قد خلع الأسباب، وفارق الأحباب وواجه الحساب، [مرتهناً بعمله]، غنياً عما ترك، فقيراً إلى ما قدَّم؛ وآيم الله إني لا أقول لكم هذه المقالة وما أعلم عند أحد منكم [من الذنوب] أكثر مما عندي، فأستغفر الله لي ولكم، وما تَبلغنا [عن أحد منكم] حاجة يتسع لها ما عندنا إلا سدَدناها، ولا أحد منكم إلا وودت أن يده مع يدي ولحمتي الذين يلونني، حتى يستوي عيشنا وعيشكم؛ وآيم الله إني لو أردت غير هذا من عيش أو غضارة لكان اللسان به ناطقاً ذلولاً، عالماً بأسبابه؛ ولكنه مضى من الله كتاب ناطق وسنة عادلة، دل فيها على طاعته، ونهى عن معصيته.

ثم بكى، فتلقى دموعَ عينيه بردائه؛ فلم يُرَ بعدها على تلك الأعواد حتى قبضه الله تعالى.

خطبة يزيد بن الوليد

حين قَتل الوليدَ بن يزيد

بقِيّ بن مخلد قال: حدّثني خليفة بن خياط، قال: حدّثنا إسماعيل بن إبراهيم قال: حدّثني إبراهيم بن إسحق أن يزيد بن الوليد لما قتَلَ الوليد بن يزيد قام خطيباً، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أما بعد، أيها الناس، إني ما خرجت أشراً ولا بطراً، ولا حرصاً على الدنيا، ولا رغبة في الملك؛ وما بي إطراء نفسي ولا تزكية عملي، وإني لظلوم لنفسي إن لم يرحمني ربي، ولكني خرجت غضباً لله ودينِه، وداعياً إلى كتابه وسنة نبيه، حين دَرست[1] معالم الهدى، وطَفِيء نور أهلِ التقوى، وظهر الجبار العنيد المستحيل الحرمة، والراكب البدعة والمغيِّر السنة؛ فلما رأيت ذلك أشفقت إذ غشيتكم ظلمة لا تقتلع، على كثير من ذنوبكم وقسوة من قلوبكم. وأشفقت أن يدعو كثيراً من الناس إلى ماهو عليه، فيجيبه من أجابه منكم؛ فاستخرت الله في

(١) درست: امحت وزالت.

أمري، وسألته أن لا يكلني إلى نفسي؛ وهو ابن عمي في نسبي، وكفئي في حسبي؛ فأراح الله منه العباد، وطهر منه البلاد، ولايةً من الله وعَوناً بلا حول منا ولا قوة، ولكن بحول الله وقوته وولايته وعونه.

أيها الناس. إن لكم عليَّ إن وليتُ أموركم أن لا أضع لبِنة على لِبنة ولا حجراً على حجر، ولا أنقل مالاً من بلد إلى بلد حتى أسد فقره [وخَصاصة أهله]، وأقيم مصالحه، بما يحتاجون إليه ويقوون به؛ فإن فضَل شيء ردَدْته إلى البلد الذي يليه وهو من أحوج البلدان إليه، حتى تستقيمَ المعيشةُ بين المسلمين وتكونوا فيه سواء، ولا أُجَمِّركم[1] في بعوثكم فتفتقدوا وتفتتن أهاليكم؛ فإن أردتم بيعتي على الذي بذلت لكم فأنا لكم به، وإن مِلْتُ فلا بيعة لي عليكم؛ وإن رأيتم أحداً أقوى عليها مني فأردتم بيعته، فأنا أول من يبايعه ويدخل في طاعته؛ أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.

خطب بني العباس

العتبي قال: قيل لمسلمة بن هلال العبدي: خطبنَا جعفر بن سليمان الهاشمي خطبة لم يُسمَعْ أحسنُ منها، وما دَرَيْنا أوَجْهُه كان أحسن أم كلامه! قال: أولئك قوم بنور الخلافة يشرقون، وبلسان النُّبوة ينطقون.

خطبة أبي العباس السفاح بالشام

خطب أبو العباس عبد الله بن محمد بن علي، لما قُتل مروان بن محمد قال: ﴿ألم تر إلى الذين بَدَّلوا نعمة الله كفراً وأحلُّوا قومَهم دار البوار، جهنمَ يصلونها وبئس القرار﴾[2] نَكص بكم يا أهل الشام آلُ حرب وآلُ مروان، يتسكعون بكم الظلم، ويتهوَّرون بكم مداحِض الزلق، يطئون بكم حَرَمَ اللهِ وحرمَ رسوله. ماذا يقول

---

(١) يقال جر الجيش: أي حبسه في أرض العدو ولم يقفله.

(٢) سورة ابراهيم الآية ٢٨.

زعماؤكم غداً؟ يقولون: ﴿ربَّنا هؤلاء أضلونا فآتهم عذاباً ضِعفاً من النار﴾[1] إذاً يقول الله عز وجل: ﴿لِكلٍّ ضِعْفٌ ولكنْ لا تعلَمونَ﴾[2] أما أمير المؤمنين فقد ائتنف[3] بكم التوبة، واغتفر لكم الزَّلة، وبسط لكم الإقامة، وعاد بفضله على نقصكم وبحلمه على جهلكم، فلتفرخ روعكم ولتطمئن به داركم، وليُقطع مصارع أوائلكم فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا.

خطب المنصور

خطب أبو جعفر المنصور، واسمه عبد الله بن محمد بن علي. لما قَتل الأمويين، فقال:

أحرز لسان رأسه. انتبه امرؤ لحظه. نظر امرؤ في يومه لغده؛ فمشى القصد وقال الفصل، وجانب الـهُجْرَ.

ثم أخذ بقائم سيفه، فقال: أيها الناس، إن بكم داء هذا دواؤه، وأنا زعيم لكم بشفائه؛ فليعتبر عبدٌ قبل أن يُعتبر به: فإنما بعد الوعيد الإيقاع وإنما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله.

خطبة المنصور حين خروجه إلى الشام

شِنْشِنَـةٌ أعْـرفها مـن أخْـزَمِ[4]   من يَلْقَ أبطالَ الرجالِ يُكْلَـمِ

مهلاً مهلاً زوايا الإرجاف[5] وكهوف النفاق عن الخوض فيما كُفيتم، والتخطي إلى ما حُذِّرتم، قبل أن تتلف نفوس، ويقلَّ عدد، ويدول عز؛ وما أنتم وذاك؟ ألم تجدوا ما وعد ربُّكم من إيراث المستضعفين من مشارق الأرض ومغاربها حقاً؟ والجَحْدَ[6]

---

(١) سورة الأعراف الآية ٣٨.

(٢) سورة الأعراف الآية ٣٨.   (٣) إئتنف: ابتدأ واستقبل.

(٤) الشنسنة: العادة الغالبة. وفي المثل: «شنشنة أعرفها من أخزم». يضرب في قرب الشبه في الخلق.

(٥) الإرجاف: الخبر الكاذب المثير للفتن والاضطراب.   (٦) الجحد: كفران النعم.

الجَحد، ولكن خِب كامن، وحسد مُكْمِد، فبُعداً للقوم الظالمين.

وخطب أيضاً

قال يعقوب بن السكيت: خطب أبو جعفر المنصور يوم جمعة، فحمد الله وأثنى عليه وقال: أيها الناس اتقوا الله . . .

فقام إليه رجل فقال: أُذَكِّرُك من ذكرتنا به يا أمير المؤمنين.

قال أبو جعفر: سمعاً سمعاً لمن فهم عن الله وذكَّر به، وأعوذ بالله أن أذكر به وأنساه فتأخذني العزة بالإثم؛ لقد ضللتُ إذاً وما أنا من المهتدين. وأما أنت - والتفت إلى الرجل فقال - واللهِ ما اللهَ أردتَ بها، ولكن ليقال: قام فقال فعوقب فصبر! وأهْونْ بها! [ويْلكَ] لو كانت العقوبة [فاهْتبلها إذ عَفَرْتُ]؛ وأنا أنذركم أيها الناس أختَها؛ فإن الموعظة علينا نزلت، وفينا انبثت.

ثم رجع إلى موضعه من الخطبة.

وخطبة أيضاً للمنصور بمكة

وخطب بمكة فقال أيها الناس، إنما أنا سلطان الله في أرضه، أسوسكم بتوفيقه وتسديده وتأييده؛ وحارسُه على ماله، أعمل فيه بمشيئته وإرادته، وأعطيه بإذنه؛ فقد جعلني الله عليه قفلاً، إن شاء أن يفتحني فتحَني لإعطائكم وقسْم أرزاقكم؛ فإن شاء أن يُقفلني عليها أقفلني؛ فارغبوا إلى الله وسلوه في هذا اليوم الشريف الذي وهب لكم من فضله ما أعلمكم به في كتابه إذ يقول: ﴿اليَومَ أكملْتُ لكمْ دِينَكم وأتمَمْتُ علَيْكُم نعمَتِي ورَضيتُ لكم الإسلامَ ديناً﴾[1] أن يوفقني للرساد وللصواب، وأن يلهمني الرأفة بكم والإحسان إليكم؛ أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.

---

(١) سورة المائدة الآية ٣.

وخطبة لسليمان بن علي

﴿ولقد كَتَبْنَا في الزَّبور من بَعدِ الذِّكْرِ أنَّ الأرضَ يرثُها عِبادِيَ الصَّالحونَ. إنّ في هذا لبَلاغاً لقَوْمٍ عابِدينَ﴾[1] قضاءٌ مبرم، وقولٌ فصل، ما هو بالهزل؛ الحمد لله الذي صدَق عبده، وأنجز وعده، وبُعداً للقوم الظالمين، الذين اتخذوا الكعبة غرضاً، والفيءَ إرثاً، والدين هزوا، وجعلوا القرآن عِضِين، لقد حاق بهم ما كانوا به يستهزئون، فكائنْ ترى من بئر مُعطَّلة وقصْر مَشيد؛ ذلك بما قدمتْ أيديهم وأن الله ليس بِظلامٍ للعبيد؛ أُمهِلوا والله حتى نبذوا الكتاب، واضطهدوا العِترة، ونبذوا السُّنة، [وعَنَدوا] واعتدوا، واستكبروا، وخاب كل جبار عنيد ثم أخذهم، فهل تحِسُّ منهم من أحدٍ أو تَسْمَعُ لهم ركزاً؟

خطبة عبد الملك بن صالح بن علي

أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم: ﴿أفلا يَتَدبرونَ القرآنَ أم على قُلوبٍ أَقْفالُها﴾[2] يا أهل الشام: إن الله وصف إخوانكم في الدين وأشباهكم في الأجسام، فحذرهم نبيه محمداً ﷺ فقال: ﴿وإذا رَأَيْتَهمْ تُعجبكَ أجسامُهم وإن يَقولوا تسْمَعْ لِقَولهم كأنهم خُشُبٌ مُسنّدةٌ يَحْسَبونَ كلَّ صَيْحةٍ عليهم، هُمُ العَدُوُّ فاحْذَرْهمْ، قاتلَهُم الله أنى يُؤْفكُون﴾[3]. فقاتلكم الله أني تُصرفون! جثث مائلة، وقلوب طائرة، تشبُّون الفتن وتولون الدُّبر إلا عن حرم الله فإنه دريئتكم، وحرم رسوله فإنه مغزاكم؛ أما وحرمة النبوة والخلافة، لتنفِرن خفافا وثقالا، أو لأوسِعنَّكم إرغاماً ونكالاً.

وخطب صالح بن علي

يا أعضاد النفاق وعبُد الضلالة، أغركم لين إبساسي وطولُ إيناسي[4]؛ حتى ظن جاهلكم أن ذلك لفُلول حدّ، وفتور جدّ، وخور قناة! كذبت الظنون؛ إنها العِترة

---

(١) سورة الانبياء الآية ١٠٥.

(٢) سورةمحمد (ص) الآية ٢٤. (٣) سورة المنافقون الآية ٤.

(٤) الإبساس: الطلب والجهد. ومنه المثل «الإيناس قبل الإبساس» يضرب في المداراة عند الطلب.

بعضها من بعض، فإذا قد استوليتم العافية فعندي فصال وفطام وسيف يقدّ الهام، وإني أقول:

أغَرّكُم أنّي بأكرَم شيمةٍ رفيقٌ وأنّي بالفواحِشِ أخرَقُ
ومثْلي إذا لم يُجزَ أَحْسنَ سعيهِ تكلمُ نُعمَاه بديها فتنْطِق
لعمْري! لقد فاحشتني فغَلبتني هنيئاً مريئاً أنْتَ بالفُحْشِ أرْفق

وخطب داود بن علي بالمدينة

فقال: أيها الناس. حتَّام يهتف بكم صريخُكم؟ أما آن لراقدكم أن يهب من نومه؟ ﴿كلا بلْ رانَ على قلوبهم ما كانُوا يَكْسِبُون﴾[1]! أغركم الإمهالُ حتى حسبتموه الإهمال؟ هيهات منكم وكيف بكم والسوط في كفي والسيف مُشهر:

حتى يُبيد قبيلة فقبيلةً ويَعضَّ كلَّ مُثَقَّفٍ بالهام[2]
ويُقِمْنَ رباتِ الخدُور حواسِراً يَمسحْنَ عُرْضَ ذَوائِب الأيْتام[3]

خطبة داود بن علي بمكة

وخطب داود بن علي بمكة: شكراً شكراً! والله ما خرجنا لنحفر فيكم نهراً ولا لنبتني فيكم قصراً، أظَنّ عدوّ الله أن لن يُظفَر به، إذ مُدّ له في عنانه، حتى عثر في فضل زمامه! فالآن عاد الأمر في نصابه، وطلَعت الشمس من مَشْرقها، والآن تولّى القوس باريها، وعادت النبل إلى النَّزعة، ورجع الأمر إلى مُسْتقرّه، في أهل بيت نبيكم أهل الرأفة والرحمة، فاتقوا الله وآسمعوا وأطِيعوا، ولا تجعلوا النِّعم التي أنعم الله عليكم سبباً إلى أن تُتيح هلكتكم، وتزيل النِّعم عنكم.

خطبة المهدي

الحمد لله الذي ارتضى الحمد لنفسه، ورضيَ به من خلقه، أحمدَه على آلائه،

(١) سورة المطففين الآية ١٤. (٢) المثقف: الرمح.
(٣) عُرض الشيء: جانبه وناحيته.

وأمجِّده لبلائه، وأستعينه وأومن به، وأتوكل عليه توكُّل راضٍ بقضائه، وصابر لبلائه؛ وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده المصطفى، ونبيه المجتبى، ورسولُه إلى خلقه، وأمينه على وحيه؛ أرسله بعد انقطاع الرجاء، وطموس العلم، واقتراب من الساعة، إلى أمّة جاهلية، مختلفة أمية، أهل عداوة وتضاغن، وفُرقة وتَباين، قد استهوتهم شياطينهم، وغلب عليهم قرَناؤهم، فاستشعروا الرّدى، وسلكوا العَمى، يبشِّر من أطاعه بالجنة وكريم ثوابها، ويُنذر من عصاه بالنار وأليم عقابها ﴿ليَهلِكَ مَن هَلَكَ عن بيِّنة ويَحيَ من حيَّ عن بيِّنة وأنّ الله لَسميع عليم﴾[١].

أوصيكم عباد الله بتقوى الله، فإن الاقتصار عليها سلامة، والترك لها ندامة؛ وأحُثّكم على إجلال عظمته، وتوقير كبريائه وقدرته، والانتهاء إلى ما يقرّب من رحمته ويُنْجي من سخطه، ويُنال به ما لديه من كريم الثواب؛ وجزيل المآب؛ فاجتنبوا ما خوّفكم الله من شديد العقاب، وأليم العذاب، ووعيد الحساب؛ يوم توقفون بين يدي الجبار، وتعرَضون فيه على النار ﴿يومَ لا تَكلَّم نفسٌ إلا بإذنِه. فمنهم شقيٌّ وسعيد﴾[٢]؛ ﴿يومَ يفرُّ المرءُ من أخيه، وأمّه وأبيه، وصاحبته وبنيه. لكلِّ آمريءِ منهم يَومئذٍ شأن يُغنيه﴾[٣]؛ ﴿يومَ لا تَجزي نفسٌ عن نفسٍ شيئاً ولا يُقبل منها عدْلٌ ولا تنفعُها شفاعة ولا هم يُنصَرون﴾[٤]؛ ﴿يومَ لا يَجزي والدٌ عن ولدهِ ولا مولودٌ هو جازٍ عْن والدهِ شيئاً؛ إنَّ وعْد الله حقٌّ فلا تغُرَّنَّكمُ الحياة الدنيا ولا يغرَّنَّكم بالله الغُرورُ﴾[٥]؛ فإن الدنيا دارَ غُرور، وبلاءٍ وشُرور، واضمحلالٍ وزوال، وتقلُّبٍ وآنتقال؛ قد أفنت من كان قبلكم، وهي عائدة عليكم وعلى من بعدكم؛ من ركض إليها صرَعَتْه، ومن وثِق بها خانته؛ ومن أملها كذَبته، ومن رجاها خذتله؛ عزُّها وغِناها فقر؛ والسعيدُ من تركها، والشقيُّ فيها من آثرها،

(١) سورة الأنفال الآية ٤٢. (٢) سورة هود الآية ١٠٥.
(٣) سورة عبس الآية ٣٤. (٤) سورة البقرة الآية ١٢٣.
(٥) سورة لقمان الآية ٣٣.

والمغبون فيها مَن باع حظَّهُ من دارِ آخرته بها؛ فاللهَ عبادَ الله والتوبةُ مقبولة، والرحمة مبسوطة؛ وبادِروا بالأعمال الزكية في هذه الأيام الخالية قبل أن يؤخذ بالكَظم[1]، وتندموا فلا تُقالون بالندم، في يوم حسرةٍ وتـأسُّـف وكـآبـة وتلهُّـف؛ يـومٌ ليس كالأيام، وموقف ضنك المُقام، إن أحسن الحديث وأبلغ الموعظة كتابُ الله؛ يقول الله تبارك وتعالى: ﴿وإذا قرِيءَ القرآن فاستمعوا له وأنصِتوا لعلّكم تُرحمون﴾[2].

أعوذ بالله العظيم من الشيطان الرجيم! بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ألْهاكُمُ التَّكاثر حتى زُرتُمُ المقابِر. كلاَّ سوف تعْلمون. ثم كلاَّ سوف تعلمون. كلاَّ لو تعلمون عِلم اليقين لتَرَوُنَّ الجحيم. ثم لَترَوُنَّها عيْنَ اليقين. ثم لتُسأَلُنَّ يومئذٍ عن النَّعيمِ﴾[3].

أوصيكم عباد الله بما أوصاكم الله به، وأنهاكم عما نهاكم الله عنه، وأرضى لكم طاعة الله، وأستغفر اللهَ لي ولكم.

خطبة هارون الرشيد

الحمد لله؛ نَحمَده على نِعمه، ونستعينه على طاعته، ونستنصره على أعدائه، ونؤمن به حقاً، ونتوكل عليه مفوّضين إليه؛ وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له؛ وأشهد أن محمداً عبده ورسوله. بعثه الله على فَترةٍ من الرسل، ودروسٍ من العلم، وإدبارٍ من الدنيا، وإقبال من الآخرة؛ بشيراً بالنعيم المقيم؛ ونذيراً بين يَديْ عذابِ أليم، فبلّغ الرسالة، ونَصح الأمّة، وجاهد في الله، فأدّى عن الله وعدَه ووعيدَه حتى أتاه اليقين؛ فعلى النبِّي من الله صلاةٌ ورحمة وسلام.

أُوصيكم عبـاد الله بتقـوى الله؛ فـإن في التقـوى تكفير السيئـات، وتضعيـف الحسنات، وفوزاً بالجنة، ونجاة من النار؛ وأحذركم يوماً تَشخص فيه الأبصار، وتُبلى فيه الأسرار، يومَ البعث ويومَ التغابن، ويوم التلاقي ويوم التنادي، يوم لا يُستعتَب من سيئة ولا يُزداد من حسنة؛ ﴿يومَ الآزفة، إذ القلوبُ لدَى الحناجر كاظمين ما

(١) الكظم: الحلق أو الفم أو مخرج النفس.

(٢) سورة الأعراف الآية ٢٠٤. (٣) سورة التكاثر الآية ١ ـ ٨.

للظالمين من حميمٍ ولا شفيعٍ يُطاع، يعلمُ خائنةَ الأعين وما تَخفي الصُّدور؛ واتقوا يوماً تُرجَعون فيه إلى الله، ثم تُوفَّى كلُّ نفسٍ ما كسَبَتْ وهم لا يُظلمون﴾[1] .

عباد الله؛ إنكم لم تُخلقوا عبَثاً، ولن تُتركوا سُدًى؛ حصِّنوا إيمانكم بالأمانة، ودينكم بالورع، وصلاتكم بالزكاة؛ فقد جاء في الخبر أن النبي ﷺ قال: «لا إيمانَ لمن لا أمانة له، ولا دين لمن لا عهد له، ولا صلاة لمن لا زكاةَ له». إنكم سَفْرٌ مجتازون وأنتم عن قريبٍ تنتقلون من دار فناء إلى دار بقاء؛ فسارعوا إلى المغفرة بالتوبة، وإلى الرحمة بالتقوى، وإلى الهدى بالأمانة، فإن الله تعالى ذِكره أوجب رحمتَه للمتقين، ومغفرتَه للتائبين، وهُداه للمنيبين؛ قال الله عز وجل وقوله الحق: ﴿ورحمتِي وسِعتْ كلَّ شيءٍ، فسأكتُبها للذين يتَّقون ويُؤتون الزكاةَ﴾[2] . وقال: ﴿وإني لغفَّارٌ لمن تاب وآمن وعمِلَ صالحاً ثم آهتدى﴾ . وإياكم والأماني، فقد غرّت وأوردتْ وأبقت كثيراً حتى أكذبتْهم مناياهم، فتناوَشوا[3] التوبةَ من مكان بعيد، وحيلَ بينهم وبين ما يشتهون؛ فأخبَركم ربُّكم عن المَثلات فيهم، وصرّف الآيات، وضرب الأمثال، فرغّب بالوعد وقدّم إليكم الوعيد، وقد رأيتم وقائعه بالقرون الخوالي جيلاً فجيلاً، وعهدتم الآباء والأبناء والأحبة والعشائر باختطاف الموت إياهم من بيوتكم، ومن بين أظهركم، لا تدفعون عنهُم، ولا تَحُولون دونهم، فزالت عنهم الدنيا، وانقطعت بهم الأسباب، فأسلمتْهم إلى أعمالهم عند الموقف والحساب والعقاب ﴿ليَجزيَ الذين أساءُوا بما عملوا ويَجزيَ الذين أحسنوا بالحُسنى﴾[4] .

إنَّ أحسن الحديث وأبلغ الموعظة كتابُ الله؛ يقول الله عز وجل: ﴿وإذا قريء القرآن فاستمِعوا له وأنصِتوا لعلَّكم تُرحمون﴾[5] . أعوذ بالله العظيم من الشيطان الرجيم إنه هو السميع العليم، بسم الله الرحمن الرحيم ﴿قل هو الله أحدٌ، اللهُ الصَّمدُ، لم يَلِدْ ولم يُولدْ ولم يكن له كُفُواً أحدٌ﴾[6] . آمرُكم بما أمركم الله به، وأنهاكم عما نهاكم

---

(١) سورة غافر الآية ١٨ .
(٢) سورة الأعراف الآية ١٥٦ .
(٣) تناوشوا: تناولوا .
(٤) سورة النجم الآية ٣١ .
(٥) سورة الأعراف الآية ٢٠٤ .
(٦) سورة الاخلاص الآية ١ ـ ٦ .

الله عنه، وأستغفر اللهَ لي ولكم.

خطبة المأمون في يوم الجمعة

الحمد لله مستخلِص الحمدِ لنفسه، ومستوجِبه على خلقه؛ أحمدُه وأستعينُه؛ وأومن به وأتوكل عليه؛ وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله؛ أرسله بالهدى ودين الحق ليُظهره على الدين كله ولو كره المشركون. أُوصيكم عباد الله ونفسي بتقوى الله وحده، والعمل لما عنده، والتنجُّز لوعده، والخوف لوعيده؛ فإنه لا يسلَم إلا من اتقاه ورجاه، وعمل له وأرضاه. فاتقوا الله عباد الله وبادروا آجالكم بأعمالكم؛ وابتاعوا ما يبقى بما يزول عنكم ويفنى، وترحلوا عن الدنيا، فقد جُدّ بكم، واستعدّوا للموت فقد أظلّكم، وكونوا كقوم صِيح بهم فانتبهوا، وعلموا أن الدنيا ليست لهم بدارٍ فاستبدلوا؛ فإن الله عز وجل لم يخلقكم عبثاً، ولم يترككم سدى، وما بين أحدكم وبين الجنة والنار إلا الموت أن ينزل به، وإن غاية تنقصها اللحظة وتهدمها الساعة الواحدة لجديرة بقصر المدّة، وإن غائباً يحدوه الجديدان الليل والنهار لجدير بسرعة الأوْبة، وإن قادماً يحل بالفوز أو الشقوة لَمْستحِقٌ لأفضل العدّة، فاتقى عبدٌ ربه ونصح نفسه وقدّم توبته وغلب شهوته، فإن أجلَه مستور عنه، وأمله خادع له، والشيطان موكّل به يزيِّن له المعصية ليركبها، ويُمنِّيه التوبةَ ليسوِّفها، حتى تهجم عليه منيته أغفلَ ما يكون عنها، فيا لها حسرةً على كل ذي غفلة أن يكون عمرُه عليه حَجة، أو تؤدّيه أيامه إلى شِقوة؛ نسأل الله أن يجعلنا وإياكم ممن لا تُبطره نعمة، ولا تُقصِّر به عن طاعة ربه غفلة، ولا يَحِل به بعد الموت فَزْعة، إنه سميع الدعاء، بيده الخير وهو على كل شيء قدير، فعّال لما يريد.

خطبة المأمون يوم الأضحى

قال بعد التكبير والتحميد: إن يومكم هذا يومٌ أبان الله فضله، وأوجب تشريفه، وعظَّم حُرمته، ووفَّق له من خلقه صفوتَه، وابْتلى فيه خَليله، وفَدَى فيه من الذبح

العظيم نبيَّه، وجعله خاتَم الأيام المعلومات من العشر، ومُقدَّم الأيام المعدودات من النفْر[1]، يومٌ حرامٌ من أيام عظام في شهر حرام، يوم الحج الأكبر، يومٌ دعا الله إلى مشهده، ونزل القرآن العظيم بتعظيمه، قال الله عز وجل: ﴿وأذِّنْ في النّاس بالحجِّ يأْتُوكَ رجالاً وعلى كلِّ ضامرٍ يأْتينَ من كل فجٍّعميقٍ﴾[2] فتقرّبوا إلى الله في هذا اليوم بذبائحكم، وعظِّموا شعائر الله، واجعلوها من طيِّب أموالكم، وبصحة التقوى من قلوبكم، فإنه يقول: ﴿لنْ يَنالَ اللهَ لُحُومُها ولا دِماؤُها ولكنْ ينالُهُ التّقوى منْكم﴾[3].

ثم التكبير والتحميد، والصلاة على النبي ﷺ والوصية بالتقوى ثم ذكـر الموت، ثم قال:

وما من بعده إلا الجنة أو النار، عظم قدر الدارين، وارتفع جزاءُ العمَلين وطالت مدة الفريقين؛ الله الله، فوالله إنه الجِدُّ لا اللّعِب، والحقُّ لا الكِذب. وما هو إلا الموتُ والبعثُ والميزان والحساب والصراط والقصاص والثواب والعقاب. فمن نجا يومئذ فقد فاز، ومن هوَى يومئذ فقد خاب، الخير كلُّه في الجنة، والشرُّ كله في النار.

وخطبة المأمون في الفطر

قال بعد التكبير والتحميد: ألا وإن يومكم هذا يومُ عيدٍ وسُنّة، وابتهال ورغْبة، يومٌ ختَم الله به صيام شهر رمضان، وافتتح به حج بيتِه الحرام، فجعله [خاتمة الشهر، و] أول أيام شهور الحج، وجعله مُعقِّبا لمفروض صيامكم، ومُتنفَّل قيامكم، أحلّ الله لكم في الطعام، وحرم عليكم فيه الصيام، فاطلبوا إلى الله حوائجكم، واستغفروه بتفريطكم. فإنه يقال: لا كبير مع ندم واستغفارٍ، ولا صغير مع تمادٍ وإصرار.

---

(١) يوم النفر: يوم ينفر الناس من منى. (٢) سورة الحج الآية ٢٧.

(٣) سورة الحج الآية ٣٧.

ثم كبّر وحمد وذكر النبي ﷺ، وأوصى بالبر والتقوى، ثم قال:

اتقوا الله عباد الله، وبادروا الأمر الذي اعتدل فيه يقينُكم ولم يحضر الشك فيه أحداً منكم، وهو الموت المكتوب عليكم، فإنه لا تُستقال بعده عثَرة، ولا تُحْظَر قبله توبة؛ واعلموا أنه لا شيء [قبله إلا دونه، ولا شيء] بعده إلا فوقه: ولا يعين على جزعه وعَلَزه[1] وكُرَبه، وعلى القبر وظلمته ووحشته وضيقه وهول مطلعه ومسألة ملكيه - إلا العمل الصالح الذي أمر الله به، فمن زلت عند الموت قدمُه، فقد ظهرت ندامتُه، وفاتته استقالتُه، ودعا من الرجعة إلى ما لا يجاب إليه، وبذل من الفدية ما لا يقبل منه؛ فالله الله عباد الله، كونوا قوماً سألوا الرجعة فأُعطوها إذ مُنِعَها الذين طلبوها، فإنه ليس يتمنى المتقدمون قبلكم، إلا هذا الأجل المبسوط لكم؛ فاحذروا ما حذركم الله فيه، واتقوا اليوم الذي يجمعكم الله فيه لوضع موازينكم، ونشر صحفكم الحافظة لأعمالكم، فلينظر عبد ما يضع في ميزانه مما يثقل به وما يملي في صحيفته الحافظة لما عليه وله؛ فقد حكى الله لكم ما قال المفرّطون عندما طال إعراضهم عنها؛ قال جل ذكره: ﴿ووُضِعَ الكِتابُ فتَرَى المُجْرِمين مُشفَقين مِمَّا فيه ويقولونَ: يا ويْلَتَنا ما لهذا الكتاب لا يُغادِرُ صغيرةً ولا كبيرةً إلاّ أحصاها؟ ووَجدُوا ما عَلِموا حاضِراً ولا يَظْلِمُ ربُّك أحداً﴾[2]. وقال: ﴿ونضعُ الموازينَ القِسْطَ ليوْم القيامةِ فلا تظْلم نفْسٌ شيئاً وإن كان مِثْقالَ حبّةٍ من خرْدل أتيْنا بها وكفى بنا حاسِبين﴾[3]! ولست أنهاكم عن الدنيا بأكثر مما نهتكم به الدنيا عن نفسها، فإن كل ما بها يحذِّر منها وينهى عنها، وكل ما فيها يدعو إلى غيرها، وأعظم مما رأته أعينكم من فجائعها وزوالها، ذمُّ كتاب الله لها والنهي عنها؛ فإنه يقول تبارك وتعالى: ﴿فلا يغُرَّنّكُمُ الحياةُ الدُّنيا ولا يَغُرَّنَّكُمْ بِالله الغَرورُ﴾[4]. وقال: ﴿إنما الحياة الدنيا لعِبٌ ولَهْوٌ وزينةٌ وتفاخُرٌ بينكُمْ وتكاثُرٌ في الأمْوال والأوْلادِ﴾[5]. فانتفعوا

---

(١) العلز: ما يصيب المريض عند حشرجة الموت من رعدة واضطراب.

(٢) سورة الكهف الآية ٤٩.

(٣) سورة الانبياء الآية ٤٧.

(٤) سورة فاطر الآية ٥. وسورة لقمان الآية ٣٣.

(٥) سورة الحديد الآية ٢٠.

بمعرفتكم بها وبإخبار الله عنها، واعلموا أن قوماً من عباد الله أدركتهم عصمة الله فحذِروا مصارعها وجانبوا خدائعها، وآثروا طاعة الله فيها وأدركوا الجنة بما يتركون منها.

خطبة عبد الله بن الزبير حين قدم بفتح أفريقية

قدم عبد الله بن الزبير على عثمان بن عفان بفتح إفريقية، فأخبره مشافهة وقص عليه كيف كانت الوقعة، فأعجب عثمان ما سمع منه، فقال له: يا بنيّ، أتقوم بمثل هذا الكلام على الناس؟ فقال: يا أمير المؤمنين، أنا أهْيَبُ لك مني لهم! فقام عثمان في الناس خطيبا، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أيها الناس، إن الله قد فتح عليكم إفريقية، وهذا عبد الله بن الزبير يخبركم خبرها إن شاء الله، وكان عبد الله بن الزبير إلى جانب المنبر، فقام خطيبا، وكان أول من خطب إلى جانب المنبر، فقال:

الحمد لله الذي ألفَّ بين قلوبنا وجعلنا متحابين بعد البِغضة، الذي لا تُجْحَد نعماؤه، ولا يزول مُلكه؛ له الحمد كما حَمَد نفْسَه، وكما هو أهله، انتخب محمدا ﷺ فاختاره بعلمه، وائتمنه على وحيه، واختار له من الناس أعوانا قَذَف في قلوبهم تصديقه ومحبّته، فآمنوا به وعزّزوه ووقّروه وجاهدوا في الله حق جهاده، فاستشهد في الله منهم من استشهد على المنهاج الواضح، والبيع الرابح، وبقي منهم من بقي، لا تأخذهم في الله لومةُ لائم.

أيها الناس، رحمكم الله! إنا خرجنا للوجه الذي علمتم، فكنا مع والٍ حافظ، حَفِظَ وصية أمير المؤمنين، كان يسير بنا الأبْرَدَيْن[1]، ويخفض[2] بنا في الظهائر، ويتخذ الليل جملا، يعجل الرَّحلة من المنزل الجدب، ويطيل اللبث في المنزل الخصب، فلم نزل على أحسن حالة نعرفُها من ربنا، حتى انتهينا إلى إفريقية، فنزلنا منها حيث يسمعون صهيل الخيل، ورغاء الإبل، وقعقعة السلاحْ فأقمنا أياما نجِمُّ كُرَاعنا[3]!

---

(١) الأبردين: الغداة والعشي.

(٢) خفض بالمكان: أقام. (٣) الكراع: جماعة الخيل.

ونُصْلح سلاحنا؛ ثم دعوناهم إلى الإسلام والدخول فيه، فأبَعدوا منه، فسألناهم الجزية عن صَغار أو الصلح، فكانت هذه أبعد؛ فأقمنا عليهم ثلاث عشرة ليلة، نتأنَّاهم وتختلف رسلنا إليهم، فلما يئس منهم، قام خطيبا فحمد الله وأثنى عليه، وذكر فضل الجهاد وما لصاحبه إذا صبر واحتسب، ثم نهضنا إلى عدونا وقاتلناهم أشدّ القتال يومنا ذلك، وصبر فيه الفريقان، فكانت بيننا وبينهم قتلى كثيرة، واستشهد الله فيهم رجالا من المسلمين، فبتنا وباتوا وللمسلمين دَوِيٌّ بالقرآن كدويّ النحل، وبات المشركون في خمورهم وملاعبهم؛ فلما أصبْحنا أخذنا مصافنا التي كنا عليها بالأمس، فزحف بعضُنا على بعض، فأفرغ الله علينا صبره وأنزل علينا نصره، ففتحناها من آخر النهار، فأصبْنا غنائم كثيرة، وفَيْئاً واسعا، بلغ فيه الخُمسُ خَمْسَمائة ألف؛ فصَفَق[1] عليها مروان بن الحكم، فتركت المسلمين قد قرت أعينهم وأغناهم النفَلُ، وأنا رسوهم إلى أمير المؤمنين أُبشّره وإياكم بما فتح الله من البلاد، وأذلّ من الشّرك؛ فاحمدوا الله عباد الله على آلائه وما أحل بأعدائه من بأسه الذي يُردُّ عن القوم المجرمين.

ثم سكت فنهض إليه أبوه الزبير فقبل بين عينيه وقال: ذرية بعضها من بعض والله سميعٌ عليمٌ. يا بُنَّي: ما زلت تنطق بلسان أبي بكر حتى صَمتَّ.

خطبة للامام علي كرم الله وجهه

جاء رجل إلى عليّ كرم الله وجهه فقال: يا أمير المؤمنين، صف لنا ربنا، لنزداد له محبة، وبه معرفة. فغضب عليٌّ كرّم الله وجهه، ثم نادى: الصلاة جامعة.

فاجتمع الناس إليه حتى غص المسجد بأهله؛ ثم صعد المنبر وهو مُغْضَبٌ متغيرُ اللون، فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله، ثم صلى على النبي محمد ﷺ، ثم قال:

والحمد لله الذي لا يفِرهُ المنع، ولا يُكْديه الإعطاء، بل كل مُعطٍ ينقص سواه؛

---

(١) أي حفظها في خزانته.

هو المنان بفرائد النعم، وعوائد المزيد؛ وبجوده ضُمنت عياله[1] الخلق، ونهج سبيل الطلب للراغبين إليه، وليس بما يُسأل أجود منه بما لا يُسأل، وما اختلف عليه دهر فتختلف فيه حال، ولو وهَب ما آنشقت عنه معادنُ الجبال، وضحكت عنه أصدافُ البحار، من فلِزّ اللجين[2]، وسبائك العقيان، وشَذْر الدر[3]، وحصيد المرجان - لبعض عباده - ما أثر ذلك في ملكه ولا في جوده ولا أنفذ ذلك سَعَة ما عنده، فعنده من الأفضال ما لا يُنفده مطلبُ وسؤال، ولا يخطر لكم على بال؛ لأنه الجواد الذي لا ينقصه المواهب، ولا يُبرمه إلحاح الملحين بالحوائج وإنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له: كن فيكون، فما ظنُّكم بمن هو كذا ولا هكذا غيره، سبحانه وبحمده.

أيها السائل، أعقل ما سألتني عنه[4]، ولا تسأل أحداً بعدي؛ فإني أكفيك مئونة الطلب، وشدة التعمق في المذهب؛ وكيف يوصف الذي سألتَني عنه، وهو الذي عجزت الملائكة على قربهم من كرسي كرامته، وطولِ ولهم إليه، وتعظيمِهم جلالَ عزته، وقربهم من غيب ملكوته - أن يعلموا من علمه إلاَّ ما علمهم، وهو من ملكوت العرش بحيث هم من معرفته على ما فطرهم عليه، فقالوا: سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم. فمدح الله اعترافهم بالعجز عما لم يحيطوا به علما، وسمَّي تركَهم التعمق فيما لم يكلفهم البحثَ عنه رسوخا؛ فاقتصِرْ على هذا ولا تقدِّر عظمة الله على قدر عقلك فتكون من الهالكين؛ واعلم أن الله الذي لم يحدُث فيمكن فيه التغير والانتقال، ولم يتغير في ذاته بمرور الأحوال. ولم يختلف على تعاقب الأيام والليالي - هو الذي خلق الخلق على غير مثال آمتثله ولا مقدار احتذى عليه من خالق كان قبله. بل أرانا من ملكوت قدرته، وعجائب ربوبيته مما نطقت به آثار حكمته، واضطرار الحاجة من الخلق إلى أن يُفهمهم مبلغ قوّته - ما دلنا بقيام الحجة له بذلك علينا على معرفته.

---

(١) عيالة الخلق: كفايتهم ومؤونتهم وقوتهم. (٢) فلزّ اللجين: معدن الفضّة.

(٣) شذر الدرّ: نظمة. (٤) أعقل: افهم

ولم تحط به الصفات بإدراكها إياه بالحدود متناهيا، وما زال إذ هو الله الذي ليس كمثله شيء عن صفة المخلوقين متعاليا، انحسرت العيون عن أن تناله فيكون بالعيان موصوفا، وبالذات التي لا يعلمها إلا هو عند خلقه معروفا؛ وفات لعلوّه عن الأشياء مواقعَ وهم المتوهمين؛ وليس له مِثل فيكون بالخلق مشبها، وما زال عند أهل المعرفة به عن الأشباه والأنداد منزَّها، وكيف يكون من لا يُقدر قدرهُ مقدراً في رويّات الأوهام، وقد ضل في إدراك كيفيته حواسُّ الأنام: لأنه أجَل من أن تحدّه ألبابُ البشر بنظير، فسبحانه وتعالى عن جهل المخلوقين وسبحانه وتعالى عن إفك الجاهلين[1].

ألا وإن لله ملائكةً ﷺ. لو أن مَلَكا هبط منهم إلى الأرض لما وسعته لعظم خلقه وكثرة أجنحته؛ ومن ملائكته مَن سد الآفاق بجناح من أجنحته دون سائر بدنه؛ ومن ملائكته مَنِ السموات إلى حجزته[2] وسائرُ بدنه في جرم الهوام الأسفل، والأرَضون إلى ركبته ومِن ملائكته مَنْ لو اجتمعت الإنسُ والجنُّ على أن يصفوه ما وصفوه، لبعد ما بين مفاصله، ولحسن تركيب صورته؛ وكيف يوصف مَن سبعُمائة عام مقدارُ ما بين مَنْكبيه إلى شحمة أذنيه؟ ومن ملائكته مَن لو أُلقِيَتِ السُّفُنُ في دموع عينيه لجرتْ دهرَ الداهرين؛ فأين أين بأحدكم؟ وأين أين أن يُدرك ما لا يدرَك؟

خطبة عبد الله بن الزبير لما بلغه قتل المصعب

صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم سكت؛ فجعل لونه يحمرّ مرة ويصفر مرة؛ فقال رجل من قريش لرجل إلى جانبه: ماله لا يتكلم؟ فوالله إنه للبيب الخطباء! قال: لعله يريد أن يذكر مقتل سيد العرب، فيشتد ذلك عليه، وغير ملوم! ثم تكلم فقال:

الحمد لله، له الخلق والأمر والدنيا والآخرة؛ يُؤتي المُلْكَ من يشاءُ، وينزعُ المُلك

---

(١) الإفك: التخرُّص والكذب. (٢) الحجزة: موضع شدّ الإزار من الوسط.

مَّمنْ يشاءُ ، ويُعِز من يشاءُ ، ويُذلَّ من يشاءُ . أما بعد : فإنه لم يُعِزَّ الله من كان الباطلُ معه ، وإنْ كان معه الأنامُ طُراًّ ؛ ولم يُذِل من كان الحقّ معه ، وإن كان فرداً . ألا وإن خبَراً من العراق أتانا فأحزننا وأفرحنا ، فأما الذي أحزننا فإن لفراق الحميم لوعة يجدها حميمه ، ثم يرعوي ذوو الألباب إلى الصبر وكريم العزاء ؛ وأما الذي أفرحنا فإن قتل المصْعب له شهادة ولنا ذخيرة ، أسلمه النّعام المصلم[1] الآذان ؛ ألاَ وإنّ أهل العراق باعوه بأقل من الثمن الذي كانوا يأخذون منه ؛ فإن يُقتل فقد قُتِل أخوه وأبوه وابن عمه ، وكانوا الخيارَ الصالحين. وإنا والله لا نموت حتفا ، ولكن قَعْصاً[2] بالرماح ، وموتا تحت ظلال السيوف ؛ ليس كما يموت بنو مروان! ألا إنما الدنيا عارية من الملك الأعلى الذي لا يبيد ذكره. ولا يزول سلطانه ؛ فإن تُقْبل الدنيا علي لم آخذها أخْذَ الأشِرِ البطر؛ وإن تُدبر عني لم أبكِ عليها بكاء الخرِق المهين ثم نزل .

خطبة زياد البتراء

قال أبو الحسن المدائني عن مسلمة بن محارب عن أبي بكر الهذلي قال: قدم زياد البصرة والياً لمعاوية بن أبي سفيان وضم إليه خراسان وسجستان؛ والفِسق بالبصرة ظاهر فاشٍ . فخطب خطبة بتراء ، لم يحمد الله فيها ؛ وقال غيره بل قال: الحمد لله على إفضاله وإحسانه ، ونسأله المزيد من نعمه وإكرامه. اللهم كما زدتَنا نعماً فألهمنا شكراً .

أما بعد ، فإن الجهالة الجهلاء ، والضلالة العمياء ، والعمَى الموفي بأهله على النار ، ما فيه سفهاؤكم ، ويشتمل عليه حلماؤكم من الأمور العظام ، ينبت فيها الصغير ولا يتحاشى عنها الكبير ؛ كأنكم لم تقرءوا كتاب الله ، ولم تسمعوا بما أعد الله من الثواب الكريم لأهل طاعته ، والعذاب العظيم لأهل معصيته ، في الزمن السرمدي الذي لا يزول .

---

(١) المصلّم: المقطوع .   (٢) قعصه قعصاً : طعنه بالرمح طعناً سريعاً .

أتكونون كمن طرفت[1] عينيه الدنيا، وسدّت مسامعه الشهوات، واختار الفانية على الباقية، ولا تذكرون أنكم أحدثتم في الإسلام الحدث الذي لم تسبقوا إليه، من تركتكم هذه المواخير[2] المنصوبة، والضعيفة المسلوبة في النهار المبصر، والعددُ غير قليل. ألم يكن منكم نهاة تمنع الغواة عن دلَجِ[3] الليل وغارة النهار؟ قرّبتم القرابة، وباعدتم الدّين؛ تعتذرون بغير العذر؛ وتغضون على المختلس؛ كلُّ آمريء منكم يذبُّ عن سفيهه، صنيعُ من لا يخاف عاقبة ولا يرجو معادا؛ ما أنتم بالحلماء، ولقد اتبعتم السفهاء، فلم يزل بكم ما ترون من قيامكم دونهم، حتى انتهكوا حُرمَ الإسلام، ثم أطرقوا[4] وراءكم، كنوساً في مكانس[5] الرِّيب؛ حرامٌ عليَّ الطعام والشراب حتى أسَوّيها بالأرض هَدْما وإحراقا.

إني رأيت آخرَ هذا الأمر لا يصْلُح إلا بما صَلَح به أوله،: لينٌ في غير ضَعْف، وشدة في غير عُنْف، وإني أُقْسِمُ بالله لآخُذَنّ الوليَّ بالمولى، والمقيم بالظاعن، والمقْبِلَ بالمدبر، والصحيح بالسقيم؛ حتى يلقى الرجل منكم أخاه فيقول انجُ سعْد فقد هلكَ سُعَيد! أو تستقيمَ لي قناتُكم. إنّ كذْبَةَ الأمير بلْقاءُ مشهورة فإذا تعلقتم عليَّ بكذبة فقد حلت لكم معصيتي. مَن نُقِبَ منكم عليه فأنا ضامن لما ذهب له؛ فإياي ودلَجَ الليل، فإني لا أُوتِي بمدْلج إلا سفكتُ دمه، وقد أجّلْتكم في ذلك بقدر ما يأتي الخبر الكوفةَ ويرجع إليكم؛ وإياي ودعْوى الجاهلية، فإني لا أجد أحداً دعا بها إلا قطعتُ لسانه. وقد أحدثتم أحداثا لم تكم وقد أحدثنا لكل ذَنْبٍ عقوبة، فمن غرّق قوما غرّقناه، ومن أحرق قوما أحرقناه، ومن نَقب بيتا نقّبْنا عن قلبه، ومن نبش قبرا دفنّاه فيه حيا. فكُفوا عني ألسنتكم وأيديكم، أكفَّ يدي ولساني؛ ولا يظهـرنّ من أحدٍ منكم ريبةٌ بخلاف ما عليه عامّتكم إلا ضربت عُنُقه. وقد كانت بيني وبين قوم إحَن[6] فجعلت ذلك دَبَر أُذني وتحت قدمي؛ فمن كان محسنا فليزدَد في

---

(١) طرفت عينيه الدنيا: أي مالت ببصره إلى زخرفها.
(٢) المواخير: مجامع أهل الفسق والفساد.
(٣) دلج الليل: سار من أوله.
(٤) أطرقوا وراءكم: اقتدوا بكم.
(٥) المكانس: جمع مكنس، وهو الموضع يؤوي إليه ويختبأ فيه.
(٦) إحن: أحقاد.

إحسانه، ومن كان مسيئا فلينزع عن إساءته؛ إني لو علمت أن أحدَكم قد قتله السلُّ من بُغْضِي لم أكشف له قناعاً ولم أهتكِ له سِتراً حتى يُبْـدِيَ لي صفُحتـه. فـإن فعـل ذلـك لم أنظره؛ فاستأنفوا أموركم، واستعينوا على أنفسكم؛ فرب مبتئس بقدومنا سيَسرّ؛ ومسرورٍ بقدومنا سَيَبتئس.

أيها الناس: إنا أصبحنا لكم ساسة، وعنكم ذادة؛ نسوسُكم بسلطان الله الذي أعطانا، ونذود عنكم بفيء الله الذي خوَّلنا؛ فلنا عليكم السمع والطاعة فيما أحببنا؛ ولكم علينا العدل فيما ولِينا؛ فاستوجبوا عدلنا وفيئنا بمناصَحَتِكم لنا؛ وآعلموا أني مهما أُقصِّرُ عنه فلن أقصر عن ثلاث: لست محتجبا عن طالب حاجة ولو أتاني طارقا بليل، ولا حابساً عطاءً ولا رزقا عن إبّانه، ولا مُجمِّراً لكم بعثا؛ فادعوا الله بالصلاح لأئمتكم؛ فإنهم ساستكم المؤدّبون لكم، وكهفكم الذي إليه تأوون؛ ومتى يصلحوا تصلحوا؛ ولا تُشربوا قلوبكم بغضَهم؛ فيشتد لذلك أسفُكم، ويطول له حزنكم، ولا تدركوا له حاجتكم؛ مع أنه لو آستجيب لكم فيهم لكان شرا لكم. أسأل الله أن يُعين كلا على كل. وإذا رأيتموني أُنفذ فيكم أمراً فأنفذوه على أذلاله[1]، وآيم الله إن لي فيكم لصرعى كثيرة، فليحذر كل امريء منكم أن يكون من صَرْعاي. ثم نزل.

فقام إليه عبد الله بن الأهتم، فقال: أشهد أيها الأمير، لقد أوتيت الحكمة وفصل الخطاب! قال له: كذبت! ذاك داود ﷺ.

فقام الأحنف بن قيس فقال: إنما الثناء بعد البلاء، والحمد بعد العطاء، وإنا لن نثنيَ حتى نبتلي. قال له زياد: صدقت!

فقام أبو بلال [مِرداس بن أُدَيَّة] وهو يهمس ويقول: أنبأنا الله تعالى بخلاف ما قلت؛ قال الله تعالى: ﴿وإبراهيمَ الذي وفّى، أن لا تَزرُ وازرَة وِزْرَ أُخرَى، وأنْ ليسَ للإنسانِ إلا ما سَعى﴾[2]. فسمعها زياد، فقال: إنا لا نبلغ من أصحابك ما

---

(١) على إذلاله، أي على وجوهه وطرقه.
(٢) سورة النجم الآية ٣٧ ـ ٣٩.

تريد حتى نخوض إليهم الباطلَ خوضا.

وخطبة لزياد

استوصوا بثلاثٍ منكم خيراً: الشريفِ، والعالم، والشيخِ، فوالله لا يأتيني شيخٌ بحدَثٍ آستخفَّ به إلا أوجعتهُ، ولا يأتيني عالم بجاهل استخفَّ به إلا أثكلتُ به ولا يأتيني شريفٌ بوضيع استخفَّ به إلا ضربته.

وخطبة لزياد

خطب زياد على المنبر فقال:

أيها الناس لا يمنعْكم سوءُ ما تعلمون منا أن تنتفعوا بأحسن ما تستمعون منا، فإن الشاعر يقول:

آعمَلْ بِقولي وإنْ قصَّرتُ في عملي ينفعْكَ قولي ولا يضْررك تقْصيري

وخطبة لزياد

العتبي قال: لما شهدت الشهود لزياد قام في أعقابهم فحمد الله وأثنى عليه ثم قال:

هذا أمر لم أشْهدْ أوله، ولا عِلْم لي بآخره، وقد قال أمير المؤمنين ما بلغكم، وشهدَتِ الشهودُ بما سمعتم، فالحمدُ لله الذي رفع منا ما وضع الناس، وحفظ منا ما ضيّعوا، فأما عُبيْدٌ فإنما هو والد مبرور، أو كافل مشكور.

خطبة لجامع المحاربي

وكان شيخا صالحا خطيبا لَسناً، وهو الذي قال للحجاج حين بنى مدينة واسط: بنيتها في غير بلدك، وأورثتَها غير ولدك!

وشكا الحجاج سوء طاعة أهل العراق ونقمَ[1] مذهبَهم وتسخّط طريقتهم، فقال له

(١) نقم: كره.

جامع: أما إنهم لو أحَبُّوك لأطاعوك، على أنهم ما شنئوك[1] لنسبك، ولا لبلدك ولا لذات نفسك، فدع عنك ما يُبْعِدْهُم منك إلى ما يقرّبُهم إليك، والتمس العافية ممن دونك، تعطها ممن فوقك، وليكن إيقاعك بعد وعيدك، ووعيدك بعد وعدك.

قال الحجاج: إني والله ما أرى أن أرد بني اللكيعة إلى طاعتي إلا بالسيف! قال له: أيها الأمير، إن السيف إذا لاقى السيف ذهب الخيار قال الحجاج: الخيار يومئذ لله. قال: أجل، ولكن لا تدري لمن يجعله الله. وغضب الحجاج فقال: يا هَناه، إنك من محارب. فقال جامع:

وللحرْبِ سُمِّينا وكنّا مُحاربـاً   إذا ما القَنا أمْسى من الطَّعْنِ أحْمَرا

والبيت للخضري. قال الحجاج: والله لقد هممت أن أقطع لسانك فأضرب به وجهك!

قال جامع: إن صدَقناك أغضبناك، وإن غَشَشناك أغضبنا الله، فغضبُ الأمير أهون علينا من غضبِ الله! قال: أجل.

وشُغِل الحجاج ببعض الأمر، فانسل جامع[2]، فمر بين صفوف خيل الشام حتى جاوز إلى خيل أهل العراق ـ وكان الحجاج لا يخلطهم ـ فأبصر كبكبة فيها جماعة من بكر العراق، وقيس العراق، وتميم العراق، وأزد العراق؛ فلما رأوه آشرأبّوا[3] إليه وبلغهم خروجُه، فقالوا له: ما عندك؟ دافع الله لنا عن نفسك! فقال: ويحكم! عُمُّوه بالخلع كما يعمكم بالعداوة، ودعوا التّعادِيَ ما عاداكم، فإذا ظفرتم [به] تراجعتم وتعاقبتم. أيها التميمي، هو أعدى لك من الأزدي؛ وأيها القيسي، هو أعدى لك من التَّغْلِبيّ؛ وليس يظفر بمن ناوأه منك إلا بمن بقي معه.

وهرب جامع من فوره ذلك إلى الشام، فاستجار بزفر بن الحارث.

---

(١) شنئوك: أبغضوك. (٢) انسلّ: خرج خفيةً.

(٣) اشرأبّوا إليه: مدّوا أعناقهم ينظرون إليه.

خطبة للحجاج بن يوسف

خطب الحجاج فقال: اللهم أرني الغيَّ غياً فأجتنبَه، وأرني الهدى هُدًى فأتبَعه، ولا تَكلُني إلى نفسي فاضِلَّ ضلالا بعيداً! والله ما أُحب أن ما مضى من الدنيا لي بعمامتي هذه، ولَما بقي منها أشبهُ بما مضى من الماء بالماء.

وخطبة للحجاج

قال الهيثم بن عدي: خرج الحجاج بن يوسف يوما من القصر بالكوفة، فسمع تكبيرا في السوق، فراعه ذلك، فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال:

يأهل العراق، يأهلَ الشقاق والنفاق ومساويء الأخلاق، وبني اللكيعة[١]، وعبيد العصا، وأولاد الإماء، والفقع[٢] بالقرقر[٣] إني سمعت تكبيرا لا يُراد به الله وإنما يراد به الشيطان؛ وإنما مثلي ومثلكم ما قال ابن براقة الهمداني:

وكنتُ إذا قومٌ غزَوْني غـزوتُهـم ... فهل أنا في ذا يا لَهمْدانَ ظـاْلِـمُ؟
متى تجمَعِ القلبَ الذَّكيَّ وصارِمـاً ... وأنفاً حمِياً تَجْتنِبْـكَ المظـالِـمُ![٤]

أما والله لا تقرع عصاً بعصا إلا جعلتها كأمس الدابر.[٥]

خطبة الحجاج بعد دير الجماجم

خطب أهلَ العراق فقال:

يأهل العراق، إن الشيطان استبطنكم فخالط اللحم والدم والعصب والمسامع والأطراف والأعضاء والشغاف[٦]: ثم أفضى إلى الـمِخانخ[٧] والصمائخ[٨]، ثم ارتفع فعشش؛ ثم باض وفرخ، فحشاكم شقاقاً ونفاقاً، أشعركم خلافاً اتخذتموه دليلاً تتبعونه، وقائداً تطيعونـه،

(١) اللكيعة: اللئيمة.
(٢) الفقع: الكمأة البيضاء الرخوة.
(٣) القرقر: الأرض المنخفضة.
(٤) آنفاً حمياً: آي فيه شممٌ وكبرياء.
(٥) الدابر: الماضي الذي انتهى.
(٦) الشغاف: غلاف القلب.
(٧) المخاخ: جمع مخ.
(٨) الصمائخ: جمع صماخ، وهو من الأذن.

ومؤامراً تستشيرونه، فكيف تنفعكم تجربة، أو تعظكم وقعة، أو يحجزكم إسلام، أو يردكم إيمان؟ ألستم أصحابي بالأهواز حيث رمتم المكر؛ وسعيتم بالغدر، واستجمعتم للكفر، وظننتم أن الله تعالى يخذل دينه وخلافته، وأنا أرميكم بطرفي وأنتم تتسللون لواذا؛ وتنهزمون سراعاً؛ ثم يوم الزاوية[1]؛ وما يوم الزاوية؟ بها كان فشلُكم وتنازُعُكم وتخاذُلكم وبراءةُ الله منكم ونكوصُ وليِّكم عنكم؛ إذ ولَّيتم كالإبل الشوارد إلى أوطانها، النوازع إلى أعطانها؛ لا يسأل المرءُ منكم عن أخيه، ولا يلوي الشيخ على بنيه، حتى عضكم السلاح، وقصمتكم الرماح، ثم يوم دير الجماجم: وما دير الجماجم؟ بها كانت المعارك والملاحم، بضربٍ يُزيل الهام عن مقيله[2]، ويذهل الخليل عن خليله.

يأهل العراق والكفرات بعد الفجرات؛ والغدرات بعد الختَرات، والنَّزوة بعد النزوات، إن بعثْتكم إلى ثغوركم غُللتم وخُنتم، وإن أمنتم أرجفتم، وإن خفتم نافقتم؛ لا تذكرون حسنة، ولا تشكرون نعمة!

يأهل العراق: هل استخفَّكم ناكث، أو استغواكم غاوٍ، أو استفزكم عاص أو استنصركم ظالم، أو استعضدكم خالع - إلا وثقتموه وآويتموه وعزَّرتموه ونصرتموه ورضيتموه.

يأهل العراق؛ هل شغَب شاغب، أو نَعب ناعب، أو نعق ناعق، أو زفر زافر، إلا كنتم أتباعه وأنصاره. يأهل العراق، ألم تنهكم المواعظ؟ ألم تزجركم الوقائع؟

ثم التفت إلى أهل الشام فقال: يأهل الشام، إنما أنا لكم كالظليم[3] الذابِّ عن فراخه؛ ينفي عنها المدر، ويباعد عنها الحجر ويكنُّها من المطر، ويحميها من الضباب؛ ويحرُسها من الذئاب؛ يأهل الشام، أنتم الجُنَّةُ والرداء، وأنتم العدة والحذاء.

---

(١) الزاوية: موضع بالبصرة. (٢) مقيله: موضعه.

(٣) الظليم: ذكر النعام.

وخطبة للحجاج

قال مالك بن دينار: غدوت للجمعة، فجلست قريباً من المنبر، فصعد الحجاج ثم قال:

امرؤٌ حاسَبَ نفسه؛ امرؤٌ راقب ربه؛ امرؤٌ زوَّرَ[1] عمله امرؤ فكر فيما يقرؤه غداً في صحيفته ويراه في ميزانه: امرؤ كان عند همه آمراً، وعند هواه زاجراً؛ امرؤ أخذ بعنان قلبه كما يأخذ الرجل بخطام[2] جمله، فإن قاده إلى حق تبعه، وإن قاده إلى معصية الله كفَّه. إننا والله ما خُلقنا للفناء، وإنما خُلقنا للبقاء، وإنما ننتقل من دار إلى دار.

خطبة الحجاج بالبصرة

اتقوا الله ما استطعتم. فهذه لله وفيها مثوبة. ثم قال: «واسمعوا وأطيعوا». فهذه لعبد الله وخليفة الله وحبيبِ الله عبدِ الملك بن مروان، والله لو أمرتُ الناسَ أن يأخذوا في باب واحد وأَخَذُوا في بابٍ غيرِه، لكانت دماؤهم لي حلالاً من الله، ولو قتل ربيعة ومضر لكان لي حلالاً. عذيري[3] من هذه الحمراء[4]، يَرمِي أحدُهم بالحجر إلى السماء ويقول: يكون إلى أن يقع هذا خيرٌ. والله لأجعلَنَّهم كأمس الدابر؛ عذيري من عبْدِ هُذيل، إنه زعم أنه آمن عند الله، يقرأ القرآنَ كأنه رَجَزُ الأعراب؛ والله لو أدركتُه لقتلتُه.

خطبة للحجاج بالبصرة

حمد الله وأثنى عليه ثم قال: إن الله كفانا مئُونَة الدنيا وأمرنا بطلب الآخرة فليتَه كفانا مئونةَ الآخرة وأمرنا بطلب الدنيا. مالي أرى علماءَكم يذهبون، وجُهَّالكم لا يتعلمون، وشِرارَكم لا يتوبون؟ مالي أراكم تَحرصون على ما كُفيتم، وتُضَيِّعُون ما به

---

(١) زوّر عمله: حسّنه.
(٢) الحطام: الزمام.
(٣) العذير: النصير.
(٤) الحمراء: العجم لبياضهم.

أمِرْتم، إن العلمَ يوشِكُ أن يُرفع، ورَفعُه ذهابُ العلماء. ألا وإني أعلم بشراركم من البيطار بالفرس: الذيـن لا يقـرؤن القـرآنَ إلا هُجْـرا[1]، ولا يـأتـون الصلاة إلا دُبُراً[2]؛ ألا وإن الدنيا عرَض حاضر يأكل منها البَرُّ والفاجر؛ ألا وإن الآخرة أجلٌ مستأخر يحكم فيه مَلِكٌ قادر؛ ألا فاعملوا وأنتم من الله على حذر، واعلموا أنكم ملاقوه ﴿لِيَجْزِيَ الذين أساءوا بما عَمِلُوا ويَجزي الذينَ أحسَنوا بالحُسنَى﴾[3] ألا وإن الخيرَ كلَّه بحذافيره في الجنة؛ ألا وإن الشرَّ كلَّه بحذافيره في النار؛ ألا وإنّ من يعمل مثقالَ ذرّة خيراً يَرَه، ومن يعمل مثقال ذرّةٍ شراً يره وأستغفر الله لي ولكم.

وخطبة للحجاج

خطب الحجاجُ أهل العراق فقال: يأهل العراق إني لم أجد لكم دواءً أدوَى[4] لدائكم من هذه المغازي والبعوث، لولا طيب ليلة الإياب وفرحة القفَل، فإنها تعقب راحة وإني لا أريد أن أرَى الفرحَ عندكم ولا الرَّاحةَ بكم؛ وما أُراكم إلا كارهين لمقالتي، أنا والله لرؤيتكم أكرهُ، ولولا ما أريد من تنفيذ طاعة أمير المؤمنين فيكم ما حَمَّلْتُ نفسي مُقاساتكم والصبرَ على النظر إليكم؛ والله أسأل حُسْنَ العون عليكم! ثم نزل.

خطبة الحجاج حين أراد الحج

يأهل العراق، إني أردتُ الحج، وقد استخلفتُ عليك آبنِي محمداً، وما كنتم له بأهل. وأوصيتُه فيكم بخلاف ما أوصى به رسولُ الله ﷺ في الأنصار؛ فإنه أوصى أن يُقبل من محسنهم ويُتجاوز عن مسيئهم، وأنا. أوصيته أن لا يقبل من محسنكم ولا يتجاوز عن مسيئكم! ألا وإنكم قائلون بعدي مقالة لا يمنعكم من إظهارها إلا خوفي، تقولون: لا أحسن الله له الصحابة! وإني أعجِّل لكم الجواب: فلا أحسن الله عليكم الخلافة! ثم نزل.

---

(١) الهجر: الترك والإغفال. (٢) دبراً: أي في آخر وقتها.
(٣) سورة النجم الآية ٣١. (٤) أدوى: أهلك وأقطع.

خطبة للحجاج

خرج الحجاج يريد العراق والياً عليها في اثنى عشر راكباً على النجائب[١]، حتى دخل الكوفة [فجأةً] حين انتشر النهار، وقد كان بشر بن مروان بعث المهلب إلى الحرورية، فبدأ الحجاج بالمسجد فدخله، ثم صعد المنبر وهو ملثّم بعمامة خزّ، فقال: عليّ بالناس، فحسبوه وأصحابه خوارج، فهمُّوا به، حتى إذا اجتمع الناس في المسجد، قام، ثم كشف عن وجهه، ثم قال:

أنا ابنُ جَلا وطلاعُ الثَّنايا ... متى أَضِع العِمامةَ تعرفوني[٢]
صَليبُ العودِ من سَلَفي رياح ... كنصْل السيفِ وضَّاح الجبِين
وماذا يبتغي الشُّعراءُ مني ... وقد جاوزتُ حدّ الأربعين
أَخو خمسينَ مجتمِعٌ أشُدّي ... ونَجَّذني مُداوَرة الشُّئون[٣]
وإني لا يعودُ إليَّ قِرْني ... غداةَ العَبْء إلا في قَرين

أما والله إني لأحمل الشر بحمله، وأحذوه بنعله، وأجْزيه بمثله؛ وإني لأرى رءُوساً قد أينعت وحان قطافها، وإني لَصاحبُها؛ وإني لأنظر الدِّماء بين العمائم واللِّحى تترقرق.

قد شمَّرتْ عن ساقها فشمِّر[٤]

ثم قال:

هذا أَوان الشدّ فاشتدّي زِيَمْ ... قد لفَّها الليل بسوّاق حُطَمْ[٥]
ليس بِراعِي إبلٍ ولا غنمْ ... ولا بجزّارٍ على ظهْرِ وضَم[٦]

ثم قال:

(١) نجائب الابل: خيارها.
(٢) ابن جلا: الصبح.
(٣) المنجد من الرجال: الذي جرب الأمور وعرفها.
(٤) الشد: العدو.
(٥) زيم: اسم فرس أو ناقة. والحطم: الراعي الظلوم للماشية.
(٦) الوضم: كل ما قطع عليه اللحم.

قـــد لَفهـــا الليـــل بعَصْلبيٍّ   أروعَ خَـــرّاج مـــن الدويّ[1]

مهاجرٍ ليس بأعرابيٍّ

ثم قال:

قد شمَّرت عـن سـاقهـا فشَـدّوا   مـــا علّتي وأنـــا شيـــخٌ إد[2]

والقـــوسُ فيهـــا وَتَـــرٌ عُـــرُدُّ   مثْـــل ذراعِ البِكـــر أو أشـــدُّ[3]

إني والله يأهل العراق، ومعدنَ الشقاق والنفاق، ومساوىَ الأخلاق، لا يُغمز جانبي كتَغْماز التِّين، ولا يُقعقَع[4] لي بالشنان[5]؛ ولقد فُررتُ عن ذكاء. وفتِّشتُ عن تجربة، وأُجريت إلى الغاية القصوى؛ وإنّ أمير المؤمنين نثرَ كنانته بين يديه ثم عجم عيدانَها، فوجدني أمرَّها عوداً وأشدّها مكسراً، فوجهني إليكم، ورماكم بي، فإنكم قد طالما أوضعتم[6] في الفتن وسننتم سنن الغيّ؛ وآيم الله لألُحوْنَّكم لحْوَ العصا، ولأقرعنكم قرع المَرْوة[7]، ولأعصبنكم عصب السَّلمة[8]، ولأضربنكم ضرب غرائب الإبل، أما والله لا أَعِد إلا وفيت؛ ولا أَخلُق إلا فَريت[9]؛ فإياي وهذه الشفعاء، والزرافات والجماعات، وقالاً وقيلاً. وما يقولون؛ وفيم أنتم وذاك؟ والله لتستقيمُنّ على طريق الحق، أو لأَدَعنّ لكلِّ رجل منكم شُغلاً في جسده! من وجدته بعد ثالثة من بعث المهلب سفكت دمه وانتهبت ماله وهدمت منزله.

فشمَّر الناس بالخروج إلى المهلب؛ فلما رأى المهلب ذلك قال: لقد وليَ العراقَ خيرُ ذكر.

خطبة الحجاج لما مات عبد الملك

قا خطيباً فحمد الله وأثنى عليه ثم قال:

---

(١) العصلبي: الشديد القوي. والأروع الذكي. والدوي: الفلاة الواسعة.

(٢) إد: داهية.

(٣) عرد: شديد.

(٤) القعقعة: تحريك الشيء اليابس مع صوت، كالسرح وغيره.

(٥) الشنان: القرب البالية.

(٦) أوضعتم: أسرعتم.

(٧) المروة: حجارة بيض براقة تورى النار.

(٨) السلمة: شجر كثير الشوك.

(٩) أخلق: أقدر. وفريت: قطعت.

أيها الناس، إن الله تبارك وتعالى نَعى نبيّكم ﷺ إلى نفسه فقال: ﴿إنك ميّت وإنهم ميّتون﴾[1]؛ وقال: ﴿وما محمدٌ إلا رسولٌ قد خَلتْ من قبله الرسلُ أفئِن مات أو قتِل آنقلبتمْ على أعقابِكم﴾[2]؟ فمات رسول الله ﷺ، ومات الخلفاء الراشدون المهتدون المهديون، منهم أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان الشهيد المظلوم، ثم تبعهم معاوية؛ ثم وليكم البازل الذكر الذي جرَّبتْه الأمور، وأحكمتْه التجارب مع الفقه وقراءة القرآن، والمروءة الظاهرة، واللين لأهل الحق، والوطء لأهل الزيغ؛ فكان رابعاً من الولاة المهديين الراشدين؛ فاختار الله له ما عنده، وألحقه بهم، وعهد إلى شِبْهه في العقل والمروءة والحزم والجلد والقيام بأمر الله وخلافته؛ فاسمعوا له وأطيعوه.

أيها الناس؛ إياكم والزَّيْغ[3]؛ فإن الزيغ لا يَحيق إلا بأهله، ورأيتم سيرتي فيكم، وعرفت خلافكم، وقَبلتكم على معرفتي بكم؛ ولو علمتُ أنّ أحداً أقوى عليكم مني، أو أعرف بكم، ما ولِيتُكم؛ فإياي وإياكم؛ من تكلم قتلناه؛ ومن سكت مات بدائه غماً! ثم نزل.

خطبة الحجاج

لما أصيب بولده محمد وأخيه محمد:

أيها الناس، محمّدان في يومٍ واحد! أما والله لقد كنتُ أحبّ أنهما معي في الدنيا مع ما أرجو لهما من ثواب الله في الآخرة؛ وآيم الله ليوشكن الباقي مني ومنكم أن يفنى، والجديد مني ومنكم أن يلي، والحيّ مني ومنكم أن يموت؛ وأن تُدال الأرض منا كما أُدِلنا منها؛ فتأكل من لحومنا؛ وتشرب من دمائنا؛ كما مشينا على ظهرها، وأكلنا من ثمارها، وشربنا من مائها؛ ثم يكون كما قال الله: ﴿ونُفخ في الصُّور فإذا هم من الأجْداث إلى ربِّهم ينْسِلونَ﴾[4]. ثم تمثل بهذين البيتين:

(١) سورة الزمر الآية ٣٠.
(٢) سورة آل عمران الآية ١٤٤.
(٣) الزيغ: الميل عن الحق.
(٤) سورة يس الآية ٥١.

عَـزائـي نبيُّ اللهِ مــن كــلِّ ميِّــتٍ وحسْبي ثوابُ اللهِ من كلِّ هــالــكِ
إذا مــا لَقيــتُ اللهَ عني راضيــاً فــإنّ سُـرورَ النفسِ فيما هُنــالــك

خطب الحجاج في يوم جمعة فأطال الخطبة؛ فقام إليه رجل فقال: إن الوقت لا ينتظرك، والرب لا يعذرك! فأمر به إلى الحبس! فأتاه آل الرجل وقالوا: إنه مجنون! فقال: إن أقرّ على نفسه بما ذكرتم خليتُ سبيْله. فقال الرجل: لا والله لا أزعم أنه ٱبتلاني وقد عافاني.

خطبة للحجاج

ذكروا أن الحجاج مرض ففرح أهل العراق؛ وقالوا: مات الحجاج! فلما بلغه تحامل حتى صعد المنبر فقال:

يا أهل الشقاق والنفاق! نفخ إبليس في مناخركم فقلتم: مات الحجاج، ومات الحجاج فمَهْ؟ والله ما أحب أن لا أموت! وما أرجو الخيرَ كلَّه إلا بعد الموت، وما رأيت الله عز وجل رضي الخلودَ لأحدٍ من خلقه، إلا لأهونهم عليه: إبليس؛ ولقد رأيتُ العبد الصالح سأل ربَّه فقال: ﴿ربِّ ٱغفرْ لي وهَبْ لي مُلْكاً لا ينبغي لأحدٍ من بَعدي إنكَ أنت الوهَّابُ﴾[1]. ففعل؛ ثم اضمحل كأن لم يكن.

خطبة للحجاج

خطب فقال في خطبته:

سوْطي سيفي، ونِجادُه في عنُقي، وقائمه في يدي؛ وذبابُه[2] قلادة لمن اغترني! فقال الحسن: بؤساً لهذا! ما أغرّه بالله.

وحلف رجل بالطلاق أن الحجاج في النار، ثم أتى زوجته، فمنعتْه نفسَها فأتى ابنَ شُبرمة يستفتيه؛ فقال: يا بن أخي ٱمض فكن مع أهلك، فإن الحجاج إن لم يكن من

---

(١) سورة ص الآية ٣٥ . (٢) ذباب السيف: حد طرفيه .

أهل النار، فلا يضرُّك أن تزني.

هذا ما ذكرناه في كتابنا من الخطب للحجاج، وما بقي منها فهي مستقصاة في كتاب اليتيمة الثانية، حيث ذكرت أخبار زياد والحجاج، وإنما مذهبنا في كتابنا هذا أن نأخذ من كل شيء أحسنه ونحذف الكثير الذي يُجتزَأ منه بالقليل.

خطبة طاهر بن الحسين

لما افتتح مدينة السلام صعد المنبر وأحضر جماعة من بني هاشم والقواد وغيرهم فقال:

الحمد لله مالك الملك، يُؤتي الملك من يشاء، وينزعُ الملك ممن يشاء، ويُعِز من يشاء، ويُذِلّ من يشاء؛ ولا يُصْلح عمل المفْسدين، ولا يَهدِي كيْد الخائنين؛ إنّ ظهور غلَبَتِنا لم يكن من أيدنا ولا كيدنا، بل اختار الله لخلافته ـ إذ جعلها عموداً لدينه، وقِوَاماً لعباده ـ من يستقل بأعبائها، ويضطلع بحملها.

خطبة عبد الله بن طاهر

خطب الناس وقد تيسر لقتال الخوارج؛ فقال: إنكم فئة الله المجاهدون عن حقه، الذابُّون عن دينه، الذائدون عن محارمه، الداعون إلى ما أمر به من الاعتصام بحبله، والطاعة لِوُلاةِ أمره، الذين جعلهم رعاةَ الدين، ونظام المسلمين فاستنْجزوا موعود الله ونصره بمجاهدة عدوّه وأهل معصيته، الذين أشِرُوا[1] وتمردوا وشقوا العصا، وفارقوا الجماعة، ومَرَقوا من الدين، وسعَوْا في الأرض فساداً، فإنه يقول تبارك وتعالى: ﴿إن تنصُروا اللهَ يَنصُرْكم ويُثَبِّتْ أقدامكم﴾[2] فليكن الصبر معقِلكم الذي إليه تلجئون، وعُدتكم التي تستظهرون؛ فإنه الوزَر المنيع الذي دلكم الله عليه، والجُنة الحصينة التي أمركم الله بلباسها؛ غضوا أبصاركم، وأخفِتوا أصواتكم في مصافِّكم، وامضوا قُدُماً على بصائركم، فارغين إلى ذكر الله والاستعانة به كما أمركم الله؛ فإنه

---

(١) أشروا: بطروا واستكبروا. (٢) سورة محمد (ص) الآية ٧.

يقول: ﴿إذا لقِيتُمْ فئةً فاثْبُتوا واذكُروا الله كثيراً لعلّكُمْ تُفْلِحون﴾[1]. أيدكم الله بعز الصبر، ووليَكم بالحياطة والنصر.

خطبة قتيبة بن مسلم

قام بخراسان حين خلع سليمان بن عبد الملك، فصعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال:

أتدرون من تبايعون؟ إنما تبايعون يزيد بن ثَروان - يعني هَبنَّقة القيسي - كأني بأميرٍ مزْجاءٍ وحَكَم قد أتاكم يحكم في أموالكم ودمائكم وفروجكم وأبشاركم.

ثم قال: الأعراب! وما الأعراب؟ لعن الله الأعراب! جمعتُهم كما يُجمع فَرْخُ الخرْبَق[2] من منابت الشيح والقَيصوم[3] ومنابت الفلفل، يركبون البقر، ويأكلون الهبيد[4]. فحملتهم على الخيل، وألبستهم السلاح حتى منع الله بهم البلاد، وجبى بهم الفيء. قالوا: مُرْنا بأمرك. قال: غُرُّوا غيري.

وخطبة لقتيبة بن مسلم

يأهل العراق، ألستُ أعلم الناس بكم؟ أما هذا الحي من أهل العالية فنَعَمُ الصدقة، وأما هذا الحي من بكر بن وائل فعِلْجة[5] بَظْراء لا تَمنع رجليها، وأما هذا الحيّ من عبد القيس فما ضرب العير[6] بذنبه، وأما هذا الحي من الأزد فعلوجُ خلق الله وأنباطه؛ وآيم الله لو ملكت أمر الناس لنقشت أيديهم، وأما هذا الحي من تميم فإنهم كانوا يسمون الغدر في الجاهلية كيسان.

وقال الشاعر:

إذا كنتَ مِن سعدٍ وخالُـكَ منهـم   بعيداً فلا يَغرُرْك خالكَ من سعـدِ

(١) سورة الأنفال الآية ٤١.
(٢) الخربق: نبت كالسم يغشى على صاحبه.
(٣) الشيح والقيصوم: من نبات السهل.
(٤) الهبيد: حب الحنظل.
(٥) العلجة. أنثى العلج: وهو الرجل من كفار العجم.
(٦) العير: الحمار.

إذا ما دُعوا كَيْسانَ كانت كُهولُهُمْ إلى الغدر أدنـى مِـن شبـابهم المُرد

وخطبة لقتيبة بن مسلم

يأهل خراسان، قد جرّبتم الولاة قبلي؛ أتاكم أُمية فكان كاسمه أمية الرأي، وأمية الدين فكتب إلى خليفته: إن خراج خراسان لو كان في مطبخه لم يكفه؛ ثم أتاكم بعده أبو سعيد ثلاثاً، لا تدرون أفي طاعة الله أنتم أم في معصيته؟ ثم لم يجب فَيْئاً، ولم يَبلُ عدواً؛ ثم أتاكم بنوه بعده مثل أطْباء[1] الكَلبة؛ منهم ابن رَحْمة، حِصان يضرب في عانة؛ لقد كان أبوه يخافه على أمهات أولاده! ثم أصبحتم وقد فتح الله عليكم البلاد [وأمَّن لكم السُّبل] حتى إنّ الظعينة لتخرج من مرو إلى سمرقند في غير جوار.

قوله أبو سعيد، يريد المهلب بن أبي صفرة. وقوله: ابن رحمة: يريد يزيد بن المهلب.

خطبة ليزيد بن المهلب

حمد الله وأثنى عليه، وصلى على النبي ﷺ، ثم قال:

أيها الناس، إني أسمع قول الرعاع، قد جاء العباس، قد جاء مسلمة، قد جاء أهل الشام. وما أهل الشام إلا تسعة أسياف: منها سبعة معي، وآثنان عليّ، وما مسلمة إلا جرادةٌ صفراء وأما العباس فبسطوس بن بسطوس، أتاكم في برابرة وصقالبة وجرامقة وأقباط وأنباط وأخلاط؛ أقبل إليكم الفلاحون والأوباش كأشلاء اللحم، والله ما لقوا قط حدّاً كحدكم، ولا حديداً كحديدكم، أعيروني سواعدكم ساعة تصفقوا[2] بها خراطيمهم[3]؛ فإنما هي غدوة أو روحة حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين.

خطبة قس بن ساعدة الإيادي

ابن عباس قال: قدم وفدُ إياد على رسول الله ﷺ، فقال: أيكم يعرف قسَّ بن

---

(١) الأطباء: جمع طبى: وهو لذات الخف والظلف كالثدي للمراة.

(٢) صفقه بالسيف: ضربه. (٣) خراطيم: جمع خرطوم، وهو الأنف.

ساعدة الإيادي؟ قالوا: كلنا يعرفه قال: فما فعل؟ قالوا: هلك! قال: ما أنساه بسوق عكاظ في الشهر الحرام على جمل له أحمر وهو يخطب الناس ويقول:

آسمعوا وعُوا: من عاش مات، ومن مات فات، وكلٌّ ما هو آتٍ آتٍ؛ إنّ في السماء لخَبراً، وإنّ في الأرض لعِبراً، سحائبٌ تمور، ونجومٌ تغور، في فلكٍ يدور. يُقْسِم قسٌّ قَسَماً: إن لله ديناً هو أرضى من دينكم هذا.

ثم قال: مالي أرى الناس يذهبون ولا يَرجعون؟ أرَضوا بالإقامة فأقاموا؟ أم تركوا فناموا.

أيكم يروي من شعره؟ فأنشد بعضهم:

في الذَّاهبين الأوّلـــين منَ القرون لنا بصائرْ
لمّا رأيت موارداً للموْتِ ليس لها مصادرْ
ورأيتُ قوْمي نحوها تمضي: الأكابر والأصاغر
لا يَرجعُ الماضي ولا يبقى من الباقين غابِرْ
أيقَنْتُ أني لامحا لة حيثُ صار القوْمُ صائرْ

خطبة عائشة أم المؤمنين
رحمها الله يوم الجمل

قالت: أيها الناس صَه صَه؛ إنّ لي عليكم حق الأمومة، وحقَّ الموعظة؛ لا يتهمني إلا من عصى ربّه؛ مات رسول الله ﷺ بين سَحْري[1] ونَحْري؛ فأنا إحدى نسائه في الجنة، له ادّخرني ربي وخلّصني من كلِّ بُضع[2]؛ وبي ميّز مُؤمنكم من منافقكم، وبي أرْخصَ اللهُ لكم في صعيد الأبواء[3]؛ ثم أبي ثاني اثنيْنِ اللهُ ثالثهما؛ وأول من سُمّي صدِّيقاً، مضى رسول الله ﷺ راضياً عنه؛ وطوّقه أعباءَ الإمامة، ثم اضطرب حبل الدين بعده؛ فمسك أبي بطرفيه، ورتق لكم فتق النفاق، وأغاض[4] نبع الردة،

(١) السحر: الرئة.
(٢) البضع: النكاح.
(٣) صعيد الأبواء: تراب المفازة.
(٤) أغاض: نقص.

وأطفأ ما حشّت[١] يهود؛ وأنتم يومئذ جُحْظُ العيون، تنظرون العدْوَة[٢]، وتسمعون الصيحة؛ فرأب الثّأي، وأوّد[٣] من الغِلظة، وامتاح[٤] من الهُوّة؛ حتى اجْتَحى دفين الداء؛ وحتى أعطن الوارد، وأورد الصادر، وعل الناهل؛ فقبضه الله إليه واطئاً على هامات النفاق، مذكياً نار الحرب للمشركين؛ فانتظمت طاعتكم بحبله؛ فولى أمركم رجلاً مُرْعِياً إذا رُكِن إليه، بعيداً ما بين اللابتين إذا ضُلّ، عُرَكة للأذاة بجنبه صفوحاً عن أذاة الجاهلين، يقظان الليل في نُصرة الإسلام؛ فسلك مسلك السابقيه؛ ففرق شمل الفِتنة، وجمّع أعضاد ما جمّع القرآن، وأنا نُصْب المسألة عن مسيري هذا؛ لم ألتمس إثماً، ولم أُورِّث فتنة أوطِئكُمُوها: أقول قولي هذا صدقاً وعدلاً، وإعذاراً وإنذاراً؛ وأسأل اللهَ أن يصلي على محمد، وأن يخلفه فيكم بأفضل خلافة المرسلين.

خطبة عبد الله بن مسعود

أصدق الحديث كتابُ الله. وأوثقُ العُرى كلمةُ التقوى، خير زاد؛ وأكرم الملل ملة إبراهيم ﷺ، وخير السنن سُنَّةُ محمد ﷺ، وشرُّ الأمور محدثاتُها، وخير الأمور أوساطها، وما قل وكفى خيرٌ مما كثُرَ وألهى، لنَفْسٌ تحييها خير من إمارة لا تُحْصيها. خير الغنى غنى النفس. خيرُ ما أُلقي في القلب اليقين. الخمر جماع الآثام. النساءُ حبائل الشيطان. الشبابُ شعبة من الجنون. حبُّ الكفاية مفتاحُ المَعْجزَة. شرُّ من الناس من لا يأتي الجماعة إلا دُبُراً[٥]، ولا يذكر الله إلا هُجْراً[٦]. سِبابُ المؤمن فُسوق، وقتالهُ كُفر، وأكلُ لحمه معصية؛ من يتألَّ[٧] على الله يُكذبه، ومن يغفِر يُغْفر له. مكتوب في ديوان المحسنين: من عفا عُفِيَ عنه. الشقيُّ شقي في بطن أمه. السعيدُ من وُعِظ بغيره. الأمور بعواقبها. مِلاكُ الأمر خواتيُمه. أحسنُ الهدْي هَدْيُ الأنبياء. أقبحُ الضلالةِ الضلالة بعد الهدى. أشرفُ الموت الشهادةُ. من يعرف البلاء يَصْبِر عليه، ومن لا يَعرِف البلاء يُنْكِرْه.

(١) حشّ النار: أوقدها. (٢) العدوة: الوثبة. (٣) أود: عطف وألان.
(٤) امتاح: انتزع. (٥) دبراً: في آخر الوقت.
(٦) الهجر: الترك والإغفال. (٧) يتأل: يقسم.

خطبة لعتبة بن مروان
بعد فتح الأبلة

حمد الله وأثنى عليه، ثم صلى على النبي ﷺ؛ وقال:

إن الدنيا قد تولّتْ [حذّاء مدبرة]، وقد آذنتْ أهلَها منها بصرم، وإنما بقي منها صُبابَةٌ كصُبابة الإناء يصْطَبُّها صاحبُها؛ ألا وإنكم مفارقوها لا مَحالة، ففارقوها بأحسنِ ما يحضُرُكم؛ ألا إنّ من العَجب أني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الحجرَ الضخمَ يُرمَى به في شفير جهنم فيَهوِي في النار سبعين خريفاً، ولِجَهنَّم سبعةُ أبواب، بين كل بابين منها مسيرةُ خمسمائة عامٍ، وليأتين عليها ساعةٌ وهي كظيظ[1] بالزحام»؛ ولقد كنتُ مع رسول الله ﷺ سابعَ سبعة مالنا طعام إلا ورقَ البَشام. حتى قَرحت أشداقُنا؛ فوجدت أنا وسعد بنُ مالك تمرة فشققتها بيني وبينه نصفين، وما منا أحدٌ اليوم إلا وهو أميرٌ على مصرٍ وإنه لم يكن نبوةٌ قطُّ إلا تناسخت[2]؛ وأنا أعوذ بالله أن أكون في نفسي عظيماً وفي أعين الناس صغيراً.

خطب عمرو بن سعيد الأشدق

لما عقد معاوية ليزيد البيعة، قام الناس يخطبون؛ فقال [معاوية] لعمرو بن سعيد: قم يا أبا أمية. فقام فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال:

أما بعد فإن يزيد بن معاوية أملٌ تأملونه، وأجل تأمنونه؛ إن استضفتم إلى حلمه وَسِعكمْ، وإن احتجتم إلى رأيه أرشدَكم، وإن افتقرتم إلى ذات يده أغناكم؛ جذَع[3] قارح[4]، سوبِقَ فسبق، ومُوجِدَ فمجد، وقورع فقرع؛ فهو خلف أمير المؤمنين ولا خلف منه.

فقال له معاوية: أوسعت أبا أمية فاجلس.

---

(١) الكظيظ: الإمتلاء. (٢) تناسخت: تداولت.

(٣) الجذع: الفرس في سنته الثانية. (٤) القارح: الذي كملت أسنانه.

وخطبة لعمرو بن سعيد بالمدينة

قال أبو العباس بن الفرج الرياشي: حدّثنا ابن عائشة قال: قدم عمرو بن سعيد ابن العاص الأشدق المدينة أميراً، فخرج إلى منبر رسول الله ﷺ، فقعد عليه وغمّض عينيه وعليه جبةُ خَزٍّ قرمز، ومُطرف خز قرمز، وعمامة خز قرمز؛ فجعل أهل المدينة ينظرون إلى ثيابه إعجاباً بها، ففتح عينيه فإذا الناس ينظرون إليه؛ فقال:

ما بالكم يا أهل المدينة ترفعون إليّ أبصارَكم، كأنكم تريدون أن تضربونا بسيوفكم؟ أغرَّكم أنكم فعلتم ما فعلتم فعفونا عنكم؟ أما إنه لو أُثِبْتم بالأولى ما كانت الثانية؛ أغرّكم أنكم قتلتم عثمان فوافقتم[1] ثائرنا منا رفيقاً، قد فنى غضبُه وبقي حلمه؟ اغتنموا أنفسكم، فقد والله ملَكناكم بالشباب المقتبل، البعيد الأمل الطويل الأجل، حين فرغ من الصغر، ودخل في الكبر، حليم حديد، ليِّن شديد رقيق كثيف، رفيق عنيف، حين اشتد عظمه. واعتدل جسمه، ورمى الدهر ببصره، واستقبله بأشره، فهو إن عض نهس[2]، وإن سطا فرس[3]، لا يُقَلْقِل له الحصى، ولا تُقرع له العصا، ولا يمشي السُّهَّمَى[4].

قال: فما بقي بعد ذلك إلا ثلاث سنين وثمانية أشهر، حتى قصمه الله.

خطبة لعمرو بمكة

العتبي قال: استعمل سعيدُ بن العاص وهو وال على المدينة ابنَه عمرو بن سعيد والياً على مكة، فلما قدم لم يلقَهُ قرشي ولا أموي إلا أن يكون الحرث بن نوفل، فلما لقيه قال له: يا حارِ، ما الذي منع قومَك أن يلقَوني كما لقيتَني؟ قال: ما منعهم من ذلك إلا ما استقبلتني به؛ والله ما كنيتَني، ولا أتممتَ اسمي، وإنما أنهاك عن التكبّر على أكفائك، فإن ذلك لا يرفعك عليهم ولا يضعهم لك. قال: والله ما أسأتَ الموعظة، ولا أتهمك على النصيحة، وإن الذي رأيت مني لَخلق. فلما دخل مكة قام على المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال:

---

(١) وافقتم: وجدتم؛ والثائر: الآخذ بالثأر.
(٢) نهس اللحم: أخذه بمقدم اسنانه ونتفه.
(٣) فرس الفريسة: دق عنقها.
(٤) السمهى: الباطل والكذب.

أما بعد، معشرَ أهل مكة، فإنا سكناها حِقْبة، وخرجنا عنها رغبة، ولذلك كنا إذا رُفعت لنا لُهوة بعد لُهوة[1] أخذنا أسناها، ونزلنا أعلاها؛ ثم شَدخ[2] أمرٌ بين أمرين، فقَتلنا وقُتلنا؛ فوالله ما نزعنا ولا نُزع عنا، حتى شرب الدمُ دماً، وأكل اللحم لحماً، وقرع العظم عظماً؛ فولِيَ رسولُ الله ﷺ برسالة الله إياه، واختياره له؛ ثم ولي أبو بكر لسابقته وفضله؛ ثم ولي عمر؛ ثم أُجيلت قِداحٌ نُزعن من شُعب[3] حول نبعة، ففاز بحظِّها أصلبُها وأعتقها، فكنا بعض قِداحها؛ ثم شدخ أمر بين أمرين، فقَتلنا وقُتلنا، فوالله ما نَزعنا ولا نُزع عنا حتى شرب الدم دماً، وأكل اللحم لحماً، وقرع العظم عظماً، وعاد الحرام حلالاً، وأُسكت كل ذي حسن عن ضرب مهنَّد، عركاً عركاً، وعسفاً عسفاً، وخزاً ونهْساً، حتى طابوا عن حقنا نفساً، والله ما أَعطوه عن هوادة، ولا رضوا فيه بالقضاء؛ أصبحوا يقولون: حقُّنا غُلبنا عليه، فجزيناه هذا بهذا، وهذا في هذا.

يا أهل مكة، أنفسَكم أنفسَكم! وسفهاءَكم سفهاءَكم! فإن معي سوطاً نكالا، وسيفاً وبالا، وكلٌّ منصوبٌ على أهله. ثم نزل.

خطبة للأحنف بن قيس

قال بعد حمد الله والثناء عليه: يا معشر الأزد وربيعة، أنتم إخواننا في الدين وشركاؤنا في الصِّهر[4]، وأشِقَّاؤنا في النسب، وجيرانُنا في الدار، ويدُنا على العدو، والله لأزدُ البصرة أحبُّ إلينا من تميم الكوفة، ولأزدُ الكوفة أحب إلينا من تميم الشام؛ فإن استشرف شنَآنُكم وأَبَى حسدُ صدورِكم، ففي أحلامنا وأموالنا سَعة لنا ولكم.

خطبة ليوسف بن عمر

قام خطيباً فقال: اتقوا الله عباد الله: فكم مؤمِّلٍ أملاً لا يبلغه، وجامع مالاً لا

---

(١) اللهوة: العطية. (٢) شدخ: فرق وباعد.

(٣) الشعب: الأغصان. (٤) الصِّهر: القريب بالزواج.

يأكلُه، ومانعٍ عما سوف يتركه؛ ولعله من باطلٍ جَمَعَهُ، ومن حقٍّ مِنعَهُ أصابه حراماً، وأورثه عدوّاً حلالاً، فاحتمل إصْرَه [1]، وباء بِوِزْرِهِ، وورد على ربه أسِفاً لهِفاً، خسر الدنيا والآخرة، ذلك هو الخسران المبين.

خطبة لشداد بن أوس الطائي

حمد الله وأثنى عليه وقال: ألا إن الدنيا عرَضٌ حاضر، يأكل منها البَرُّ والفاجر؛ ألا إن الآخرة وعدٌ صادق، يحكم فيها مَلِكٌ قادر؛ ألا إن الخيرَ كلّه بحذافيره في الجنة؛ ألا إن الشرَّ كله بحذافيره في النار، فاعملوا ما عملتم وأنتم في يقين من الله، واعلموا أنكم معروضة أعمالُكُمْ على الله، ﴿فَمنْ يعمَلْ مِثقالَ ذرّةٍ خيْراً يَره، ومَنْ يعْمَلْ مِثقالَ ذَرّةٍ شرّاً يَره﴾[2] وغفر الله لنا ولكم.

خطبة لخالد بن عبد الله القسري

صَعِد المنبر يوم جمعة وهو والي مكة، فذكر الحجاج فأحمد طاعته وأثنى عليه خيراً؛ فلما كان في الجمعة الثانية ورد عليه كتاب سليمان بن عبد الملك يأمره فيه بشتم الحجاج وذِكرِ عيوبه وإظهارِ البراءةِ منه: فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال:

إن إبليس كان ملكاً من الملائكة، وكان يُظهر من طاعة الله ما كانت الملائكة ترى له به فضلاً، وكان قد علم الله من غِشه وخبثه ما خفى على ملائكته فلما أراد فضيحتَه ابتلاه بالسجود لآدم، فظهر لهم ما كان يخفيه عنهم، فلعنوه؛ وإن الحجاج كان يُظهر من طاعة أمير المؤمنين ما كنا نرى له به فضلاً، وكان الله قد أطلع أمير المؤمنين من غشه وخبثه على ما خفي عنا؛ فلما أراد [الله] فضيحتَه أجرى ذلك على يد أمير المؤمنين، [فَلعَنه]، فالعنوه لعنه الله!

خطبة لمصعب بن الزبير

قدم العراق فصعد المنبر ثم قال:

---

(١) الإصر: الذنب. (٢) سورة الزلزلة الآية ٧ و ٨ .

بسم الله الرحمن الرحيم. ﴿طسم تِلكَ آياتُ الكِتَابِ المُبِين ، نتْلو عَليْكَ مِنْ نَبإ مُوسَى وفرْعَونَ بالحقِّ لقَوْمٍ يُؤْمنُونَ، إنَّ فرْعَوْنَ عَلا في الأَرْضِ وجَعلَ أَهْلهَا شِيعاً يَسْتضْعِفُ طَائفَةً مِنهُم يُذَبِّحُ أَبْناءَهُمْ ويَسْتَحْي نِسَاءَهُمْ، إنّه كانَ منَ المُفْسدِينَ﴾[1] وأشار بيده نحو الشام ﴿ونُريدُ أَنْ نَمُنَّ على الذِينَ اسْتُضْعِفوا في الأَرْضِ ونَجْعَلهُمْ أئمةً ونَجْعَلهُمُ الوارثِينَ﴾[2] وأشار بيده نحو الحجاز ﴿ونُمكِّنَ لهُمْ في الأرْضِ ونُرِيَ فرْعَوْنَ وهامَانَ وجُنُودَهُما مِنْهُمْ ما كانوا يَحْذَرُونَ﴾[3] وأشار بيده نحو العراق.

خطبة للنعمان بن بشير بالكوفة

قال: إني والله ما وجدت مَثلي ومَثَلكم إلا الضبع والثعلب: أتيا الضبَّ في جحره فقالا: أباحِسْل. قال: أجبتكما. قالا: جئناك نختصم. قال: في بيته يُؤْتى الحكم. قالت الضبع: فتحتُ عيني. قال: فعلَ النساءِ فعلْتِ. قالت: فلقطتُ تمرةً. قال: حلواً اجْتَنيتِ. قالت: فاختطفها ثُعالةُ! قال: لنفسه بَغى [الخير]. قالت. فلطمتُه لطمة! قال: حقاً قضيتِ. قالت: فلطمني أخرى. قال: كان حُرّاً فانتصر. قالت: فاقض الآن بيننا. قال: حدث امْرَأَةً حديثين، فإنْ أبتْ فاربَع، أي: اسكت.

خطبة شبيب بن شيبة

قيل لبعض الخلفاء: إن شبيب بن شيبة يستعمل الكلام ويستعد له، فلو أمرته أن يصعد المنبر لرجوتَ أن يفتضح، قال: فأمر رسولاً فأخذ بيده إلى المسجد، فلم يفارقه حتى صعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، وصلى على النبي ﷺ حق الصلاة عليه؛ ثم قال: ألا إن لأمير المؤمنين أشباهاً أربعة: الأسد الخادر، والبحر الزاخر، والقمر الباهر، والربيع الناضر؛ فأما الأسد الخادر فأشبهَ منه صولتَه ومضاءَه، وأما البحر الزاخر فأشبه منه جودَه وعطاءَه، وأما القمر الباهر فأشبه منه نورَه وضياءَه، وأما الربيع الناضر فأشبه منه حُسنَه وبهاءَه. ثم نزل عن المنبر وأنشأ يقول:

---

(1) سورة القصص الآية ١ ـ ٤ . (2) سورة القصص الآية ٥ .

(3) سورة القصص الآية ٦ .

ومَوْقفٍ مِثلِ حدِّ السَّيف قمتُ بِـه   أحْمِي الذِّمارَ وتَرمينِي بـهِ الحَدَقُ(١)
فَما زلِقـتُ ومـا ألْقَيْـتُ كـاذبـةً   إذا الرِّجالُ على أمْثـالـه زَلِقُـوا(٢)

خطب لعتبة بن أبي سفيان

بلغه عن أهل مصر شي فأغضبه، فقام فيهم، فقال بعد أن حمد الله وأثنى عليه:

يا أهل مصر، إياكم أن تكونوا للسيف حصيداً، فإن لله فيكم ذبيحاً لعثمان أرجو أن يولَيني نسْكه(٣)؛ إن الله جمعكم بأمير المؤمنين بعد الفُرقة، فأعطى كلَّ ذي حقٍّ حقه وكان الله فيكم، ومنّة منه عليكم؛ وقد بلغَنا عنكم نجْمُ قول، أظهره تقدُّمُ عفو منا، فلا تصيروا إلى وحْشة الباطل بعد أُنس الحق، بإحياء الفتنة وإماتة السُّنن؛ فأطأكم وطأة لا رمق معها؛ حتى تنكروا مني ما كنتم تعرفون، وتستخشنوا ما كنتم تستلينون؛ وأنا أُشْهِد عليكم الذي يعلم خائنةَ الأعين وما تخفي الصدور.

وخطبة لعتبة بن أبي سفيان

يا حاملي الأمِ أنوف ركبت بين أعين، إنما قلَّمت أظفاري عنكم ليلين مَسِّي إياكم، وسألتكم صلاحَكم؛ إذ كان فسادكم راجعاً عليكم، فأما إذ أبيتم إلا الطعن على الولاة، والتنقُّص للسلف، فوالله لأقطعن على ظهوركم بطونَ السِّياط، فإن حسمت داءكم وإلا فالسيف من ورائكم؛ ولست أبخل عليكم بالعقوبة إذا جُدتم لنا بالمعصية، ولا أُؤيسكم من مراجعة الحسنى إن صرتم إلى التي هي أبرُّ وأتقى.

وخطبة لعتبة بن أبي سفيان

لما اشتكى شَكاته التي مات فيها، تحامل إلى المنبر فقال:

يا أهل مصر، لا غنَى عن الرب، ولا مهربَ من ذنب؛ إنه قد تقدَّمت مني

---

(١) الذّمار: المال والعرض والشرف وغير ذلك.

(٢) زلقت: ضللت وزلّيت.   (٣) نسكه: دمه.

إليكم عقوباتٌ كنت ارجو يومئذ الأجر فيها، وأنا أخاف اليوم الوِزْرَ منها، فليتني لا أكون آخترت دنياي على معادي، فأصلحتكم بفسادي؛ وأنا أستغفر الله منكم، وأتوب إليه فيكم؛ فقد خِفت ما كنتُ أرجو نفعاً عليه، ورجوتُ ما كنت أخاف آغتيالاً به، وقد شَقِي من هَلكَ بين رحمةِ الله وعفوِه؛ والسلام عليكم، سلامَ من لا ترونه عائداً إليكم. قال: فلم يَعدْ.

وخطبة لعتبة

العتبي: قال سعد القصر: احتبست عنا كتب معاوية بن أبي سفيان حين أرجفَ أهل مصر بموته، ثم قدم علينا كتابه بسلامته؛ فصعد عتبة المنبر والكتاب في يده، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال:

يا أهل مصر، قد طالت معاتبتنا إياكم بأطراف الرماح وظُباتِ[1] السيوف، حتى صرنا شجى في لهواتكم ما تُسيغه حلوقكم، وأقذاءً في أعينكم ما تطرف عليها جفونكم، أفحين اشتدّت عرى الحق عليكم عقْداً واسترخت عقَدُ الباطل منكم حَلا، أرجفتم بالخليفة، وأردتم تهوين الخلافة، وخضتم الحق إلى الباطل، وأقدم عهدِكم به حديث، فآربحوا أنفسكم إذا خسرتم دينكم؛ فهذا كتاب أمير المؤمنين بالخبر السارِّ عنه والعهدِ القريب منه؛ واعلموا أن سلطاننا على أبدانكم دون قلوبكم؛ فأصلحوا لنا ما ظهر، نكلْكم إلى الله فيما بَطن؛ وأظهروا خيراً وإن أضمرتم شراً، فإنكم حاصدون ما أنتم زارعون؛ وعلى الله أتوكل وبه أستعين. ثم نزل.

خطبة عتبة في الموسم

سعد القصر قال: قال مولى عتبة بن أبي سفيان: دفع عتبة بن أبي سفيان بالموسم سنة إحدى وأربعين، والناس حديثٌ عهدهم بالفتنة، فقال بعد أن حمد الله وأثنى عليه:

---

(١) ظبات: جمع الظّبة: وهو حد السيف والسنان والخنجر وما شابهها.

إنا قد ولينا هذا المقام الذي يُضعف الله فيه للمحسنين الأجر، وللمسيئين الوِزر، ونحن على طريق ما قصدْنا له، فلا تمدوا الأعناق إلى غيرنا، فإنها تنقطع من دوننا؛ ورب متمنّ حتفه في أمنيته، اقبلوا ما قبلنا العافية فيكم وقبلناها منكم، وإياكم ولوّاً[1] فإن لوّاً قد أتعبت مَن قبلكم، ولن تُريحَ مَن بعدكم؛ فأسأل الله أن يعين كلاً على كل.

فناداه أعرابي من ناحية المسجد: أيها الخليفة. قال: لست به ولم تُبْعِدْ فقال: يا أخاه! فقال: أَسْمَعْت فقُل.

فقال: والله لأنْ تحسنوا وقد أسأنا خيرٌ لكم من أن تسيئوا وقد أحسنَّا فإن كان الإحسان لكم فما أحقَّكم باستتمامه، وإن كان لنا فما أحقكم بمكافأتنا. رجل من بني عامر بن صعصعة يلقاكم بالعمومة، ويختص إليكم بالخئولة، وقد كثر عياله، ووطئه زمانه، وبه فقر، وفيه أجر، وعنده شكر.

فقال عتبة: أستغفر الله منكم؛ وأسأله العون عليكم، وقد أمرت لك بغناك؛ فليت إسراعنا إليك يقوم بإبطائنا عنك.

خطبة لعتبة بن أبي سفيان

سعد القصر قال:

وجّه عتبة بن أبي سفيان ابن أخي أبي الأعور السلمي إلى مصر فمنعوه الخراج، فقدم عليهم عتبة فقام خطيباً فقال:

يأهل مصر، قد كنتم تعتذرون لبعض المنع منكم ببعض الجور عليكم؛ فقد وليكم من يقول ويفعل، ويفعل ويقول؛ فإن رددتم ردّكم بيده، وإن استعصيتم ردّكم بسيفه، ثم رجا في الآخِر ما أمّل في الأوّل؛ إن البيعة مُشايَعة[2]، فلنا عليكم السمع والطاعة،

---

(١) يقال: « إياك واللوّ فان اللومن الشيطان يريد النهي عن قول المتندم.

(٢) مشايعة: متابعة

ولكم علينا العدل؛ فأيُّنا غدر فلا ذمّة له عند صاحبه، والله ما انطلقتْ بها ألسنتنا حتى عُقدتْ عليها قولبنا، ولا طلبناها منكم حتى بذلناها لكم، ناجزاً بناجز، ومَن حذَّر كمن بشَّر. قال فنادوه: سمعاً سمعاً، فناداهم: عدْلاً عدْلاً.

وخطبة لعتبة

قدم كتاب معاوية إلى عتبة بمصر: إنّ قِبَلك قوماً يطعنون على الولاة ويعيبون السلف. فخطبهم فقال:

يأهل مصر، خفَّ على ألسنتكم مَدْحُ الحق ولا تفعلونه، وذمّ الباطل وأنتم تأتونه، كالحمار يحمل أسفاراً أثقله حملها ولم ينفعه ثقلها، وآيم الله لا أداويكم بالسيف ما صلحتم على السوط، ولا أبلغ السوط ما كفتْني الدِّرة، ولا أبطيء عن الأولى ما لم تسرعوا إلى الأخرى؛ فالزموا ما أمركم الله به، تستوجبوا ما فرض الله لكم علينا؛ وإياكم وقال ويقول، قبل أن يقال فعل ويفعل؛ وكونوا خير قوس سهماً. فهذا اليوم الذي ليس قبله عقاب، ولا بعده عتاب.

خطب الخوارج

خطبة لقطري بن الفجاءة في ذمّ الدنيا

صعد قطري بن الفجاءة مِنبر الأزارقة ـ وهو أحد بني مازن بن عمرو بـن تميم ـ فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال:

أمّا بعد، فإني أحذركم الدنيا، فإنها حُلوة خضِرة، حُفَّت بالشهوات، وراقت بالقليل، وتحببت بالعاجلة، وغمرت بالآمال، وتحلَّت بالأماني وزيِّنت بالغرور؛ لا تدوم حسرتها، ولا تؤمن فجعتها؛ غدّارة ضرارة، وحائلة زائلة، ونافدة بائدة؛ لا تعدو ـ إذا [هي] تناهت إلى أمنيَّة أهل الرغبة فيها والرضا عنها ـ أن تكون كما قال الله عز وجل: ﴿كماءٍ أنزلْناه من السَّماءِ فاختلَط به نباتُ الأرضِ فأصبَح هَشِياً

تَذْرُوه الرِّياحُ وكان اللهُ على كلِّ شيءٍ مُقتدِراً﴾[1]. مع أن امرءًا لم يكن منها في حيْرة، إلا أعقبته بعدها عَبرة؛ ولم يَلْق من سرائها بطناً، إلا منحته من ضرائها ظهراً؛ ولم تطُلّه منها ديمةُ رخاء، إلا هطلتْ عليه مُزْنة[2] بلاء؛ وحريٌّ إذا أصبحتْ له منتصرة أنْ تمسي له خاذلةً متنكرة؛ وإنْ جانبٌ منها اعذوذب واحلولى، أمر عليه منها جانب فأوبا؛ وإن لَبس امرؤٌ من غضارتها ورفاهيتها نعَماً، أرهقتْه من نوائبها غمّاً؛ ولم يُمْس امرؤ منها في جَناح أمن، إلا أصبح منها في قوادم خوف؛ غرّارة، غرورٌ ما فيها؛ باقية، فانٍ ما عليها؛ لا خير في شيء من زادها إلا التقوى، من أقلّ منها استكثر مما يؤمِّنه، ومن استكثر منها استكثر مما يُوبقه[3]، وزال عما قليل عنه، استكثر مما يوبقه؛ كم واثق بها قد فجعتْه، وذي طمأنينة إليها قد صرعتْه، وكم من ذي اختيالٍ فيها قد خدعته؛ وكم من ذي أبَّهة فيها قد صيَّرته حقيراً وذي نخوة فيها قد ردّته ذليلاً، وذي تاج قد كبَّته[4] لليدين والفم؛ سلطانها دوَل[5]، وعيشها رنْق، وعذبُها أُجاج، وحلُوها مرّ، وغذاؤها سِمام، وأسبابها رمام[6] وقطافها سَلَع[7]؛ حيها بَعرَض موت، وصحيحها بعرض سقم، ومنيعها بعرَض اهتضام؛ مليكها مسلوب، وعزيزها مغلوب، وصحيحها وسليمها منكـوب؛ وحـائـزهـا وجـامعهـا محروب؛ مع أنّ من وراء ذلك سكرات الموت وزفراتِه، وهولَ المُطَّلع، والوقوف بين يدي الحَكَم العدل؛ ليجزيَ الذين أساءُوا بما عملوا ويجزيَ الذين أحسنوا بالحسنى.

ألستم في مساكن من كان أطول أعماراً، وأوضح آثاراً، وأعدّ عديداً، وأكثف جنوداً، وأعْتدَ عَتاداً، وأطول عماداً؟ تعبّدوا للدنيا أيَّ تعبد، وآثروها أي إيثار، وظعنوا عنها بالكُرْه والصَّغار؛ فهل بلغكم أنّ الدنيا سمحت لهم نفساً بفدية، وأغنت عنهم فيما أمّلتْهم به بخطب! بل أثْقلتهم بالفوادح، وضعضعتهم بالنوائب، وعفّرتهم

---

(١) سورة الكهف الآية ٤٥ .
(٢) المزن: السحاب يحمل الماء.
(٣) يوبقه: يهلكه.
(٤) كبّته: صرعته، وكبّ إناء: مَكبّهُ.
(٥) دول: أي لا يستقرّ لأحد بل يتداوله البعض لمن البعض.
(٦) رمام: بالية.
(٧) سلع: شجر مر.

للمناخر، وأعانت عليهم ريبَ المَنون، وعَقَرتهم بالمصائب؛ وقد رأيتم تنكُّرَها لمن دان لها وآثرها وأخلد إليها، حتى ظعنوا عنها لفراق الأبد إلى آخر الأمد. هل زوّدتهم إلا الشقاء، وأحلّتهم إلا الضنك، أو نوّرت لهم إلا الظلمة، وأعقبتهم إلا الندامة؟ أفهذه تُؤثِرون، أم عليها تَحرصون، أم إليها تطمئنون؟ يقول الله تبارك وتعالى: ﴿مَن كان يُريد الحياةَ الدنيا وزينتَها نُوَفِّ إليهم أعمالَهم فيها وهم فيها لا يبخَسون أُولئك الذين ليس لهم في الآخرةِ إلا النارُ وحَبِط ما صنعوا فيها وباطلٌ ما كانوا يعْملون﴾[1]؛ فبئست الدار لمن لم يتّهمها، ولم يكن فيها على وجل منها؛ اَعمَلوا وأنتم تعلمون أنكم تاركوها لا بدّ؛ فإنما هي كما نعت الله عز وجل: ﴿لَعِب ولهوٌ وزينة وتفاخُرٌ بينكم وتكاثُر في الأموال والأولاد﴾[2]. فاتّعظوا فيها بالذين يبنون بكل ريع آية يعبثون، ويتخذون مصانع لعلهم يخلدون، وبالذين قالوا: ﴿مَن أَشدُّ منّا قوةً﴾[3]؛ واتعِظوا بمن رأيتم من إخوانكم كيف حُملوا إلى قبورهم فلا يُدْعون ركباناً، وأُنزلوا [الأجداث] فلا يدعَون ضِيفاناً، وجُعل لهم من الضريح أكنان، ومن التراب أكْفان، ومن الرُّفات جيران؛ فهم جيرة لا يُجيبون داعياً، ولا يمنعون ضيْماً، إن أخصبوا لم يفرحوا، وإن قحِطوا لم يقنطوا، جمعٌ وهم آحاد، جيرة وهم أبعاد، متناءون وهم يُزارون ولا يزورون، حلماء قد ذهبتْ أضغانهم، وجهلاء قد ماتت أحقادهم، لا يخشى فجْعُهم، ولا يُرجى دفْعهم، وهم كمن لم يكن، قال الله تعالى: ﴿فتِلك مساكنُهم لم تُسْكن مِم بعدِهم إلا قليلاً وكنّا نحن الوارِثينَ﴾[4] استبدَلوا بظهر الأرض بطناً، وبالسعة ضيقاً، وبالآل غربة، وبالنور ظلمة، فجاءوها حفاةً عُراةً فرادى، غير أنْ ظعنوا بأعمالهم إلى الحياة الدائمة إلى خلود الأبد يقول الله تبارك وتعالى: ﴿كما بَدأْنا أوّلَ خلق نُعيدُه، وعْداً علينا إنّا كنّا فاعلينَ﴾[5]، فاحذروا ما حذركم الله، وانتفعوا بمواعظه، واعتصموا بحبله، عصَمَنا الله وإياكم

---

(١) سورة هود الآية ١٥ و ١٦ .

(٢) سورة الحديد الآية ٢٠ .   (٣) سورة فصلت الآية ١٥ .

(٤) سورة القصص الآية ٥٨ .   (٥) سورة الانبياء الآية ١٠٤ .

بطاعته، ورزقنا وإياكم أداء حقه. ثم نزل.

خطب لأبي حمزة بمكة

خطبهم أبو حمزة الشاري بمكة، فصعد المنبر متوكئاً على قوس عربية، فخطب خطبة طويلة، ثم قال:

يأهل مكة، تعيّرونني بأصحابي، تزعمون أنهم شباب، وهل كان أصحاب رسول الله ﷺ إلا شباباً؟ نعم الشباب مكتهلين، عَمِيَةٌ عن الشر أعينهم، بطيئة عن الباطل أرجلهم، قد نظرَ الله إليهم في آناء الليل مُنثنيةٌ أصلابُهم بمثاني القرآن، إذا مرّ أحدهم بآية فيها ذكر الجنة بكى شوقاً إليها، وإذا مر بآية فيها ذكرُ النار شهق شهقة كأن زفير جهنم في أذنيه، قد وصلوا كلالَ ليلهم بكلال نهارهم، أنضاءُ عِبادة، قد أكلت الأرض جباهَهم وأيديَهم وركَبَهم، مصفرة ألوانهم، ناحلة أجسامهم من كثرة الصيام وطول القيام، مستقلون لذلك في جنب الله، موفون بعهد الله، منجزون لوعد الله، [حتى] إذا رأوا سهام العدوّ قد فوِّقت[1]، ورماحهم قد أُشرعَت، وسيوفهم قد انتضيت، وبرقت الكتيبة ورعدت بصواعق الموت - استهانوا بوعيد الكتيبة لوعيد الله، فمضى لشاب منهم قدُماً حتى تختلف رجلاه على عنق فرسه، قد رُمِّلت[2] محاسن وجهه الدماء، وعفّر جبينه بالثرى، وأسرع إليه سباع الأرض، وانحطت عليه طير سماء؛ فكم من مُقْلة في منقار طائر، طالما بكى صاحبها من خشية الله، وكم من كفٍ بانت رقيق، قد فُلق بعمَد الحديد! رحمة الله على تلك الأبدان، وأدخل أرواحها الجنان.

ثم قال: الناس منا ونحن منهم، إلا عابدَ وثن، أو كفَرَة أهل الكتاب، وإماماً جائراً، أو شادّاً على عضده.

وخطبة أبي حمزة بالمدينة

قال مالك بن أنس رحمه الله: خطَبنا أبو حمزة خطبة شك فيها المستبصر وردّت المرتاب، قال:

---

(١) فوّق السهم: عمل له فوقاً، والفوق أي باحدى طرفي السهم ميل وانكسار. (٢) رمِّلت: لُطِّخت.

أوصيكم بتقوى الله وطاعته، والعمل بكتابه وسنة نبيه ﷺ، وصِلة الرحم، وتعظيم ما صَغرَت الجبابرة من حق الله، وتصغير ما عَظَّمَت من الباطل، وإماتة ما أحيَوا من الجور، وإحياء ما أماتوا من الحقوق، وأن يطاع الله ويعصى العباد في طاعته؛ فالطاعة لله ولأهل طاعة الله، ولا طاعة لمخلوق في معصية الخالق؛ ندعو إلى كتاب الله وسنة نبيه، والقسْم بالسوية، والعدل في الرعية، ووضع الأخماس في مواضعها التي أمر الله بها؛ إنا والله ما خرْجنا أشَراً[1] ولا بَطَراً[2] ولا لهواً ولا لعِباً؛ ولا لدولة مُلكٍ نريد أن نخوض فيها ولا لثأرٍ قد نيل منّا ؛ ولكننا لما رأينا الأرض قد أظلمت، ومعالم الجوْر قد ظَهَرت، وكثر الادّعاء في الدين، وعُمِل بالهوى، وعُطِّلت الأحكام، وقُتِل القائم بالقسط[3]، وعنِّف القائل بالحق ـ سمعْنا منادياً ينادي إلى الحق وإلى طريق مستقيم، فأجبنا داعيَ الله، فأقبلنا من قبائل شتى، قليلين مستضعفين في الأرض، فآوانا الله وأيدنا بنصره، فأصبحنا بنعمته إخواناً، وعلى الدين أعواناً.

يأهل المدينة، أوّلكم خير أوّل، وآخركم شرُّ آخر؛ إنكم أطعتم قراءكم وفقهاءكم فاختانوكم عن كتاب غير ذي عوج، بتأويل الجاهلين، وانتحال المبطلين؛ فأصبحتم عن الحق ناكبين[4]، أمواتاً غير أحياء وما تشعرون.

يأهل المدينة، يا أبناء المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان، ما أصح أصلكم، وأسقَمَ فرعَكم! كان آباؤكم أهلَ اليقين، وأهل المعرفة بالدين، والبصائر النافذة، والقلوب الواعية؛ وأنتم أهل الضلالة والجهالة؛ استعبدتكم الدنيا فأذلتكم والأمانيُّ فأضلتكم؛ فتح الله لكم باب الدِّين فسددتموه، وأغلق عنكم باب الدنيا ففتحتموه؛ سراعٌ إلى الفتنة، بطاءٌ عن السُّنّة[5]؛ عُمْي عن البرهان، صُمٌّ عن العِرفان؛

---

(١) أشراً: بطراً.

(٢) بطراً: أي أبطرته النعمة اختال وتكبرّ.

(٣) القسط: العدل.

(٤) ناكبين: مبتعدين.

(٥) السنة: الشريعة الاسلامية.

عبيد الطمع، حلفاء الجزع؛ نِعْم ما ورّثكم آباؤكم لو حفظتموه، وبئس ما تورِّثون أبناءكم إن تمسكوا به! نصر الله آباءكم على الحق، وخذلكم على الباطل؛ كان عدد آبائكم قليلاً طيِّباً وعددكم كثير خبيث؛ اتبعتم الهوى فأرْداكم واللهو فأسهاكم، ومواعظ القرآنَ تزجركم فلا تزدَجرون، وتعبِّركم فلا تعتبرون، سألناكم عن ولاتكم هؤلاء فقلتم: والله ما فيهم الذي يعدل؛ أخذوا المال من غير حلّه، فوضعوه في غير حقه؛ وجاروا في الحكم، فحكموا بغير ما أنزل الله؛ واستأثروا بفيئنا؛ فجعلوه دولة بين الأغنياء منهم، وجعلوا مقاسمنا وحقوقنا في مهور النساء وفروج الإماء. وقلنا لكم: تعالوْا إلى هؤلاء الذين ظلمونا وظلموكم، وجاروا في الحكم فحكموا بغير ما أنزل الله. فقلتم: لا نَقْوَى على ذلك، ووددْنا أنا أصبنا من يكفينا، فقلنا: نحن نكفيكم. ثم الله راعٍ علينا وعليكم، إن ظفرنا لنُعطينَّ كلَّ ذي حق حقه؛ فجئنا فاتقينا الرماح بصدورنا، والسيوف بوجوهنا، فعرضتم لنا دونهم، فقاتلتمونا، فأبعدكم الله؛ فوالله لو قلتم لا نعرف الذي تقول ولا نعلمه لكان أعذر؛ مع أنه لا عُذْر للجاهل، ولكن أبى الله إلا أن يَنطق بالحق على ألسنتكم ويأخذكم به في الآخرة.

ثم قال: الناس منا ونحن منهم، إلا ثلاثة: حاكماً جاء بغير ما أنزل الله، أو متبعاً له، أو راضياً بعمله.

أسقطنا في هذه الخطبة ما كان من طعنه على الخلفاء، فإنه طعن فيها على عثمان وعلي بن أبي طالب رضوان الله عليهما، وعمر بن عبد العزيز، ولم يترك من جميع الخلفاء إلا أبا بكر وعمر، وكفَّر مَن بعدهما، فلعنة الله عليه؛ إلا أنه ذكر من الخلفاء رجلاً أصغى إلى الملاهي والمعازف وأضاع أمر الرعية فقال: كان فلان ابن فلان من عدد الخلفاء عندكم، وهو مضيِّع للدين والدنيا، اشتُرِي له بردان بألف دينار ائتزر بأحدهما والتحف بالآخر، وأقعد حبَّابة عن يمينه، وسلامة عن يساره، فقال: يا حبابة غنيني، ويا سلامة اسقيني؛ فإذا امتلأ سكراً وازدهى طرباً شق ثوبيه وقال: ألا أطير؟ فَطِرْ إلى النار وبئس المصير! فهذه صفة خلفاء الله تعالى.

وخطبة لأبي حمزة

أما بعد ، فإنك في ناشيء فتنة ، وقائم ضلالة قد طال جثومها ، واشتدّ عليك غمومُها ، وتلوّتْ مصايد عدوّ الله ، وما نصب من الشرك لأهل الغفلة عما في عواقبها ، فلن يَهُدّ عمودَها ، ولن يَنزع أوتادَها ، إلا الذي بيده مُلْك الأشياء وهو الله الرحمن الرحيم : ألا وإن لله بقايا من عباده لم يتحيروا في ظلمها ، ولم يشايعوا أهلها على شبهها ؛ مصابيح النور في أفواههم تزهو ، وألسنتُهم بحجج الكتاب تَنْطِق ؛ ركبوا مَنْهج السبيل ، وقاموا على العلَم الأعظم ، هم خصماء الشيطان الرجيم ، بهم يُصلح الله البلاد ، ويدفع عن العباد ؛ طوبى لهم وللمستصبحين بنورهم ، وأسأل الله أن يجعلنا منهم .

من أرتج[1] عليه في خطبته

أول خطبة خطبها عثمان بن عفان أرتج عليه ؛ فقال : أيها الناس ، إن أول كلّ مركب صعب ؛ وإن أعِش تأتكم الخطب على وجهها ؛ وسيجعل الله بعد عسر يُسراً إن شاء الله .

ولما قدم يزيد بن أبي سفيان الشام والياً عليها لأبي بكر ، خطب الناس فأرتج عليه ؛ فعاد إلى الحمد لله ، ثم أرتج عليه فعاد إلى الحمد ثم أرتج عليه فقال : يأهل الشام عسى الله أن يجعل بعد عُسر يسراً ، وبعد عيٍّ بياناً ؛ وأنتم إلى إمام فاعل أحوج منكم إلى إمام قائل . ثم نزل ، فبلغ ذلك عمرو بن العاص فاستحسنه .

صعد ثابت قطنة منبر سجستان ، فقال : الحمد لله . ثم أرتج عليه ؛ فنزل وهو يقول :

فإنْ لا أكـنْ فيهـم خطيبـاً فـإنني   بسيْفـي إذا جَـدّ الوغَـى لخطيـبُ

فقيل له : لو قلتها فوق المنبر لكنت أخطب الناس .

---

(١) أرتج عليه : استغلق عليه الكلام .

وخطب معاوية بن أبي سفيان لما ولي، فَحَصِر[1]، فقال: أيها الناس، إني كنت أعددت مقالاً أقوم به فيكم فحُجِبْت عنه؛ فإن الله يحول بين المرء وقلبه؛ كما قال في كتابه؛ وأنتم إلى إمام عدلٍ، أحوج منكم إلى إمام خطيب؛ وإني آمركم بما أمر الله به ورسوله، وأنهاكم عما نهاكم الله عنه ورسوله؛ وأستغفر الله لي ولكم.

وصعد خالد بن عبد الله القسري المنبر فأرتج عليه، فمكث ملياً لا يتكلم؛ ثم تهيأ له الكلام فتكلم، فقال: أما بعد، فإن هذا الكلام يجيء أحياناً ويعزب[2] أحياناً، فيسح عند مجيئه سَيْبه[3]، ويعزّ عند عزوبه طلبه؛ ولربما كوبِر فأبى، وعولج فنأى؛ فالتأني لمجيِّه، خير من التعاطي لأبيِّه، وتركُهُ عند تنكره، أفضل من طلبه عند تعذره؛ وقد يُرْتَج على البليغ لسانه، ويُخلَج من الجريِّ جنانه؛ وسأعود فأقول إن شاء الله.

وصعد أبو العنبس منبراً من منابر الطائف، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أما بعد... فأُرتج عليه، فقال: أتدرون ما أريد أن أقول لكم؟ قالوا: لا. قال: فما ينفعني ما أريد أن أقول لكم؟ ثم نزل.

فلما كان في الجمعة الثانية صعد المنبر وقال: أما بعد؛ فأُرتج عليه؛ فقال: أتدرون ما أريد أن أقول لكم؟ قالوا: نعم. قال: فما حاجتكم إلى أن أقول لكم ما علمتم؟ ثم نزل.

فلما كانت الجمعة الثالثة قال: أما بعد؛ فأرتج عليه، قال: أتدرون ما أريد أن أقول لكم؟ قالوا: بعضنا يدري، وبعضنا لا يدري. قال: فليخبر الذي يدري منكم الذي لا يدري! ثم نزل.

وأتى رجل من بني هاشم اليمامة، فلم ا صعد المنبر أُرتج عليه؛ فقال: حيّا الله هذه الوجوه وجعلني فِداءَها: قد أمرتُ طائفي بالليل ألا يرى أحداً إلا أتاني به؛ وإن

(١) الحصر: العيُّ في الكلام.

(٢) يعزب: يغيب. (٣) يسحّ سيبه: أي يهطل مطره.

كنت أنا هو! ثم نزل.

وكان خالد بن عبد الله إذ تكلم يظنّ الناس أنه يصنع الكلام، لعذوبة لفظه وبلاغة منطقه؛ فبينا هو يخطب يوماً إذ وقعت جرادة على ثوبه، فقال: سبحان مَن الجرادة مِن خلقه، أدمج قوائمها وطرفها وجناحيها، وسلطها على ما هو أعظم منها.

خطب عبد الله بن عامر بالبصرة في يوم أضحى، فأُرتج عليه، فمكث ساعة ثم قال: والله لا أجمع عليكم عِيّاً ولؤماً. من أخذ شاة من السوق فهي له وثمنُها عليَّ.

قيل لعبد الملك بن مروان: عَجِل عليك المشيب يا أمير المؤمنين. فقال: كيف لا يعجَل وأنا أعرض عقلي على الناس في كل جمعة مرة أو مرتين.

خطب النكاح

خطب عثمان بن عَنبسة بن أبي سفيان إلى عُتبة بن أبي سفيان ابنته، فأقعده على فخذه، وكان حدثاً، فقال:

أقرب قريب، خَطب أحبَّ حبيب، لا أستطيع له ردّاً، ولا أجد من إسعافه بُدّاً، وقد زوّجتكها وأنت أعز عليَّ منها، وهي ألصق بقلبي منك؛ فأكرِمْها يعْذُب على لساني ذكرك، ولا تُهنْها فيصغُر عندي قدرك؛ وقد قرّبتُك مع قرْبك. فلا تُبعدْ قلبي من قلبك.

وخطبة نكاح

سوار القاضي:

العتبي قال: زوّج شبيب بن شيبة ابنه بنتَ سوار القاضي، فقلنا: اليوم يعبُّ عُبابه! فلما اجتمعوا تكلم فقال:

الحمد لله، وصلى الله على رسول الله، أمّا بعد، فإن المعرفة منا ومنكم بنا وبكم، تمنعنا من الإكثار، وإن فلاناً ذَكر فلانة.

وخطبة نكاح

العتبي قال: كان الحسن البصري يقول في خطبة النكُاح، بعد الحمد لله والثناء عليه:

أمّا بعد، فإن الله جمع بهذا النكاح الأرحام المنقطعة، والأنساب المتفرقة، وجعل ذلك في سُنَّة من دينه ومنهاج [واضحٍ] من أمره؛ وقد خَطب إليكم فلان، وعليه من الله نعمة، وهو يبذل من الصداق كذا فاستخيروا الله وردّوا خيراً يرحمكم الله.

وخطبة نكاح

العتبي قال: حضرتُ ابنَ الفُقيْر خَطب على نفسه امرأة من باهلة، فقال:

وما حسَنٌ أن يَمدح المرءُ نفسهُ ... ولكنّ أخْلاقاً تُذمّ وتُمدحُ

وإن فلانة ذكرت لي.

وخطبة نكاح

عمر بن عبد العزيز:

العتبي قال: يستحب للخطاب إطالة الكلام، وللمخطوب إليه تقصيره؛ فخطب محمد بن الوليد [بن عتبة بن أبي سفيان] إلى عمر بن عبد العزيز أخته، فتكلم محمد بكلام طويل، فأجابه عمر:

الحمد لله ذي الكبرياء، وصلى الله على محمد خاتم الأنبياء، أمّا بعد، فإن الرغبة منك دعتْك إلينا، والرغبة فيك أجابتك منا، وقد أحسنَ بك ظنّاً مَن أودعك كريمته، واختارك ولم يختر عليك، وقد زوّجتها على كتاب الله: إمساك بمعروف أو تسريح بإحسان.

وخطبة نكاح

خطب بلال إلى قوم من خثعم لنفسه ولأخيه، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال:

أنا بلال وهذا أخي، كنا ضالَّيْن فهدانا الله، عبدين فأعتَقَنا الله، فقيرين فأغنانا الله؛ فإن تزوِّجونا فالحمد لله، وإن تردّونا فالمستعان الله.

وقال عبد الملك بن مروان لعمر بن عبد العزيز:

قد زوّجك أمير المؤمنين ابنته فاطمة. قال: جزاك الله يا أمير المؤمنين خيراً، فقد أجزلتَ العطية، وكفَيت المسألة.

نكاح العبد

الأصمعي قال: زوّج خالد بن صفوان عبده من أمته، فقال له العبد: لو دعوتَ الناس وخطبتَ! قال: ٱدعُهم أنت. فدعاهم العبد، فلما اجتمعوا تكلم خالد بن صفوان فقال:

إن اللهَ أعظمُ وأجلُّ من أن يُذكر في نكاح هذين الكلبين! وأنا أُشهدكم أني زوّجتُ هذه الزانية، من هذا ابنِ الزانية.

خطب الأعراب

الأصمعي قال: خطب أعرابي فقال: أمّا بعد، فإن الدنيا دار ممرّ، والآخرةَ دار مقرّ؛ فخذوا من ممرّكم لمقرّكم، ولا تهتكوا أستاركم عند من لا تخفى عليه أسراركم، وأخرجوا الدنيا من قلوبكم قبل أن تخرج منها أبدانكم، ففيها حَييتم، ولغيرها خُلقتم، اليوم عمل بلا حساب، وغداً حساب بلا عمل، إنّ الرجل إذا هلك قال الناس: ما ترك؟ وقالت الملائكة: ما قدَّم؟ فقدِّموا بعضاً يكون لكم قرضاً، ولا تتركوا كُلا فيكون عليكم كَلاًّ، أقول قولي هذا والمحمودُ الله والمصلّى عليه محمد، والمدعوُّ له الخليفة، ثم إمامكم جعفر. قوموا إلى صلاتكم.

وخطبة لأعرابي

الحمد لله الحميد المستحمد، وصلى الله على النبي محمد، أمّا بعد، فإنّ التعمق في

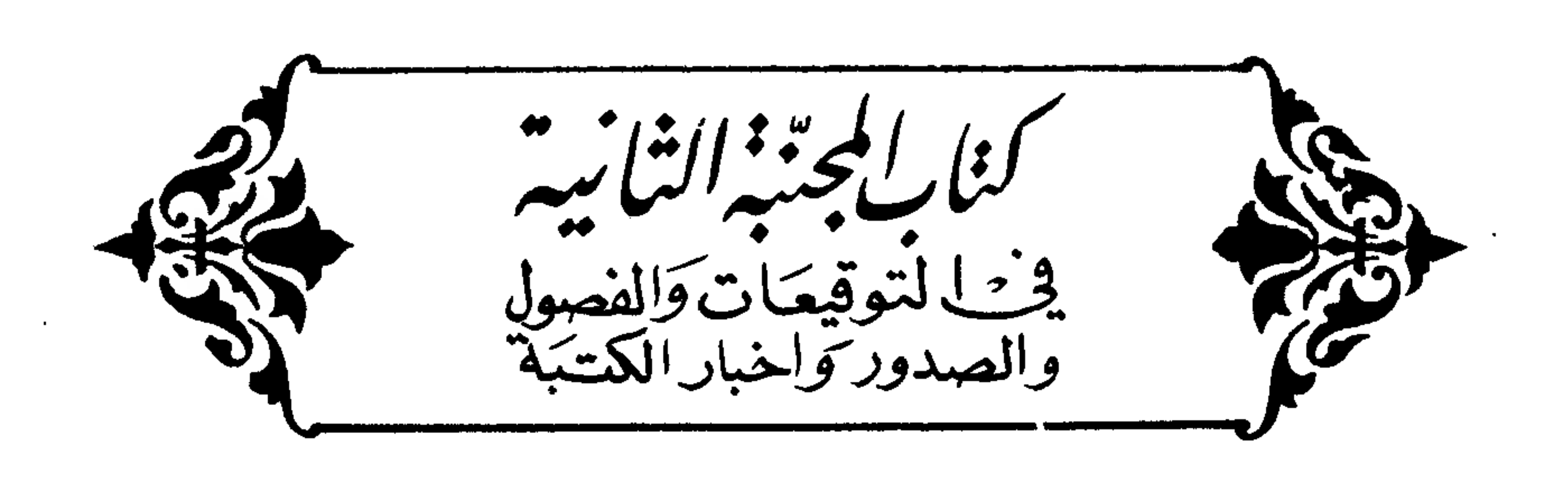
ارتجال الخطب لممكن، والكلام لا يَثني حتى يُنثنَى عنه، والله تبارك وتعالى لا يُدرِك واصف كُنْه صفته، ولا يبلغ خطيب منتهَى مدْحته، له الحمد كما مدح نفسه، فانهضوا إلى صلاتكم. ثم نزل فصلى.

خطبة أعرابي لقومه

الحمد لله، وصلى الله على النبي المصطفى، وعلى جميع الأنبياء، ما أقبح بمثلي أن ينهى عن أمر ويرتكبه، ويأمر بشيء ويجتنبه، وقد قال الأوّل:

ودعْ ما لُمت صاحبَه عليه ... فذمٌّ أنْ يَلومك مَن تلومُ

ألهمنا الله وإياكم تقواه، والعملَ برضاه.



فرش الكتاب

قال أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه: قد مضى قولنا في الخطَب وفضائلها وذكر طِوالِها وقِصارها، ومقامات أهلها؛ ونحن قائلون بعون الله وتوفيقه في التوقيعات، والفصول، والصدور، وأدوات الكتابة، وأخبار الكتاب، وفضل الإيجاز؛ إذ كان أشرفُ الكلام كلِّه حُسناً وأرفعُه قدْراً، وأعظَمُه من القلوب مَوْقِعاً، وأقلَّه على اللسان عَمَلاً: ما دل بعضُه على كله، وكفى قليله عن كثيره، وشهد ظاهره على باطنه، وذلك أن تقلّ حروفه وتكْثُرَ معانيه؛ ومنه قولهم: رُبَّ إشارةٍ أبْلَغُ مِنْ لفْظٍ. أليس أن الإشارة تبين ما لا يبينه الكلام، وتبلغ ما يقصر عنه اللسان؟ ولكنها إذا قامت مقام اللفظ وسدت مسدَّ الكلام، كانت أبلغ؛ لخفة مؤنتها، وقلة محملها.

قال ابرويز لكاتبه: اَجْمَعِ الكثيرَ مما تريد من المعنى، في القليل مما تقول. يحضُّهُ على الإيجاز. وينهاه عن الإكثار في كتبه، ألا تراهم كيف طعنوا على الإسهاب والإكثار، حتى كان بعضُ الصحابة يقول: أعوذ بالله من الإسهاب؛ قيل له: وما الإسهاب؟ قال: المُسْهب الذي يتخلل بلسانه تخلُّلَ الباقر[1]، ويشول به شولان الرَوق[2].

وقال النبي ﷺ: «أبغضُكُم إليَّ الثرثارُون المُتشَدقون» يريد: أهل الإكثار والتقعير في الكلام.

(١) الباقر: جماعة البقر. (٢) الروق: القرن والرمح.

العرب والإيجاز:

ولم أجد أحداً من السلف يذمُّ الإيجاز ويقدح فيه، ولا يعيبه ويطعن عليه وتحب العرب التخفيف والحذف، ولهربها من التثقيل والتطويل، كان قصُر الممدود أحب إليها من مدِّ المقصور، وتسكينُ المتحرك أخفَّ عليها من تحريك الساكن لأن الحركةَ عمل والسكونَ راحة.

ومن كلام العرب الاختصار والإطناب، والاختصارُ عندهم أحمدُ في الجملة، وإن كان للإطناب موضع لا يصلحُ إلا له، وقد توميءُ إلى الشيء فتستغني عن التفسير بالإيماء، كما قالوا: لَمحَةٌ دالَّة.

جعفر وكتابه لابن مسعدة:

كتب عمرو بن مسعدة إلى ضمرة الحروري كتاباً، فنظر فيه جعفر بن يحيي فوقع في ظهره؛ إذا كان الإكثار أبلغ كان الإيجاز تقصيراً، وإذا كان الإيجاز كافياً كان الإكثار عِيّاً.

مروان وكتاب لقائد:

وبعث إلى مروان بن محمد قائد من قواده بغلام أسود، فأمر عبد الحميد الكاتبَ أن يكتب إليه يلحاه[1] ويعنفه، فكتب وأكثر، فاستثقل ذلك مروان، وأخذ الكتاب فوقع في أسفله: أما إنك لو علمت عدداً أقل من واحد، ولوناً شَرّاً من أسود، لبعثت به.

ربيعة الرأي وأعرابي:

وتكلم ربيعة الرأي فأكثر، وأعجبه إكثاره، فالتفت إلى أعرابيّ إلى جنبه فقال له: ما تعدون البلاغة عندكم يا أعرابي؟ قال له: حذف الكلام، وإيجاز الصواب. قال: فما

(١) يلحاه: يلومه ويعذله.

تعدُّون العيّ؟ قال: ما كنت فيه منذُ اليوم! فكأنما ألقمه حجراً.

أول من وضع الكتابة

آدم عليه السلام:

أول من وضع الخط العربي والسرياني وسائر الكتب، آدم ﷺ، قبل موته بثلثمائة سنة؛ كتبه في الطين ثم طبخه؛ فلما انقضى ما كان أصاب الأرضَ من الغرق، وجَدَ كلٌّ قوم كتابَهم فكتبوا به، فكان إسماعيلُ عليه الصلاة والسلام وجد كتابَ العرب.

وروي عن أبي ذَر عن النبي ﷺ أن إدريس أول من خط بالقلم بعد ادم ﷺ.

إسماعيل عليه السلام:

وعن ابن عباس أن أول من وضع الكتابة العربية إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام وكان أول من نطق بها، فوضعت على لفظه ومنطقه.

قوم من القدماء:

وعن عمرو بن شبة بأسانيده، أن أول من وضع الخط العربي، أبجدُ وهوز وحطي وكلمن وسعفص وقرشت؛ وهم قوم من الجبلّة[1] الآخرة، وكانوا نزولاً مع عدنان ابن أدد، وهم من طسم وجديس.

وحكى أنهم وضعوا الكتب على أسمائهم، فلما وجدوا حروفاً في الألفاظ ليست في أسمائهم ألحقوها بهم وسموها الروادف، وهي: الثاء والخاء والذال والضاد والظاء والغين، على حسب ما يلحن في حروف الجُمَّل.

---

(١) الجبلّة: الأمة.

بنو إسماعيل:

وعنه أن أول من وضع الخط: نفيس، ونصر، وأتيْما، وبنو إسماعيل بن إبراهيم، ووضعوه متصل الحروف بعضها ببعض حتى فرقه نبت وهميسع وقيذر.

طيء:

وحكوا أيضاً أن ثلاثة نفر من طيء اجتمعوا ببقعة، وهم مرامر بن مرة، وأسلم ابن سِدرة، وعامر بن جَدَرة؛ فوضعوا الخط وقاسوا هجاء العربية على هجاء السريانية، فتعلمه قومٌ من الأنبار.

في الإسلام:

وجاء الإسلام وليس أحد يكتب بالعربية غير سبعة عشر إنساناً، وهم: علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، وعمر بن الخطاب، وطلحة بن عبيد الله، وعثمان، وأبو عبيدة بن الجراح، وأبان بن سعيد بن العاص، وخالد بن سعيد أخوه، وأبو حذيفة ابن عتبة، ويزيد بن أبي سفيان، وحاطب بن عمرو بن عبد شمس، والعلاء بن الحضرمي وأبو سلمة بن عبد الأسد، وعبد الله بن سعد بن أبي سَرح وحُويطب بن عبد العزى، وأبو سفيان بن حرب، ومعاوية ولده، وجُهيم بن الصلت بن مَخرمة.

استفتاح الكتب

إبراهيم بن محمد الشيباني قال: لم تزل الكتب تستفتح: باسمك اللهم، حتى أنزلت سورة هود وفيها: ﴿بسمِ اللهِ مَجْراها ومُرْساها﴾[1] فكُتب بسم الله؛ ثم نزلت بسورة بني إسرائيل: ﴿قُلِ ٱدْعوا الله أوِ ٱدعوا الرَّحمٰن﴾[2]، فكُتِبَ بسم الله الرحمن؛ ثم نزلت بسورة النمل: ﴿إنَّه مِن سُليمانَ وإنه بسْمِ الله الرَّحْمن الرحيم﴾[3] فاستفتح بها رسول الله ﷺ وصارت سنَّة.

---

(١) سورة هود الآية ٤١ . (٢) سورة الاسراء الآية ١١٠ . (٣) سورة النمل الآية ٣٠ .

وكان رسول الله ﷺ يكتب إلى أصحابه وأمراء جنوده: من محمد رسول الله إلى فلان.

وكذلك كانوا يكتبون إليه: يبدءون بأنفسهم، فممن كتب إليه وبدأ بنفسه أبو بكر، والعلاء بن الحضرمي، وغيرهما؛ وكذلك كُتب الصحابة والتابعين؛ ثم لم تزل حتى ولي الوليد بن عبد الملك، فعظم الكتاب وأمر أن لا يكاتبه الناس بمثل ما يكاتب به بعضهم بعضاً، فجرت به سنة الوليد إلى يومنا هذا، إلا ما كان من عمر بن عبد العزيز ويزيد الكامل، فإنهما عملا بسنة رسول الله ﷺ، ثم رجع الأمر إلى رأي الوليد، والقوم عليه إلى اليوم.

ختم الكتاب وعنوانه

سبب ذلك:

وأما ختم الكتاب وعنوانه فإن الكتب لم تزل مشهورة غير مُعَنْوَنَة ولا مختومة حتى كُتبت صحيفة المتلمس، فلما قرأها ختمت الكتب وعنونت؛ وكانت يؤتى بالكتاب فيقال: مَن عُنيَ به؟ فسمى عنواناً.

وقال حسان بن ثابت في قتل عثمان:

ضحَّوْا بأَشْمطَ عنوانُ السُّجُود بـه   يُقطِّـعُ الليْـل تَسْبيحـاً وقُـرْآنـا[1]

وقال آخر:

وحاجةٌ دون أُخْرى قد سَمَحْتَ بها   جَعَلتهـا للذي أحبَبْـتْ عُنْـوانـا

وقال أهل التفسير في قول الله تعالى: ﴿إنِّي ألقِـي إليَّ كتابٌ كريمٌ﴾[2]: أي مختوم؛ إذ كانت كرامة الكتاب خَتْمُه.

---

(١) الأشمط: المختلط سواد شعره ببياض.   (٢) سورة النمل الآية ٢٩.

تأريخ الكتاب

سبب ذلك:

لا بد من تأريخ الكتاب؛ لأنه لا يدل على تحقيق الأخبار وقربِ عهد الكتاب وبُعْدِه إلا بالتأريخ، فإذا أردت أن تؤرِّخ كتابك فانظر إلى ما مضى من الشهر وما بقي منه، فإن كان ما بقي أكثر من نصف الشهر، كتبت: لكذا وكذا ليلة مضتْ من شهر كذا؛ وإن كان الباقي أقل من النصف جعلت مكان مضت: بَقِيَتْ.

وقد قال بعض الكتاب: لا تكتب إذا أرَّخت إلا بما مضى من الشهر؛ لأنه معروف وما بقي منه مجهول؛ لأنك لا تدري أيتم الشهر أم لا.

سحاءة الكتاب وطريقة لابن طاهر:

ولا تجعل سِحاءة[1] كتابك غليظةً، إلا في كتب العهود والسجلات التي يُحتاج إلى بقاء خواتمها وطوابعها؛ فإن عبد الله بن طاهر كتب إليه بعض عمّاله على العراق كتاباً، وجعل سحاءته غليظة، فأمر بإشخاص الكاتب إليه، فلما ورد عليه قال له عبد الله بن طاهر: إن كانت معك فأس فاقطع ختم كتابك ثم ارجع إلى عملك، وإن عدت إلى مثلها عدنا إلى إشخاصك لقطعها؛ ولا تعظم الطينة[2] جداً، وطِنْ كتبَك بعد كَتْبكَ عناوينَها، فإن ذلك من أدب الكاتب، فإن طِينَتْ قبل العنوان فأدب منتحل.

تفسير الأمي

فأما الأمِّيُّ فمجازه على ثلاثة وجوه: قولهم أمي؛ منسوب إلى أمة رسول الله ﷺ. ويقال: رجل أُمِّي؛ إذا كان من أمّ القرى، قال الله تعالى: ﴿لِتُنْذِرَ أُمَّ القُرى ومَنْ

---

(١) سحاءة القرطاس: ما سمى، أي قشر وأخذ.

(٢) يقال طان فلان الكتاب: ختمه بالطين كما يختم بالشمع.

حَوْلَها﴾[1]، وأما قوله تعالى: ﴿النبيِّ الأمِّيِّ﴾[2]، فإنما أراد به الذي لا يقرأ ولا يكتب، والأمِّيَّة في النبي ﷺ فضيلة: لأنها أدلُّ على صدق ما جاء به أنه من عند الله لا من عنده، وكيف يكون من عنده وهو لا يكتب ولا يقرأ ولا يقول الشعر ولا ينشده؟

المأمون والمنقرى:

قال المأمون لأبي العلاء المنقرى: بلغني أنك أُمِّيٌّ، وأنك لا تقيم الشعر. وأنك تلحن في كلامك! فقال: يا أمير المؤمنين، أما اللحن فربما سبقني لساني بالشيء منه، وأما الأمِّيَّة وكسر الشعر فقد كان النبي ﷺ أُمِّياً، وكان لا يُنْشدُ الشعر. فقال المأمون: سألتك عن ثلاثة عيوب فيك فزدتني رابعاً، وهو الجهل، أما علمت يا جاهل أن ذلك في النبي ﷺ فضيلة وفيك وفي أمثالك نقيصة.

شرف الكتاب وفضلهم

فمن فضلهم قول الله تعالى على لسان نبيه ﷺ: ﴿علم بالقَلم، علَّم الإنسانَ ما لم يَعلَمْ﴾[3]، وقوله تعالى: ﴿كرَاماً كاتبينَ﴾[4]، وقوله: ﴿بِأيدي سَفَرَةٍ كِرام بَرَرَةٍ﴾[5].

وللكتَّاب أحكام بَيِّنَة كأحكام القضاة يُعرفون بها ويَنْسبون إليها ويتقلدون التدبير وسياسة الملك دون غيرهم، وبهم يقام أَوَدُ الدين وأُمور العالمين.

كتاب النبي ﷺ:

فمن أهل هذه الصناعة: علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، وكان مع شرفه ونبله وقرابته من رسول الله ﷺ يكتب الوحي، ثم أفضت عليه الخلافة بعد الكتابة،

(١) سورة الأنعام الآية ٩٢.
(٢) سورة الأعراف الآية ١٥٦.
(٣) سورة العلق الآية ٥.
(٤) سورة الانفطار الآية ١١.
(٥) سورة عبس الآية ١٥ و ١٦.

وعثمان بن عفان ـ كانا يكتبان الوحي ، فإن غابا كتب أُبيٌّ بن كعب وزيد بن ثابت ، فإن لم يشهد واحد منهما ، كتب غيرهما .

وكان خالد بن سعيد بن العاص ، ومعاوية بن أبي سفيان ، يكتبان بين يديه في حوائجه .

وكان المغيرةُ بن شعبة ، والحصين بن نمير ، يكتبان ما بين الناس ، وكانا ينوبان عن خالد ومعاوية إذا لم يحضرا .

وكان عبد الله بن الأرقم بن عبد يغوث ، والعلاء بن عقبة ، يكتبان بين القوم في قبائلهم ومياههم ، وفي دور الأنصار بين الرجال والنساء .

وكان ربما كتب عبد الله بن الأرقم إلى الملوك عن النبي ﷺ وعلى آله .

وكان حذيفة بن اليمان يكتب خرص[1] ثمار الحجاز .

وكان زيد بن ثابت يكتب إلى الملوك مع ما كان يكتبه من الوحي ؛ وقيل إنه تعلم بالفارسية من رسول كسرى ، وبالرومية من حاجب النبي ﷺ ، وبالحبشية من خادم النبي ﷺ ، وبالقبطية من خادمه عليه الصلاة والسلام .

وروي عن زيد بن ثابت قال : كنت أكتب بين يدي رسول الله ﷺ يوماً ، فقام لحاجة ، فقال لي : ضع القلم على أذنك ، فإنه أذكر للمملي وأفضى للحاجة .

وكان معيقيب بن أبي فاطمة يكتب مغانم النبي ﷺ .

وكان حنظلة بن الربيع بن المرقع بن صيفي ، ابن أخي أكثم بن صيفي الأسَيِّدي ، خليفة كل كاتب من كتاب النبي ﷺ إذا غاب عن عمله ؛ فغلب عليه اسم الكاتب ، وكان يضع عنده خاتمه ، فقال له : الزمني وأذكرني بكل شيء أنا فيه ؛ وكان لا يأتي على مال ولا طعام ثلاثة أيام إلا أذكره ؛ فلا يبيت ﷺ وعنده منه شيء .

(١) الخرص : حزر ما على النخل من الرطب وما على الكرم من العنب زبيبا .

ومرّ رسول الله ﷺ يوماً بامرأة مقتولة يوم فتح مكة، فقال لحنظلة: آلحق خالداً وقل له، لا تقتلنّ ذرية ولا عَسيفاً[1]. ومات حنظلة بمدينة الرُّها، فقالت فيه امرأة؛ وحُكي أنه من قول الجن وهذا محال:

يا عجبَ الدهرِ لمحزونة تَبكي على ذي شَيْبةٍ شاحِب
إن تَسألِيني اليوْم ما شفَّني أُخبِرك قيلاً ليس بالكاذب
إن سَوادَ العيْن أوْدى به وجْدي على حنظلةَ الكاتب

لما وجّه عمر بن الخطاب رضي الله عنه سعداً إلى العراق وكتب إليه أن يسبّع القبائل أسباعاً، ويجعل على كل سُبُع رجلاً، فعل سعد ذلك، وجعل السُّبُع الثالث تميماً وأسداً وغطفان وهوازن، وأميرهم حنظلة بن الربيع الكاتب. وكان أحد من سُيِّر إلى يزدجرد يدعوه إلى الإسلام.

وكان الحصين بن نمير من بني عبد مناة شهد بيعة الرضوان، ودعاه رسول الله ﷺ ليكتب صلح الحديبية فأبى ذلك سُهيل بن عمرو، وقال: لا يكتب إلا رجل منا. فكتب علي بن أبي طالب.

وروي عنه عليه السلام أنه قال: لما جاء سهيل بن عمرو ونحن مع رسول الله ﷺ بالحديبية، حين صالح قريشاً، كان عبد الله بن سعد بن أبي سرح يكتب له، ثم ارتد ولحق بالمشركين، وقال: إن محمداً يكتب بما شئت! فسمع ذلك رجل من الأنصار، فحلف بالله إن أمكنه الله منه ليضربنّه ضرباً بالسيف؛ فلما كان يوم فتح مكة جاء به عثمان ـ وكان بينهما رَضَاع ـ فقال: يا رسول الله هذا عبد الله قد أقبل تائباً. فأعرض عنه، والأنصاري مُطيف به ومعه سيفه، فمدّ رسول الله ﷺ يده وبايعه، وقال للأنصاري: لقد تلَوَّمْتُك[2] أن توفِيَ بنذرك! فقال: هلا أوْمَضْتَ إليّ! فقال ﷺ: لا ينبغي لي أن أُومِض[3].

(١) العسيف: الأجير. (٢) التلوم: الانتظار والتلبث.
(٣) يقال: أو مض فلان: أي اشار اشارة خفية رمزاً أو غمزا.

أيام أبي بكر رضي الله عنه

كان يكتب لأبي بكر عثمان بن عفان، وزيد بن ثابت.

وروي أن عبد الله بن الأرقم كتب له، وأن حنظلة بن الربيع كتب له أيضاً.

ولما تقلد الخلافة دعا بزيد بن ثابت، وقال له: أنت شاب عاقل لا نتهمك على رسول الله ﷺ، وكنت تكتب الوحي: فتتَبع القرآن فاجمعه وفيه يقول حسان بن ثابت:

فَمنْ للقوافِي بعد حَسّان وابنِه ... ومَن للمثاني بعد زيدِ بن ثابت

أيام عمر بن الخطاب رضي الله عنه

كتب لعمر بن الخطاب: زيد بن ثابت، وعبد الله بن أرقم، وعبد الله بن خلف الخزاعي - أبو طلحة الطلحات - على ديوان البصرة.

وكتب له على ديوان الكوفة أبو جَبيرة بن الضحاك، فلم يزل عليه إلى أن ولى عُبيد الله بن زياد، فعزله وولى مكانه حبيب بن سعد القيسي.

أيام عثمان بن عفان رضي الله عنه

كان يكتب لعثمان مروان بن الحكم، وكان عبد الملك بن مروان يكتب له على ديوان المدينة، وأبو حبترة على ديوان الكوفة، وعبد الله بن الأرقم على بيت المال، وكان أبو غطفان بن عوف بن سعد بن دينار من بني همدان، من قيس بن عيلان - يكتب له أيضاً، وكان يكتب له أهيب مولاه، وحُمران مولاه.

أيام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه

كان يكتب له سعيد بن نمران الهمداني، ثم ولي قضاء الكوفة لابن الزبير؛ وكان عبد الله بن جعفر يكتب له؛ وروي أن عبد الله بن حسن كتب له؛ وكان عبد الله ابن أبي رافع يكتب له، وسماك بن حرب.

[أيام بني أمية]

كتاب بني أمية:

وكان يكتب لمعاوية بن أبي سفيان: سعيد بن أنس الغساني.

وكاتب يزيد بن معاوية: سرجون بن منصور.

وكاتب مروان بن الحكم: حميد بن عبد الرحمن بن عوف.

وكانت عبد الملك بن مروان: سالم مولاه، ثم كتب له عبد الحميد بن يحيي، وهو عبد الحميد الأكبر.

وكاتب الوليد بن عبد الملك: جناح مولاه.

وكاتب سليمان بن عبد الملك: عبد الحميد الأصغر.

وكاتب عمر بن عبد العزيز: الليث بن أبي رقية مولى أم الحكم؛ وكتب له رجاء ابن حيوة وخص به؛ وإسماعيل بن أبي حكم مولى الزبير؛ وسليمان بن سعد الحسني على ديوان الخراج. وكان عمر يكتب كثيراً بيده.

وكاتب يزيد بن عبد الملك: عبد الحميد أيضاً، ثم لم يزل كاتباً لبني أمية إلى أيام مروان بن محمد وانقضاء دولة بني أمية؛ وكان عبد الحميد أول من فتق أكمام البلاغة، وسهَّل طرقها، وفكَّ رقاب الشعر.

ثم جاءت الدولة العباسية

كتاب بني العباس:

فكان كاتب أبي العباس وأبي جعفر: أبا أيوب المورياني الأهوازي.

وكاتب محمد المهدي بن المنصور: معاوية بن عبيد الله، ثُم يعقوب بن داود.

وكاتب موسى الهادي بن محمد المهدي: إبراهيم بن ذكوان الحراني.

وكاتب هارون الرشيد محمد المهدي: يحيي بن خالد البرمكي، ثم الفضل بن الربيع، ثم إبراهيم بن صبيح.

وكاتب محمد ـ بن زبيدة ـ الأمين: الفضل بن الربيع.

وكاتب عبد الله المأمون بن هارون الرشيد: الفضل بن سهل، ثم الحسن بن سهل، ثم عمرو بن مسعدة، ثم أحمد بن يوسف.

وكاتب أبي إسحاق محمد المعتصم بن هارون الرشيد، وهو المعروف بابن ماردة: الفضل بن مروان، ومحمد بن عبد الملك الزيات.

وكاتب الواثق هارون بن محمد المعتصم: محمد بن الملك الزيات أيضاً.

وكاتب المتوكل جعفر بن محمد المعتصم: إبراهيم بن العباس بن صول، مولى لبني العباس.

وكاتب المنتصر محمد، ويكنى أبا جعفر، ابن المتوكل: أحمد بن الخصيب.

ثم كتب للمستعين: أحمد بن محمد المعتصم، فظهر من عجزه وعِيِّه ما أسخطه عليه، ثم جعل وزارته إلى أوتامش، وقام بخدمته شجاع بن القاسم كاتبه، ثم سخط عليهما فقتلهما واستوزر أبا صالح عبد الله بن محمد بن يزداد، ثم صرفه وقلد وزارته محمد بن الفضل الجُرجاني، ثم كانت الفتنة بين المستعين والمعتز، فقلد المعتز وزارتَه جعفر بن محمود الجرجاني، فلما استقام الأمر رد وزارته إلى أحمد بن إسرائيل.

وكاتب المهتدي محمد بن الواثق: جعفر بن محمود الجرجاني، ثم استوزر بعده أبا أيوب سليمان بن وهب.

واستوزر المعتمد أحمد بن المتوكل: عبيد الله بن يحيي بن خافان، فلما توفى استوزر بعده الحسن بن مخلد؛ وكان سبب موته أنه صدمه غلام له في الميدان يقال له رشيق، فحُمل إلى منزله فمات بعد ثلاث ساعات.

وتقلد الوزارة للمعتضد: أحمد بن طلحة.

وللموفق بن جعفر المتوكل: عبيد الله بن سليمان بن وهب.

وتقلد الوزارة للمكتفي بالله أبي محمد علي بن المعتضد بالله: القاسم بن عبيد الله ابن سليمان.

وتقلد الوزارة لجعفر المقتدر بالله بن المعتضد بالله: علي بن محمد بن الفرات، ثم محمد بن عبيد الله بن يحيى بن خاقان، ثم علي بن عيسى ثم حامد بن العباس، ثم محمد ابن علي بن مقلة، الذي يوصف خطه بالجودة؛ ثم سليمان بن الحسن بن مخلد، ثم عبد الله بن أحمد الكلوذاني، ثم الحسين بن القاسم بن عبيد الله بن سليمان بن وهب، ولقِّب بعميد الدولة، وكان يكتب على كتبه: «من عميد الدولة أبي علي بن ولي الدولة» وذُكر لقبُه على الدنانير والدراهم؛ ثم الفضل بن جعفر بن محمد بن الفرات.

وتقلد الوزارة للقاهر بالله منصور محمد بن المعتضد: محمد بن علي بن مقلة ثم محمد ابن القاسم بن عبيد الله، ثم القاسم بن عبيد الله الحصيني.

وتقلد الوزارة للراضي بالله أبي العباس محمد بن جعفر المقتدر: محمد بن علي بن مقلة، ثم عبد الرحمن بن عيسى، أخو الوزير علي بن عيسى، ثم محمد بن القاسم الكرخي؛ ثم الفضل بن جعفر بن الفرات، ثم محمد بن يحيى بن شيرزاد.

وتقلد الوزارة للمتَّقي بالله إبراهيم بن جعفر بن المقتدر؛ كاتبُه أحمد بن محمد بن الأفطس، ثم أبو إسحق القراريطي، ثم علي بن محمد بن مقلة.

وتقلد الوزارة للمستكفي بالله أبي القاسم عبد الله بن علي المكتفي بالله: الحسين بن محمد بن أبي سليمان، ثم محمد بن علي السامري المكنى أبا الفرج؛ ثم ولي للمطيع بالله الفضل بن المقتدر، فوزر له الحسن بن هارون.

أسماء من كتب لغير الخليفة

كان المغيرة بن شعبة كاتباً لأبي موسى الأشعري.

وكان سعيد بن جبير كاتباً لعبد الله بن عتبة بن مسعود، وكان قاضياً بعد ذلك.

وكان الحسن بن أبي الحسن البصري ـ مع نبله وفقهه وورعه وزهده ـ كاتباً للربيع بن زياد الحارثي بخراسان، ثم ولي قضاء البصرة لعمر بن عبد العزيز فقيل له: مَن ولَّيت القضاء بالبصرة؟ فقال: وليت سيدَ التابعين الحسنَ بن أبي الحسن البصري.

وكان محمد بن سيرين - مع علمه وورعه - كاتباً لأنس بن مالك بفارس.

وكان زياد بن أبيه - مع رأيه ودهائه، وما كان من معاوية في ادعائه - يكتب للمغيرة بن شعبة، ثم لعبد الله بن عامر بن كُريز، ثم لعبد الله بن عباس، ثم لأبي موسى الأشعري؛ فوجَّهه أبو موسى من البصرة لعمر بن الخطاب ليرفع إليه حسابه، فأمر له عمر بألف درهم، لما رأى فيه من الذكاء، وقال له: لا ترجع لأبي موسى. فقال: يا أمير المؤمنين، أعَن خيانةٍ صرفتَني أم عن تقصير؟ قال: لا عن واحدة منهما، ولكني أكره أن أحمل فضلَ عقلِك على الرعية! قم ولِيَ بعد الكتابة العراقَ.

وكان عامر الشعبي - مع فقهه وعلمه ونبله - كاتباً لعبد الله بن مطيع، ثم لعبد الله ابن يزيد عامل عبد الله بن الزبير على الكوفة، ثم ولي قضاء الكوفة بعد الكتابة.

وكان قبيصة بن ذؤيب كاتباً لعبد الملك على ديوان الخاتم.

وكان عبد الرحمن كاتب نافع بن الحارث، وهو عامل أبي بكر وعمر على مكة.

وكان عبد الله بن خلف الخزاعي، أبو طلحة الطلحات، كاتباً على ديوان البصرة لعمرو بن عثمان، ثم قُتل يوم الجمل مع عائشة رضي الله عنها.

وكان خارجة بن زيد بن ثابت على ديوان المدينة، ثم طلب الخلافة فقتل دونها.

وكان يزيد بن عبد الله بن زَمْعة بن الأسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزى كاتباً على ديوان المدينة زمن يزيد بن معاوية، وكان بعده حميد بن عبد الرحمن بن عوف الزهري.

أشراف الكتاب

كتاب النبي ﷺ

كتاب النبي ﷺ:

كتب له عشرة كتَّاب: علي بن أبي طالب، وعمر بن الخطاب، وعثمان بن عفان، وخالد بن سعيد بن العاص، وأبان بن سعيد بن العاص، ولَدَا سعيد بن العاص؛

وعمرو بن العاص، وشرحبيل بن حسنة، وزيد بن ثابت، والعلاء بن الحضرمي، ومعاوية بن أبي سفيان، ولم يزل يكتب له حتى مات عليه الصلاة والسلام.

من أشراف الكتاب:

وكان عثمان بن عفان كاتباً لأبي بكر، ثم صار خليفة.
وكان مروان بن الحكم كاتباً لعثمان بن عفان، ثم صار خليفة.
وكان عمرو بن سعيد بن العاص كاتباً على ديوان المدينة، ثم طلب الخلافة فقُتل دونها.
وكان المغيرة بن شعبة كاتباً لأبي موسى الأشعري.
وكان الحسن بن أبي الحسن البصري كاتباً للربيع بن زياد الحارثي بخراسان.
وكان سعيد بن جبير كاتباً لعبد الله بن عتبة بن مسعود، وكان فاضلاً.
وكان زياد كاتباً للمغيرة بن شعبة، ثم لأبي موسى الأشعري، ثم لعبد الله بن عامر ابن كريز، ثم لعبد الله بن عباس.
وكان عامر الشعبي كاتباً لعبد الله بن مطيع، وهو والي الكوفة لعبد الله ابن الزبير.

وكان محمد بن سيرين كاتباً لأنس بن مالك بفارس.
وكان قبيصة بن ذؤيب كاتباً لعبد الملك على ديوان الخاتم.

وكان عبد الرحمن بن أبزي كاتِبَ نافع بن الحارث الخزاعي، وهو عامل أبي بكر وعمر على مكة.
وكان عبيد الله بن أوس الغساني سيدُ أهل الشام كاتِب معاوية.
وكان سعيد بن نِمران الهمداني سيدُ همدان كاتبَ علي بن أبي طالب، ثم ولي بعد ذلك قضاء الكوفة لابن الزبير.

وكان عبد الله بن خلف الخزاعي أبو طلحة الطلحات كاتباً على ديوان البصرة لعمر وعثمان، وقتل يوم الجمل مع عائشة.

وكان خارجة بن زيد بن ثابت على ديوان المدينة من قبل عبد الملك.

وكان يزيد بن عبد الله بن زمعة بن الأسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزى على ديوان المدينة زمان يزيد بن معاوية؛ وكان بعد حميد بن عبد الرحمن بن عوف الزهري صاحب النبي ﷺ.

من نبل بالكتابة وكان قبل خاملا

سرجون بن منصور الرومي: كتب لمعاوية، ويزيد ابنه، ومروان بن الحكم، وعبد الملك بن مروان؛ إلى أن أمره عبد الملك بأمر فتوانى فيه، ورأى منه عبد الملك بعض التفريط، فقال لسليمان بن سعد كاتبه على الرسائل: إن سرجون يُدلُّ علينا بصناعته، وأظن أنه رأى ضرورتنا إليه في حسابه، فما عندك فيه حيلة؟ فقال: بلى، لو شئت لحوّلتُ الحساب من الرومية إلى العربية. قال: افعل، قال: أَنظِرْني أعاني ذلك. قال: لك نظرةٌ ما شئت. فحوّل الديوان، فولاه عبد الملك جميع ذلك.

وحسان النَّبطي كاتب الحجاج، وسالم مولى هشام بن عبد الملك، وعبد الحميد الأكبر، وعبد الصمد، وجبلة بن عبد الرحمن، وقَحذم، جدّ الوليد بن هشام القحذمي؛ وهو الذي قلب الدواوين من الفارسية إلى العربية.

ومنهم الفراء، كاتب خالد بن عبد الله القسري.

ومنهم: الربيع، والفضل بن الربيع، ويعقوب بن داود، ويحيى بن خالد، وجعفر ابن يحيى، وأبو محمد عبد الله بن المقفع، والفضل بن سهل، والحسن بن سهل، وجعفر ابن محمد بن الأشعث، وأحمد بن يوسف، وأبو عبد السلام الجُنْدَ يسابوري، وأبو جعفر محمد بن عبد الملك الزيات، والحسن بن وهب، وإبراهيم بن العباس الصولي، ونجاح بن سلمة، وأحمد بن محمد بن المدبر؛ فهؤلاء نَبُلوا بالكتابة واستحقوا اسمها.

من أدخل نفسه في الكتابة ولم يستحقها

صالح بن شيرزاد، وجعفر بن سابور كاتب الأفشين، والفضل بن مروان، وداود

ابن الجراح، وأبو صالح عبدالله بن محمد بن يزداد، وأحمد بن الخصيب؛ فهؤلاء لطخوا أنفسهم بالكتابة وما دانوها.

وقال بعض الشعراء في صالح بن شيرزاد:

حِمارٌ في الكتابةِ يدّعيها ... كدعْوى آل حرْبٍ في زيادِ
فدعْ عنك الكتابةَ لستَ منها ... ولو غرّقتَ ثوبك في المِداد

ومنهم أبو أيوب ابن أخت أبي الوزير. وهو القائل يرثي أمّ سليمان بن وهب الكاتب:

لأمِّ سليمان علينا مُصيبةٌ ... مُفلِّقةٌ مثْلُ الحُسام البَواتِرِ
وكنتِ سراجَ البيت يا أُمَّ سالِمٍ ... فأضحى سراجُ البيت وسْط المقابرِ

فقال سليمان بن وهب: ما نزل بأحد من خلق الله ما نزل بي: ماتت أمي فرثيت بمثل هذا الشعر، ونُقل اسمي من سليمان إلى سالم.

صفة الكتاب

قال إبراهيم بن محمد الشّيباني: من صفة الكاتب: اعتدال القامة، وصِغر الهامة، وخفّة اللهازم(١)، وكثاثة اللحية، صدق الحسّ، ولطف المذهب، وحلاوة الشمائل، وحُسن الإشارة، وملاحة الزِّيّ؛ حتى قال بعض المهالبة لولده: تَزّيوا بِزيِّ الكتّاب؛ فإنّ فيهم أدب الملوك وتواضع السُّوقة.

وقال إبراهيم بن محمد الكاتب: من كمال آل الكتابة، أن يكون الكاتب نقيّ الملبس، نظيف المجلس، ظاهر المروءة، عطِر الرائحة، دقيق الذهن، صادق الحس، حسن البيان، رقيق حواشي اللسان، حلوَ الإشارة، مليحَ الاستعارة، لطيف المسالك،

(١) اللهازم: مضغتان في أصل الحنك.

مستقرّ التركيب، ولا يكون مع ذلك فَضْفاض الجُثّة، متفاوت الأجزاء، طويل اللحية، عظيم الهامة؛ فإنهم زعموا أنّ هذه الصورة لا يليق بصاحبها الذكاءُ والفطنة.

وأنشد سعيد بن حميد في إبراهيم بن العباس.

رأيتُ لَهازمَ الكتّاب خفت ... ولِهْزِمَتاك شانَهُما الفَدامَةْ[1]
وكتّاب الملوك لهم بيانٌ ... كمِثْل الدُّرِّ قد رَصفوا نِظامَهْ
وأنت إذا نطقتَ كأنّ عيْراً ... يَلوك بما يَفوه به لِجامَه

وقال آخر:

عليكَ بكاتبٍ لبقٍ رشيق ... زكيّ في شمائِله جَدارهْ
تُناجيه بطرْفك من بعيدٍ ... فَيفهم رجْع لحظِك بالإشاره

ونظر أحمد بن الخَصيب إلى رجل من الكتاب فَدْمَ المنظر[2]، مضطرب الخَلق، طويل العُثنون؛ فقال: لأن يكون هذا فنطاس[3] مركب، أشبه من أن يكون كاتبا.

فإذا اجتمعت للكاتب هذه الخلال، وانتظمت فيه هذه الخصال، فهو الكاتب البليغ، والأديب النِّحرير؛ وإن قصرت به آلة من هذه الآلات، وقعدت به أداة من هذه الأدوات، فهو منقوص الجمال، مُنكسف الحس، منحوس النصيب.

ما ينبغي للكاتب أن يأخذ به نفسه

قال إبراهيم الشيباني: أوّل ذلك حسن الخط، الذي هو لسان اليد، وبهجة الضمير، وسفير العقول، ووحي الفكرة، وسلاح المعرفة، وأُنس الإخوان عند الفرقة، ومحادثتهم على بعد المسافة، ومستودع السر، وديوان الأمور.

---

(١) الفدامة: العي عند الكلام. (٢) فدم المنظر: أي غليظ سمين.

(٣) فنطاس مركب: حوض لا دخار الماء العذب.

ولست أجد لحسن الخط حدّا أقف عليه، أكثر من قول علي بن رَبّن النصراني الكاتب في الكاتب، فإني سألته واستوصفته الخط، فقال. أعلمك الخط في كلمة واحدة؟ فقلت له: تفضل بذلك. فقال: لا تكتب حرفا حتى تستفرغ مجهودك في كتابة الحرف، وتجعل في نفسك أنك لا تكتب غيره حتى تعجز عنه ثم تنتقل إلى ما بعده.

وإياك والنقط والشكل في كتابك، إلا أن تمرّ بالحرف المعضل الذي تعلم أن المكتوب إليه يعْجز عن استخراجه؛ فإني سمعت سعيد بن حميد بن عبد الحميد الكاتب يقول: لأن يُشكِل الحرف على القارىء أحب إليّ من أن يعاب الكتاب بالشكل.

وكان المأمون يقول: إياكم والشّونيز[1] في كتبكم. يعني النقط والإعجام.

ومن ذلك: أن يُصلح الكاتب آلته التي لا بدّ منها، وأداتَه التي لا تتم صناعته إلا بها، مثل دواته، فليُنْعِمْ ربَّها[2] وإصلاحها، وليتخيَّر من أنابيب القصب أقله عقدا، وأكثفه لحما، وأصلبه قشرا، وأعدله استواء؛ ويجعل لقرطاسه سكيناً حادّا؛ لتكون عوناً له على بَرْي أقلامه، ويبريها من ناحية نبات القصبة؛ واعلم أنّ محل القلم من الكاتب كمحل الرمح من الفارس.

قال العتابي: سألني الأصمعي يوما في دار الرشيد: أي الأنابيب للكتابة أصلح، وعليها أصبر؟ فقلت له: ما نَشِف بالهجير ماؤه، وستره عن تلويحه غشاؤه، من التَّبْرِيَّة القشور، الدُّرِّيَّة الظهور، الفضيَّة الكسور. قال: فأيُّ نوعٍ من البري أصوب وأكتَب؟ فقلت: البرية المستوية القطة، التي عن يمين سنها قرْنة[3] تؤمَن معها المجة عند المذة والمطة، للهواء في شقها فتيق، والريح في جوفها خَريق[4]، والمداد في

---

(١) الشونيز: الحبة السوداء. (٢) ربها: إصلاحها.

(٣) القرنة: زاوية الشيء أو ما نتأ منه. (٤) ريح خريق: اللينة السهلة.

خرطومها رقيق. قال العتابي: فبقي الأصمعي باهتاً إليَّ ضاحكا لا يحير مسألة ولا جوابا.

من صفات الكاتب:

ولا يكون الكاتب كاتبا حتى لا يستطيع أحد تأخير أوّل كتابه وتقديم آخره.

وأفضل الكتاب ما كان في أول كتابه دليل على حاجته، كما أن أفضل الأبيات ما دل أول البيت على قافيته؛ فلا تُطيلنّ صدر كتابك إطالة تخرجه عن حدّه، ولا تقصر به دون حدّه؛ فإنهم قد كرهوا في الجملة أن تزيد صدور كتب الملوك على سطرين أو ثلاثة أو ما قارب ذلك.

وقيل للشعبي: أي شيء تعرف به عقل الرجل؟ قال: إذا كتب فأجاد.

وقال الحسن بن وهب: الكاتب نفس واحدة، تجزأت في أبدان متفرقة.

فأمّا الكاتب المستحقُّ آسم الكتابة، والبليغ المحكوم له بالبلاغة، من إذا حاول صيغة كتاب، سالت عن قلمه عيون الكلام من ينابيعها، وظهرت معادنها وندرت من مواطنها من غير استكراه ولا اغتصاب.

بين العتابي وصديق له:

بلغني أن صديقا لكلثوم العتابي أتاه يوما فقال له: اصنع لي رسالة. فاستمد مَدة ثم علق القلم؛ فقال له صاحبه: ما أرى بلاغتك إلا شاردة عنك. فقال له العتابي: إني لما تناولت القلم تداعت عليّ المعاني من كل جهة، فأحببت أن أترك كل معنى حتى يرجع إلى موضعه؛ ثم أجتني لك أحسنّها.

بين يزيد وكاتب له:

قال أحمد بن محمد: كنت عند يزيد بن عبد الله أخي ذبيان، وهو يملي على كاتب له؛ فأعجل الكاتبَ ودارَكَ في الإملاء عليه، فتلجلج لسان قلم الكاتب عن تقييد

إملائه؛ فقال له: اكتب يا حمار! فقال له الكاتب: أصلح الله الأمير، إنه لما هطلت شآبيب الكلام، وتدافعت سيوله على حرف القلم، كلَّ القلم عن إدراك ما وجب عليه تقييده. فكان حضورُ جواب الكاتب أبلغ من بلاغة يزيد.

وقال له يوما وقد مَط حرفا في غير موضعه: ما هذا؟ قال: طغيان في القلم.

ما يحتاج إليه الكاتب:

فإن كان لا بد لك من طلب أدوات الكتابة، فتصفح من رسائل المتقدمين ما يعتمد عليه، ومن رسائل المتأخرين ما يرجع إليه، ومن نوادر الكلام ما تستعين به، ومن الأشعار والأخبار والسير والأسمار ما يتسع به منطقك، ويطول به قلمك؛ وآنظر في كتب المقامات والخطب، ومجاوبة العرب، ومعالى العجم، وحدود المنطق وأمثال الفرس ورسائلّهم وعهودهم، وسيرهم، ووقائعهم، ومكايدهم في حروبهم بعد أن تكون متوسطا علم النحو والغريب، والوثائق والسور، وكتب السجلات والأمانات؛ لتكون ماهرا، تنتزع آي القرآن في مواضعها؛ واختلاف الأمثال في أماكنها؛ وقرض الشعر الجيد وعلم العروض؛ فإن تضمين المثل السائر، والبيت الغابر البارع، مما يزين كتابك، ما لم تخاطب خليفة أو ملكا جليل القدر فإن اجتلاب الشعر في كتب الخلفاء عيب، إلا أن يكون الكاتب هو القارضَ للشعر والصانع له، فإن ذلك يزيد في أُبَهتِه.

خبر حائك الكلام

أبو جعفر البغدادي قال: حدثنا عثمان بن سعيد قال: لما رجع المعتصم من الثغر وصار بناحية الرقة، قال لعمرو بن مسعدة: ما زلتَ تسألني في الرُّخَّجِي[1] حتى وليته

(١) الرخجي: نسبة إلى رخج.

الأهواز، فقعد في سرة الدنيا يأكلها خضما وقضما، ولم يوجه إلينا بدرهم واحد؛ آخرج إليه من ساعتك. فقلت في نفسي: أبَعْدَ الوزارة أصبر مستحِثا على عامل خراج؟ ولكن لم أجد بدّا من طاعة أمير المؤمنين، فقلت: أخرج إليه يا أمير المؤمنين. فقال: آحلف لي أنك لا تقيم ببغداد إلا يوما واحدا. فحلفت له، ثم انحدرت إلى بغداد، فأمرت ففرش لي زورق بالطبري وغُشِّيَ بالسِّلْخ[1]، وطرح عليه الكز[2]، ثم خرجت، فلما صرت بين دير هِزْقل ودير العاقول، إذا رجل يصيح: يا ملاح، رجل منقطع! فقلت للملاح: قرّب إلى الشطّ. فقال: يا سيدي، هذا شحاذ، فإن قعد معك آذاك. فلم ألتفت إلى قوله، وأمرت الغلمان فأدخلوه، فقعد في كوثل[3] الزورق، فلما حضر وقت الغذاء عزمت أن أدعوه إلى طعامي، فدعوته، فجعل يأكل أكل جائع بنهامة، إلا أنه نظيف الأكل؛ فلما رفع الطعام، أردت أن يستعمل معي ما يستعمل العوام مع الخواص: أن يقوم فيغسل يده في ناحية؛ فلم يفعل، فغمزه الغلمان، فلم يقم فتشاغلت عنه ثم قلت: يا هذا ما صناعتك؟ قال: حائك! فقلت في نفسي: هذه شر من الأولى. فقال لي: جُعِلْت فدَاك، قد سألتني عن صناعتي فأخبرتك، فما صناعتُك أنت؟ قال: فقلت في نفسي: هذه أعظم من الأولى، وكرهت أن أذكر له الوزارة فقلت: أقتصر له على الكتابة؛ فقلت: كاتبٌ.

قال: جُعِلْت فداك، الكتَّاب على خمسة أصناف: فكاتب رسائل يحتاج إلى أن يعرف الفصل من الوصل والصدرر والتهاني والتعازي والترغيب والترهيب والمقصور والممدود وجملا من العربية؛ وكاتب خراج، يحتاج أن يعرف الزرع والمساحة والأشوال والطّسوق[4] والتقسيط والحساب؛ وكاتب جند، يحتاج أن يعرف مع الحساب الأطماع[5] وشيات الدواب وحُلي الناس؛ وكاتب قاض، يحتاج أن يكون عالما بالشروط والأحكام والفروع والناسخ والمنسوخ والحلال والحرام والمواريث؛ وكاتب

---

(١) السلخ: الجلد. الكز: الكساء. (٣) الكوثل: مؤخر السفينة.
(٤) الطسوق: جمع طسق وهو ما يوضع من الوظيفة على الجريان من الخراج المقرر على الأرض.
(٥) الأطماع: الرواتب الجارية على الجند.

شرطة، يحتاج أن يكون عالما بالجروح والقصاص والعقول[1] والديات؛ فأيهم أنت أعزك الله؟

قال: قلت: كاتب رسائل. قال: فأخبرني، إذا كان لك صديق تكتب إليه في المحبوب والمكروه وجميع الأسباب، فتزوّجت أُمّه، فكيف تكتب له: أتهنيه أم تعزيه؟

قلت: والله ما أقف على ما تقول.

قال: فلست بكاتب رسائل، فأيُّهم أنت؟ قلت: كاتب خراج.

قال: فما تقول ـ أصلحك الله ـ وقد ولاك السلطان عملا فبثثت عمالك فيه فجاءك قومٌ يتظلمون من بعض عمالك؛ فأردت أن تنظر في أمورهم وتنصفهم؛ إذ كنت تحب العدل والبر، وتُؤْثِرُ حسن الأحدوثة وطيب الذكر، وكان لأحدهم قراح[2] كيف كنت تمسحه؟ قال: كنت أضرب العطوف في العمود وأنظر كم مقدار ذلك.

قال: إذاً تظلم الرجل. قلت: فأمسح العمود على حدة.

قال: إذاً تظلم السلطان. قلت: والله ما أدري. قال: فلست بكاتب خراج، فأيهم أنت؟

قلت: كاتب جند. قال: فما تقول في رجلين، اسم كل واحد منهما أحمد، أحدهما مقطوع الشفة العليا، والآخر مقطوع الشفة السفلى، كيف كنت تكتب حليتهما؟

قال: كنت أكتب: أحمد الأعلم، وأحمد الأعلم. قال: كيف يكون هذا ورزق هذا مائتا درهم ورزق هذا ألف درهم، فيقبض هذا على دعوة هذا، فتظلم صاحب الألف. قلت: والله ما أدري. قال: فلست بكاتب جند؛ فأيهم أنت؟

---

(١) العقول: مفردها عقل، وهي الدّية. (٢) القراح: المزرعة التي ليس عليها بناء ولا فيها شجر.

قلت: كاتب قاض. فقال: فما تقول - أصلحك الله - في رجل توفي وخلف زوجة وسَرِيَّة[١]. وكان للزوجة بنت وللسرية ابن، فلما كان في تلك الليلة أخذت الحرة ابن السَّرية فادّعتْه وجعلت ابنتها مكانه، فتنازعتا فيه، فقالت هذه: هذا ابني. وقالت هذه: هذا ابني. كيف تحكم بينهما وأنت خليفة القاضي؟

قلت: والله لست أدري! قال: فلست بكاتب قاض، فأيهم أنت؟

قلت: كاتب شرطة. قال فما تقول - أصلحك الله - في رجل وثب على رجل فشجه شجة مُوضحة[٢]، فوثب عليه المشجوج فشجَّه شجة مأمومة[٣]؟ قلت ما أعلم. ثم قلت: أصلحك الله، ففسِّر لي ما ذكرت. قال: أما الذي تزوجت أُمه، فتكتب إليه: أما بعد، فإن أحكام الله تجري بغير محابِّ المخلوقين، والله يختار للعباد، فخار الله لك في قبضها إليه، فإن القبر أكرمُ لها! والسلام.

وأما القَراح، فتضرب واحدا في مساحة العطوف، فمِنْ ثَمَّ بابه.

وأما أحمد وأحمد، فتكتب حلية المقطوع الشفة العليا: أحمد الأعلم؛ والمقطوع الشفة السفلى: أحمد الأشرم.

وأما المرأتان، فيوزن لبن هذه ولبن هذه، فأيهما كان [لبنُها] أخفَّ فهي صاحبة البنت.

وأما الشجة، فإن في الموضحة خمسا من الإبل، وفي المأمومة ثلاثا وثلاثين وثلثا، فيرد صاحب المأمومة ثمانية وعشرين وثلثا.

قلت: أصلحك الله، فما نزع بك إلى هنا؟ قال: ابن عم لي كان عاملا على ناحية، فخرجت إليه فألفيته معزولا، فقُطع بي، فأنا خارج أضطرب في المعاش. قلت: ألست ذكرت أنك حائك؟ قال: أنا أحوك الكلام، ولست بحائك الثياب.

---

(١) السرية: المملوكة يتسراها صاحبها. (٢) الموضحة: التي بلغت العظم.

(٣) المأمومة: التي بلغت أم الرأس.

قال: فدعوت المزين فأخذ من شعره. وأُدخل الحمام فطرحت عليه شيئا من ثيابي، فلما صرت إلى الأهواز، كلمت الرُّخَّجِيَّ، فأعطاه خمسة آلاف درهم. ورجع معي، فلما صرت إلى أمير المؤمنين، قال: ما كان من خبرك في طريقك؟ فأخبرته خبري، حتى حدثته حديث الرجل، فقال لي: هذا لا يُستغنى عنه، فلأي شيء يصلح؟ قلت: هذا أعلم الناس بالمساحة والهندسة. قال: فولاه أمير المؤمنين البناء والمرمَّة[1]: فكنت والله ألقاه في الموكب النبيل، فينحطّ عن دابته، فأحلف عليه فيقول: سبحان الله! إنما هذه نعمتك وبك أفنيتها.

فضائل الكتابة

قال أبو عثمان الجاحظ: ما رأيت قوماً أنفذ طريقة في الأدب من هؤلاء الكتاب؛ فإنهم التمسوا من الألفاظ ما لم يكن متوعرا وحشيا، ولا ساقطا سوقيا.

وقال بعض المهالبة لبنيه، تزيَّوْا بزي الكتاب فإنهم جمعوا أدَبَ الملوك وتواضُعَ السُّوقة.

المنصور وقوم من الكتاب:

وعتب أبو جعفر المنصور على قوم من الكُتاب فأمر بحبسهم؛ فرفعوا إليه رقعة ليس فيها إلا هذا البيت:

ونحن الكاتبونَ وقد أسأْنا ... فهبْنا للكرام الكاتبِينا

فعفا عنهم وأمر بتخلية سبيلهم.

وقال المؤيد: كتّاب الملوك عيونهم الناظرة، وآذانهم الواعية، وألسنتهم الناطقة؛

(١) المرمة: متاع البيت.

والكتابة أشرف مراتب الدنيا بعد الخلافة، وهي صناعة جليلة تحتاج إلى آلات كثيرة.

وقال سهل بن هارون: الكتابة أول زينة الدنيا، التي إليها يتناهى الفضل، وعندها تقف الرغبة.

ما يجوز في الكتابة وما لا يجوز فيها

قال إبراهيم بن محمد الشيباني: إذا احتجت إلى مخاطبة الملوك، والوزراء، والعلماء، والكتّاب. والخطباء، والأدباء، والشعراء، وأوساط الناس وسُوقتهم؛ فخاطب كلا على قدر أُبَّهتِه وجلالته، وعلوِّه وارتفاعه، وفطنتِه؛ واجعل طبقات الكلام على ثمانية أقسام: منها الطبقات العلية أربع، والطبقات الأُخَر وهي دونها أربع. ولكل طبقة منها درجة، ولكلّ قسمة لا ينبغي للكاتب البليغ أن يقصر بأهلها عنها ويقلب معناها إلى غيرها.

فالحدّ الأول الطبقات العليا، وغايتها القصوى الخلافة، التي أجلَّ الله قدرها، وأعلى شأنها عن مساواتها بأحد من أبناء الدنيا في التعظيم والتوقير.

والطبقة الثانية لوزرائها وكتابها، الذين يخاطبون الخلفاء بعقولهم وألسنتهم، ويرتُقون الفتوق بآرائهم.

الطبقة الثالثة أمراء ثغورهم وقُواد جنودهم؛ فإنه يجب مخاطبة كل أحد منهم على قدره وموضعه وحظه، وغنائه وجزائه، واضطلاعه بما حمل من أعباء أمورهم، وجلائل أعمالهم.

والرابعة القضاة؛ فإنهم وإن كان لهم تواضع العلماء، وجلية الفضلاء، فمعهم أُبهة السلطنة وهيبة الأمراء.

وأما الطبقات الأربع الأُخر، فهم الملوك الذين أوجبت نعمُهم تعظيمَهم في الكتب إليهم، وأفضالهم تفضيلهم فيها.

والثانية وزراؤهم وكتّابهم وأتباعهم، الذين تقرع أبوابهم، وبعناياتهم تستباح أموالهم.

والثالثة هم العلماء، الذين يجب توقيرهم في الكتب بشرف العلم، وعلوّ درجة أهله.

والطبقة الرابعة لأهل القدْر والجلالة، والحلاوة والطلاوة، والظرف والأدب، فإنهم يضطرونك بحدة أذهانهم، وشدّة تمييزهم وانتقادهم، وأدبهم وتصفحهم، إلى الاستقصاء على نفسك في مكاتبتهم.

واستغنينا عن الترتيب للسوقة والعوام والتجار، باستغنائهم بمهناتهم عن هذه الآلات، واشتغالهم بمهنَتِهم عن هذه الأدوات.

ولكل طبقة من هذه الطبقات معان ومذاهب يجب عليك أن ترعاها في مراسلتك إياهم في كتُبك، وتَزن كلامك في مخاطبتهم بميزانه، وتعطيه قسمته، وتوفيه نصيبه؛ فإنك متى أهملت ذلك وأضعْتَه، لم آمن عليك أن تعدل بهم عن طريقهم، وتَسلك بهم غير مسلكهم، وتُجري شعاع بلاغتك في غير مُجراه، وتنظم جوهر كلامك في غير سِلكه؛ فلا تعتدّ بالمعنى الجزل ما لم تُلْبِسْه لفظا لائقا بمن كاتبتَه، ومُلامساً لمن راسلْتَه، فإن إلباسَك المعنى ـ وإن صحَّ وشَرُف ـ لفظا متخلفا عن قدر المكتوب إليه، لم تجر به عادته، تهجين للمعنى وإخلال بقدره. وظلم بحق المكتوب إليه، ونقص ما يجب له؛ كما أن في اتباع تعارُفِهم، وما انتشرت به عاداتهم، وجرت به سنّتهم، قطعا لعُذرهم، وخروجا من حقوقهم، وبلوغا إلى غاية مرادهم، وإسقاطا لحجة أدبهم.

فمن الألفاظ المرغوب عنها، والصدور المستوْحش منها في كتب السادات والملوك والأمراء، على اتفاق المعاني، مثل: أبقاك الله طويلا، وعمَّرك مَلِياً. وإن كنا نعلم أنه لا فرق بين قولهم: أطال الله بقاك، وبين قولهم: أبقاك الله طويلا؛ ولكنهم جعلوا هذا أرجح وزنا، وأنبه قدراً في المخاطبة؛ كما أنهم جعلوا: أكرمك الله وأبقاك، أحسن منزلا في كتب الفضلاء والأدباء، من: جُعِلْت فداك، على اشتراك معناه واحتمال أن يكون فداه من الخير، كما يحتمل أن يكون فداه من الشر؛ ولولا أن رسول الله ﷺ قال لسعد بن أبي وقاص: آرم فداك أبي وأمي، لكرهنا أن يكتب بها أحد؛ على أن كتّاب العسكر وعوامهم قد ولعوا بهذه اللفظة، حتى استعملوها في جميع محاوراتهم، وجعلوها هُجِّيراهم[1] في مخاطبة الشريف والوضيع، والكبير والصغير. ولذلك قام محمود الوراق:

كلُّ مَن حلَّ سرَّ مَن رامِن النا ... س ومَن قد يُداخل الأمْلاكا
لو رأى الكلبَ مائلاً بطريق ... قال للكلب: يا جُعِلْتُ فداكا!

وكذلك لم يجيزوا أن يكتبوا بمثل: أبقاك الله، وأمتع بك؛ إلا في الابن والخادم المنقطع إليك، وأما في كتب الإخوان فغير جائز، بل مذموم مرغوب عنه؛ ولذلك كتب عبد الله بن طاهر إلى محمد بن عبد الملك الزيات:

أَحُلْتَ عما عهِدْت من أدبكْ ... أم نلت مُلكا فتِهْت في كتُبِكْ
أم قد تَرى أنَّ في مُلاطفَة الإخـوان نقصاً عليك في أدبكْ
أكان حقاً كِتاب ذي مِقَةٍ ... يكون في صدرِه: وأَمتَعَ بكْ!؟
أتعبْتَ كفَّيك في مُكاتبتي ... حسبُك مَّا لقيت في تعَبكْ

فكتب إليه محمد بن عبد الملك الزيات:

كيف أخُون الإخاء يا أمَلي ... وكل شيء أنال من سَبَبكْ

---

(١) الهجّيري: الدأب والعادة.

أنكـرْت شيئـاً فلسـت فـاعلـهُ ولـن تَـراه يُخَـطُّ في كتُبـكْ
إنْ يـكُ جهـلٌ أتـاك مـن قِبَلي فعُـدْ بفضـلٍ عليّ مـن حسَبـكْ
فاْعفُ فَدَتْك النُّفوسُ عـن رجـل يعيش حتى المات في أدبـك

ولكل مكتوب إليه قدرٌ ووزن، ينبغي للكاتب أن لا يجاوزه عنه ولا يقصر به دونه، وقد رأيتهم عابوا الأحوص حين خاطب الملوك خطاب العوام في قوله:

وأراك تَفعل مـا تقـول وبعضهـم مَذِقٌ[1] الحديث يقول ما لا يَفعـلُ

وهذا معنى صحيح في المدح، ولكنهم أجَلّوا قدر الملوك أن يُمدَحو بما تُمدَح به العوام؛ لأنّ صدق الحديث وإنجاز الوعد وإن كان من المدح، فهو واجبٌ على العامة، والملوك لا يُمدحون بالفرائض الواجبة، إنما يحسن مدحُهم بالنوافل لأن المادح لو قال لبعض الملوك: إنك لا تَزْني بحليلة جارك، وإنك لا تخون ما استودعت، وإنك لتصدُق في وعدك وتفي بعهدك؛ فكأنه قد أثنى بما يجب؛ ولو قصد بثنائه إلى مقصده كان أشبه في الملوك.

ونحن نعلم أن كل أمير يتولى من أمير المؤمنين شيئاً فهو أمير المؤمنين؛ غير أنهم لم يطلقوا هذه اللفظة إلا في الخلفاء خاصة.

ونحن نعلم أن الكَيْس هو العقل، ولكن لو وصفت رجلاً فقلت: إنه لعاقل كنتَ مدحتَه عند الناس، وإن قلت: إنه لكيّس كنت قد قصَّرت به عن وصفه، وصغَّرتَ من قدره، إلا عند أهل العلم باللغة؛ لأن العامة لا تلتفت إلى معنى الكلمة. ولكن إلى ما جرت به العادة من استعْمالها في الظاهر؛ إذ كان استعمال العامة لهذه الكلمة مع الحداثة والغرة وخساسة القدر وصِغَر السن.

وقد روينا عن علي كرم الله وجهه أنه تسمى بالكيّس حين بنى سجن الكوفة، فقال في ذلك:

---

(١) المذق: الملول.

أَمَا تَرانِي كيِّساً مُكيِّساً بنَيْتُ بعدَ نافعٍ مُخيِّسَا[1]
حِصْناً حصِيناً وأميراً كيِّسَا

وقال الشاعر:

ما يَصنَعُ الأحمقُ المرْزُوقُ بالكيْسِ

وكذلك تعلم أن الصلاة رحمة، غير أنهم كرهوا الصلاة إلا على الأنبياء. كذلك روينا عن ابن عباس.

وسمع سعدُ بن أبي وقاص ابن أخ له يُلَبِّي ويقول في تلبيته: لبَّيك ياذا المعارج. فقال: نحن نعلم أنه ذو المعارج، ولكن ليس كذا كنا نلبي على عهد رسول الله ﷺ، إنما كنا نقول: لَبَّيك اللهم لبيك.

وكان أبو إبراهيم المُزني يقول في بعض ما خطب به داود بن خلف الأصبهاني: «فإن قال كذا فقد خرج عن الملة والحمد لله» فنقض ذلك عليه داود، وقال فيما ردَّ عليه: نحمَدُ الله على أن يُخْرِجَ آمْرَأً مُسْلِماً من الإسلام؟ وهذا موضع استرجاع، وللحمد مكانٌ يليق به، وإنما يقال في المصيبة: ﴿إنَّا لله وإنَّا إليهِ راجعون﴾[2].

فامتثل هذه المذاهب، وآجْرِ على هذه القواعد، وتَحَفَظْ في صدور كتبك وفصولها [وافتتاحها] وخواتمها وضَعْ كلَّ معنى في موضع يليق به، وتَخَيَّر لكل لفظة معنًى يشاكلها، وليكن ما تختم به فصولَك في موضع ذكر البلوى بمثل: نسأل الله دفع المحذور، وصَرْف المكروه؛ وأشباهِ هذا؛ وفي موضع ذكر المصيبة: إنا لله وإنا إليه راجعون وفي موضع ذكر النعمة: الحمدُ لله خالصاً، والشكرُ لله واجباً، [وما يُشاكل ذلك]؛ فإن هذه المواضع يجب على الكاتب أن يتفقدها ويتَحفظَّ فيها؛ فإنّ الكاتب إنما يصير كاتباً بأن يضع كل معنى في موضعه، ويعلِّق كل لفظة على طبقتها من المعنى.

---

(١) المخيس: سجن بالكوفة.

(٢) سورة البقرة الآية ١٥٦.

واعلم أنه لا يجوز في الرسائل استعمال ما أتت به آي القرآن من الاختصار والحذف، ومخاطبةِ الخاص بالعام والعام بالخاص؛ لأن الله جل ثناؤه [إنما] خاطب بالقرآن قوماً فصحاء فهموا عنه ـ جل ثناؤه ـ أمرَه ونهيَه ومرادَه؛ والرسائلُ إنما يخاطَب بها أقوامٌ دخلاءُ على اللغة، لا علم لهم بلسان العرب.

وكذلك ينبغي للكاتب أن يجتنب اللفظ المشترك، والمعنى الملتبس؛ فإنه إن ذهب يكاتب على مثل معنى قول الله تعالى: ﴿وآسأَلِ القرية التي كُنَّا فيها والعير التي أَقْبلنا فيها﴾[1]، وكقوله تعالى: ﴿بل مكْرُ اللَّيلِ والنهارِ﴾[2]، احتاج الكاتب أن يبيّن معناه: اسألْ أهل القرية وأهل العير، وبل مكركم بالليل والنهار، ومثل هذا كثير لا يتسع الكتاب لذكره.

وكذلك لا يجوز أيضاً في الرسائل والبلاغات المنثورة ما يجوز في الأشعار الموزونة؛ لأن الشاعر مضطر، والشعر مقصور مقيَّد بالوزن والقوافي؛ فلذلك أجازوا لهم صرْفَ ما لا ينصرف من الأسماء، وحذْفَ ما لا يحذف منها؛ واغتفروا فيه سوء النظم، وأجازوا فيه التقديم والتأخير، والإضمار في موضع الإظهار؛ وذلك كله غير سائغ في الرسائل، ولا جائز في الملاغات، فممّا أُجيزَ في الشعر من الحذف مثل قولُ الشاعر:

قواطِنا مكَّةَ مِن ورْقِ الحَمَا

يعني الحمام؛ وقول الآخر:

صِفْر الوِشاحَيْنِ صَمُوت الخلْخَلِ

يريد الخلخال؛ وكقول الآخر:

دارٌ لِسَلْمَى إذْهِ مِنْ هواكا

---

(١) سورة يوسف الآية ٨٢.　　(٢) سورة سبأ الآية ٣٣.

يريد إذهي؛ وكقول الحطيئة:

فبها الرِّماحُ وفيها كلُّ سابِغَةٍ جَدلاءَ مسرودَةٍ من نَسْجِ سلَّام

يريد سليمان؛ وقول الآخر:

وسائلةٍ بثعلَبَةَ بنِ سيْرِ وقد عَلِقَتْ بثعلَبةَ العَلَوقُ[1]

وأراد ثعلبة بن سَيَّار؛ وكما قال الآخر:

ولستُ بآتيه ولا أَسْتَطِيعُهُ ولاكِ آسْقِنِي إن كانَ ماؤكَ ذا فضلِ

أراد ولكن.

وكذلك لا ينبغي في الرسائل أن يُصَغر الاسمُ في موضع التعظيم، وإن كان ذلك جائزاً، مثل قولهم: «دويهية» تصغير داهية، «وجُذيل» تصغير جِذل، «وعذيق» تصغير عَذق. وقال الشاعر، وهو لبيد:

وكلُّ أُناسٍ سَوْفَ تدْخُلُ بينهُمْ دُوَيْهيَةٌ تَصْفَرُّ منها الأنامِلُ

وقال الحُباب بن المنذر يوم سقيفة بني ساعدة: أنا عُذَيْقُها[2] المُرَجَّبُ، وجُذيْلُها[3] المُحَكَّكُ، وقد شرحه أبو عبيد.

ومما لا يجوز في الرسائل وكرهوه في الكلام أيضاً، مثل قولهم: كلمت إياك، وأعني إياك، وهو جائز في الشعر:

وأحسِنْ وأَجْمِل في أسيرِكَ إنَّهُ ضعيفٌ ولم يأْسِرْ كإيَّاكَ آسِرُ

وقال الراجز:

إيَّاكَ حتى بلغت إيَّاك

---

(١) العلوق: المنية. (٢) العذق: اللبق الحاذق.

(٣) يقال: «وهو جذيلها المحكك». أي من يستشعى برأيه.

فتخيّرْ من الألفاظ أرجحَها لفظاً وأجزلها مَعنى، وأشرفها جوهراً وأكرمَها حسباً، وأليَقها في مكانها، وأشكَلها في موضعها؛ فإن حاولت صنعة رسالة فزن اللفظة قبل أن تخرجها بميزان التصريف إذا عرَضَت، وعاير الكلمة بمعيارها إذا سنَحَت؛ فإنه ربما مر بك موضعٌ يكون مخرج الكلام إذا كتبتَ: أنا فاعل، أحسن من أن تكتب: أنا أفعل، وموضع آخر، يكون فيه: استفعلت، أحلى من: فعلت؛ فأدِر الكلام على أماكِنه، وقلِّبه على جميع وجوهه؛ فأيّ لفظة رأيتَها أخفَّ في المكان الذي ندبتها إليه، وأنزعَ إلى الموضع الذي راودتَها عليه فأوقِعها فيه؛ ولا تجعل اللفظة قَلِقَةً في موضعها، نافرة عن مكانها؛ فإنك متى فعلت [ذلك] هجَّنت الموضع الذي حاولت تحسينه، وأفسدت المكان الذي أردت إصلاحه؛ فإن وضع الألفاظ في غير أماكنها، وقصْدَك بها إلى غير مُصابها، إنما هو كترقيع الثوب الذي لم تتشابهْ رقاعه، ولم تتقارب أجزاؤه، خرج عن حد الجدّة وتغيّر حسنه، كما قال الشاعر:

إنْ الجديدَ إذا ما زيدَ في خَلَقٍ تبيَّن الناسُ أنّ الثَّوْبَ مَرْقُوعُ[1]

كذلك كلما آحلولى الكلام وعذُب وراق وسهلت مخارجه، كان أسهلَ وُلوجاً في الأسماع، وأشدّ اتصالاً بالقلوب، وأخفَّ على الأفواه؛ لا سيما إن كان المعنى البديع مترجماً بلفظ مُونق شريف ومُعايَراً بكلام عذب لم يَسِمْه التكلف بميسَمِه ولم يفسده التعقيد باستغلاقه.

وكتب عيسى بن لهيعة إلى أخيه أبي الحسن، وزوّر كلامه وجاوز المقدار في التنطع[2]؛ فوقّع في أسفل كتابه:

أنَّى يكون بليغاً مَنِ اسمُه كان عِيّا
وثالث الحرف منه أذً كُفيتَ مُسِيَّا

قال: وبلغني أن بعض الكتاب عاد بعض الملوك فوجده يئن من علة، فخرج عنه بباب الطاق، فإذا بطير يدعى الشفانين، فاشتراه وبعث به إليه، وكتب كتاباً يتنطع

---

(١) خلق: ثوب بالٍ. (٢) تنطّع في كلامه: أي تفصّح فيه وتعمّق.

في بلاغته، وذكر: إنه يقال له شفانين، أرجو أن يكون شفاءً من أنين! فوقع في أسفل الكتاب: والله لو عطستَ ضبّا ما كنتَ عندنا إلا نبطيا، فأقصر عن تنطّعك وسهِّل كلامك.

قوله: لو عطست ضبّا، يريد: أن الضِّباب من طعام الأعراب وفي بلدهم يقال: لو عطست فنثرت ضبّاً من عُطاسك، لم يُلحق بالأعراب ولم تكن إلا نبطيا.. وقد جاء في بعض الحديث: أن القط من نَثْرة عَطْسَة الأسد، وأن الفأر من نثرة عطسة الخنزير؛ فقال هذا: لو أن الضب من نثرتك لم تكن إلا نبطياً.

وفي هذا المعنى قال مخلد الموصلي يهجو حبيبا:

أنـت عنـدي عـرَبي ... ليس في ذاك كلامْ
شعـرُ سـاقيْـكَ وفخْـ ... ـذيْـك خُـزامَـى وثُمام[1]
وقَـذَى عينيـك صَمـغٌ ... ونَـواصيـك ثغـام[2]
وضلوعُ الصَّدر من شِلْـ ... ـوِك نبْـع وبَشـام[3]
لـو تَحـرّكـتَ كـذا لانْـ ... ـجَفَلَـتْ منـك نَعـام
وظِبـاءٌ راتِعـات ... ويَـرابيـعٌ عِظـام[4]
وحَمـام يتغنّـى ... حبّـذا ذاك الحمـام
أنـا مـا ذنبي لأنْ ... كـذَّبَني فيـك الأنـام؟
وفتّـى يَحلـف مـا إن ... عـرَّقـتْ فيـه الكـرام[5]
ثم قـالـوا جـاسمـي ... مـن بنِـي الأنْبـاط حـام
كـذَبـوا مـا أنـت إلا ... عـربيٌّ والسَّـلام!

---

(١) الخزامى والثمام: نبتان.
(٢) الثغام: نبت.
(٣) شجر عطر الرائحة يساك بقصبه.
(٤) اليربوع: دويبة فوق الجرد.
(٥) يقال: عرق فيه أعمامه: أي تخلق بأخلاقهم.

وقد رأيتهم شبَهوا المعنى الخفّي بالروح الخفي، واللفظَ الظاهر بالجثمان الظاهر؛ وإذا لم ينهض بالمعنى الشريف الجزل لفظ شريف جزل، لم تكن العبارة واضحة، ولا النظام متسقاً، وتضاءل المعنى الحسن تحت المعنى القبيح، كتضاؤل الحسناء في الأطمار الرثة.

وإنما يدل على المعنى أربعة أصناف: لفظ، وإشارة، وعقد، وخط؛ وقد ذكر له أرسطاطاليس صنفاً خامساً في كتاب المنطق، وهو الذي يسمى النَّصيبة[1]، والنَّصيبة الحال الدالة التي تقوم مقام تلك الأصناف الأربعة، وهي الناطقة بغير لفظ، والمشيرة إليك بغير يد؛ وذلك ظاهر في خلق السموات والأرض وكل صامت وناطق. وجميع هذه الأصناف الخمسة كاشفة عن أعيان المعاني وسافرة عن وجوهها.

وأوضح هذه الدلائل وأفصح هذه الأصناف صنفان: هما القلم واللسان، وكلاهما للقلب تَرْجُمان! فأمّا اللسان فهو الآلة التي يخرج الإنسان بها عن حدّ الاستبهام، إلى حدّ الإنسانية بالكلام؛ ولذلك قال صاحب المنطق: حدّ الإنسان، الحيُّ الناطق.

وقال هشام بن عبد الملك: إن الله رفع درجةَ اللسان فأنطقه بين الجوارح.

وقال علي بن عبيدة: إنما يبين عن الإنسان، اللسان وعن المودّة العينان.

وقال آخر: الرجل مخبوء تحت لسانه.

وقالوا: المرء بأصغريه: قلبه ولسانه.

وقال الشاعر:

وما المرءُ إلا الأصغَران: لسانُه ... ومعْقوله، والجسمُ خَلق مصوّرُ[2]

فإنْ طُرّةٌ راقتْكَ يوماً فربَّما ... يَمرّ مَذاقُ العودِ والعودُ أخضر

وللخط صورة معروفة، وحلية موصوفة، وفضيلة بارعة. ليست لهذه الأصناف؛ لأنه يقوم مقامه في الإيضاح عند المشهد ويفضُله عند المغيب؛ لأنّ الكتب تقرأ في

(١) النصيبة: كل ما نصب فجعل علما. (٢) الطرة: الهيئة الحسنة.

الأَماكن المتباينة، والبلدان المتفرّقة، وتدرس في كل عصر وزمان، وبكلِّ لسان؛ واللسان وإن كان ذلقاً فصيحاً لا يعْدو سامعَه ولا يُجاوزه إلى غيره.

البلاغة

قال سهل بن هارون: سياسة البلاغة أشدُّ من البلاغة.

وقيل لجعفر بن يحيي بن خالد: ما البلاغة؟ قال: التقرّب من المعنى البعيد، والدلالة بالقليل على الكثير.

وقيل لابن المقفع: ما البلاغة؟ قال: قلة الحَصَر، والجراءة على البشر. قيل له: فما العِيّ؟ قال: الإطراق من غير فكرة، والتنحنح من غير علة.

وقيل لآخر: ما البلاغة؟ قال: تطويل القصير، وتقصير الطويل.

وقيل لأعرابي: ما البلاغة؟ فقال: حذف الفضول، وتقريب البعيد.

وقيل لأرسطاطاليس: ما البلاغة؟ فقال: حسن الاستعارة.

وقيل لجالينوس: ما البلاغة؟ فقال: إيضاح المعضل، وفك المشكل.

وقيل للخليل بن أحمد: ما البلاغة؟ فقال: ما قرب طرفاه، وبعُد منتهاه.

وقيل لخالد بن صفوان: ما البلاغة؟ قال: إصابة المعنى، والقصد للحجة.

وقيل لآخر: ما البلاغة؟ قال: تصوير الحق في صورة الباطل، وتصوير الباطل في صورة الحق.

وقيل لإبراهيم الإمام: ما البلاغة؟ فقال: الجزالة والإصابة.

تضمين الأسرار في الكتب

وأمّا تضمين الأسرار في الكتب حتى لا يقرؤها غير المكتوب إليه، ففيه أدب يجب معرفته، وقد تعلقت العامّة بكتاب القُمّيِّ والأصبهانيِّ.

الأصبهاني: وكان أبو حاتم سهل بن محمد قد وصف لي منه أشياء جليلة من تبديل

الحروف، وذلك ممكن لكل إنسان، غير أنّ اللطيف من ذلك أن تأخذ لبناً حليباً فتكتب به في القِرْطاس، فيذرّ المكتوب له عليه رماداً سخناً من رماد القراطيس، فيظهر ما كتبت به إن شاء الله؛ وإن شئت كتبت بماء الزاج الأبيض، فإذا وصل إلى المكتوب إليه أمرَّ عليه شيئاً من غبار الزاج. وإن أحببت أن لا يُقرأ الكتاب بالنهار ويقرأ بالليل، فاكتبه بمرارة السُّلحفاة.

قولهم في الأقلام

قالوا: القِلم أحدُ اللسانين، وهو المخاطب للعيون بسرائر القلوب على لغات مختلفة، من معان معقودة بحروف معلومة مؤلَّفة، متباينات الصور، مختلفات الجهات، لقاحها التفكر، ونتاجها التدبر، تَخْرَس منفردات، وتَنطق مزدوجات، بلا أصوات مسموعة، ولا ألسُنٍ محدودة، ولا حركات ظاهرة، خلا قلم حرَّف باريه قَطَّتَه ليتعلق المداد به، وأرهف جانبيه ليردّ ما انتشر عنه إليه، وشق رأسه ليحتبس المدادُ عليه، فهنالك استمدّ القلم بشقه، ونثر في القرطاس بخطه حروفاً أحكمها التفكر، وجرى على أسَلَتِه الكلام الذي سَداه العقل، وألحمه اللسان، ونهسته اللهوات، وقطعته الأسنان، ولفظته الشفاه، ووعته الأسماع، عن أنحاء شتى من صفات وأسماء.

وقال الشاعر وهو أبو الحسن محمد بن عبد الملك بن صالح الهاشمي:

وأسْمَرَ طاوي الكَشْحِ أَخْرس ناطقٍ ... لـه ذمَلانٌ في بطـون المَهـارق[1]
إذا آستعجلتْه الكـفُّ أَمْطَـر وبْلـه ... بلا صوْت إرعادٍ ولا ضوءِ بـارق
إذا ما حَـدا غُـرَّ القَـوافي رأيتَهـا ... مُجلَّلـة تَمضي أمـام السَّــوابــق
كأنّ عليه مـن دُجَـى الليـل حُلَّـة ... إذا ما استَهلَّت مُزْنُه بـالصَّـواعـق
كـأن اللآلي والزبَـرجَـد نُطقَــه ... ونَوم الخُزامى في عيون الحدائـق[2]

---

(١) الذمَلان: ضرب من السير.

(٢) الخزامى: جنس نبات من الفصيلة الشفوية، أنواعه عطره.

وقال العلوي في صفة القلم:

وعُريانَ من خِلْعَةٍ مُكْتَسٍ ... يَميس من الوشْيِ في يَلْمَقِ [1]
تَحدَّرُ من رأسه ريقة ... تَسيل على ذِرْوة المَفرق
فكم من أسيرٍ له مُطْلَقٍ ... وكم من طَليق له مُوثِق
يُقيمُ ويُوطِن غرب البلادِ ... ويَنهى ويأمر بالمَشرق
قليل كثير ضروب الخُطو ... ط وأخْرس مُستمَعُ المنْطق
يسير بركْبٍ تلالٍ عجال ... إذا ما حدا الفكر في مهرقِ

وقال آخر في القلم:

لك القلمُ المطيعُك غير أنّا ... وجدنا وسمهُ غير المطاع
له ذَوقان من أرْيٍ هنيءٍ ... ومن شرْيٍ وبيٍّ ذي آمتناع [2]
أحدُّ اللفظِ ينطق عن سِواه ... فيسمِع وهْو ليس بِذي استماع
إذا آستسقى بلاغتَك آستهلّت ... عليه سماءُ فكرِك باندفاع

وقال:

وبيتٍ بعلياءِ الفلاةِ بنيتُه ... بأسمر مشقوقِ الخياشيم يُرْعف
كأنّ عليه مُلْبساً جِلْدَ حيةٍ ... مقيم فما يَمضي ولا يتخلّفُ
جليل شُئونِ الخطْبِ، ما كان راكباً ... يسير، وإن أرْجلْتهُ فمضعَّف

وقال حبيب بن أوس، وهو من أحسن ما قيل فيه:

لكَ القلمُ الأعلى الذي بِشباتِه ... يُصابُ من الأمرِ الكلى والمفاصِلُ
لعابُ الأفاعي القاتلاتِ لعابه ... وأرْيُ الجني آشتارتْه أيدٍ عواسِل
له ريقةٌ طلٌّ ولكنّ وقْعها ... بآثارِه في الشرق والغربِ وابل [3]
فصيحٌ إذا استَنطَقْته وهو راكبٌ ... وأعجمُ إن خاطبتَه وهو راجل

---

(١) اليلمق: القباء.

(٢) الأرى: العسل. والشرى الحنظل. (٣) الريقة: رضاب الفم.

إذا ما آمتطى الخمس اللِّطافَ وأُفرِغت عليه شعابُ الفكر وهْي حوافل
أطاعتْه أطرافُ القَنا وتقوّضت لِنجواه تقْويضَ الخيامِ الجحافِل
إذا استَغزَر الذِّهْنَ الجليَّ وأقبلت أعاليه في القِرطاس وهْي أسافل
وقد رفدَته الخنصران وسدّدت ثلاثَ نواحيهِ الثلاث الأنامل
رأيت جليلاً شأنُه وهو مرَهفٌ ضَنًى، وسميناً خطبه وهو ناحل

ولما قال حبيب هذا الشعر حسده الخثعمي، فقال لابن الزيات:

ما خُطْبةُ القلم التي أُنبِيتُها وردت عليك لشاعر مجدود

وأنشد البحتري لنفسه يصف قلم الحسن بن وهب:

وإذا تألق في النَّدِيِّ كلامه الـ ـمصقول خِلْت لسانَه من عضبه
وإذا دجت أقلامُه ثم آنتحت برقت مصابيحُ الدُّجى في كتبه
باللفظِ يقرُبُ فهمه في بُعْدِهِ منّا، ويبعُدُ نيله في قربه
حِكم فسائحها خلالَ بنانِه متدفِّقٌ وقليبُها في قلبه
وكأنها والسمْع معقودٌ بها شخصُ الحبيبِ بدا لعيْنِ مُحبِّه

وأنشد أحمد بن أبي طاهر في بعض الكُتّاب ويصف القلم:

قلمُ الكتابةِ في يمينِكَ آمنٌ مما يعود عليه فيما يكتُبُ
قلم به ظُفْر العدوّ مقلَّم وهو الأمانُ لما يُخاف ويُرهَب
يُبدي السرائِرَ وهو عنها محجبٌ ولسانُ حُجَّتِه بصمتٍ يعرِب

ومن قولنا في القلم:

بكفِّه ساحر البيان إذا أداره في صحيفةٍ سحرا
ينطِقُ في عجمةٍ بلفظته نصَمٌّ عنه ويُسمِع البصرا
نوادر تُقرع القلوب بها إن تستبنْها وجدتها صورا
نِظام دُرِّ الكلام ضمَّنه سِلكا لخطِّ الكتاب مُستطرا[1]

(١) مستطرا: مكتوباً.

إذا امتطى الخِنْصران أذْكر من | سحبانَ فيما أطال واختَصرا
يخاطِبُ الغائبَ البعيدَ بما | يخاطب الشاهدَ الذي حضرا
ترى المقاديرَ تستدفُّ له | وتنفذُ الحادثاتُ ما أمرا[1]
شخبٌ ضئيلٌ لفعلِه خطرٌ | أعظِم به في مُلِمَّةٍ خطرا
تمجُّ فكاهُ ريقةً صغرت | وخطبها في القلوبِ قد كبرا
يواقع النفْسَ منه ما حذرتْ | وربما جنِّبت به الحذرا
مهفهفٌ تزدهي به صُحفٌ | كأنما حُلِّيت به دُرَرا[2]
كأنها تُرفع العيون بها | خلالَ روْضٍ مكللٍ زهرا
إن قُرّبت مرِّطت طوابعها | ما فُضّ طينٌ لها ولا كسِرا
يكاد عنوانُها لروعته | ينْبيكَ عن سرِّها الذي استَترا

ومن أحسن ما شبهت به الأقلام وشبه بها، قول ذي الرُّمَّة:

كأنّ أنوفَ الطير في عرَصاتِها | خراطيمُ أقلام تَخط وتعجم

ومثله قول عدي بن الرقاع:

يخرُجن من فُرُجات النقِع دامية | كأنّ آذانها أطرافُ أقلام

ومن قوله في ولد البقرة:

تزجي أغَنّ كأنّ إبرة روقه | قلمٌ أصاب من الدواةِ مِدادها

ومنه قول المأمون:

كأنما قابل القِرْطاس إذ مشقت | منها ثلاثةُ أقلامٍ على قلم[3]

ومثله قولنا فيه:

إذا أدارت بنانُه قلماً | لم تدر للشِّبه أيُّها القلمُ

ومن قولنا في الأقلام:

---

(١) نستدف: تسهل وتستقيم. (٢) المهفهف: الضامر البطن.
(٣) مشقت: استدقت.

ومعشرٍ تنطـــق أقلامُهـــم بحكمــةٍ تلقنهـــا الأعيُـــنُ
تلفظهـا في الصكّ أقلامُهـم كـــأنما أقلامهـــم ألســـن

ومن قولنا في الأقلام:

يـا كـاتبـاً نقشَـت أنـامـل كفِّـه سحرَ البيـان بلا لسـانٍ ينطـقُ
إلا صقيـل المتن ملمـوم القـوى حُـزَّت لهازمـه وشـق المفْـرق
فـــإذا تكلم رغبـــةً أو رهبـــةً في مغـربٍ أصغـى إليـه المشرق
يـدلـي بـريقـةِ أريـهِ أو شريـهِ يبكي ويضحكُ من نَداه المهـرق[1]

ولعبد الله بن المعتز كلام يصف القلم. القلمُ يخدمُ الإرادة؛ ولا يمل الاستزادة؛ يسكت واقفاً، وينطق ساكتاً؛ على أرض بياضها مظلم، وسوادها مضيء.

وقال سليمان بن وهب وزير المهدي: كل قلم تطيل جلفته؛ فإن الخط يخرج به أوقص[2].

وكتب جعفر بن يحيى إلى محمد بن الليث يستوصفه الخط، فكتب إليه:

أما بعد، فليكن قلمك بحريا لا سمينا ولا رقيقا، ما بين الرقة والغلظ، ضيق النقب، فأبره بريا مستويا كمنقار الحمامة: أعطف قطته، ورقق شَفرته؛ وليكن مدادك صافيا خفيفا، إذا استمددت منه ليلة ثم صفه في الدواة؛ وليكن قرطاسُك رقيقا مستويَ النسج، تخرج السحاة مستوية من أحد الطرفين إلى آخره؛ فليست تستقيم السطور إلا فيما كان كذلك، وليكن أكثر تمطيطك في طرف القرطاس الذي في يسارك، وأقله في الوسط ولا تمطّ في الطرف الآخر، ولا تمط كلمة ثلاثة أحرف ولا أربعة، ولا تترك الأخرى بغير مط، فإنك إذا فرّقت القليل كان قبيحا، وإذا جمعت الكثير كان سمجا؛ ثم ابتدىء الألف برأس القلم كله، واخططه بعرضه، واختمه بأسفله؛ واكتب الباء والتاء والسين والشين، والمطة العليا من الصاد والضاد

(١) الأري: العسل. والشري: الحنظل.

(٢) الوقص: قصر في العنق مع ميل.

والطاء والظاء والكاف والعين والغين، ورأس كل مرسل برأس القلم؛ واكتب الجيم والحاء والخاء والدال والذال والراء، والمطة السفلى من الصاد والضاد والطاء والظاء والكاف والعين والغين، بالسن السفلى من القلم وامطط بعرض القلم، والمط نصف الخط، ولا يقوى عليه إلا العاقل، ولا أحسب العاقل يقوى عليه أيضا إلا بالنظر إلى اليد في استعمالها الحركة. والسلام.

وقال ابن طاهر لكاتبه: ألق دواتك، وأطِل سنّ قلمك، وفرّج بين السطور، وقرمط[1] بين الحروف.

وقال إبراهيم بن جبلة: مر بي عبد الحميد وأنا أخط خطاً رديئا، فقال لي: أ [لا] تحب أن يجود خطّك؟ قلت: بلى. قال: أطل جلفة القلم وأسمنها؛ وحرّف قطّتك وأيمِنها. ففعلت فجاد خطي.

وقال العتابي: ببكاء القلم تبتسم الكتب.

وقال بعض الحكماء: أمر الدين والدنيا تحت سنان السيف والقلم.

وقال حبيب الطائي:

لـولا مُنـاشـدةُ القُـربـى لغـادرَكم حصائدَ المرهِفَيْـنَ: السيْـف والقلمِ

وقال أرسطا طاليس: عقول الرجال تحت سِنّ أقلامهم.

وقال أبو حكيمة: كنت أكتب المصاحف، فمر بي عليٌّ بن أبي طالب كرم الله وجهه، فقال: أجللْ قلمك. فقصمت من قلمي قصمة، فقال: هكذا نوره كما نوره الله.

وكان ابن سيرين يكره أن يُكتب القرآن مشقا[2]، وقال: أجود الخط أبيَنُه.

وقال سليمان بن وهب: زيِّنوا خطوطكم بإسبال ذوائبها.

(١) قرمط الكاتب في الكتابة: جعلها دقيقة متقاربة الحروف والسطور. (٢) المشق في الكتابة: مد حروفها.

وقال عمرو بن مسعدة: الخط صورة ضئيلة، لها معان جليلة، وربما ضاق عن العيون، وقد ملأ أقطار الظنون.

وذكر علي بن عُبيدة القلم فقال: أصمٌّ يسمع النَّجوى؛ أعْيا من باقل، وأبلغ من سحبان وائل؛ يجهل الشاهد، ويخبر الغائب؛ ويجعل الكتب بين الإخوان ألسُناً ناطقة، وأعينا لاحِظة، وربما ضمنها من ودائع القلوب ما لا تبوح به الألسن عند المشاهدة.

وقال أحمد بن يوسف الكاتب: ما عبرات الغواني في خدودهن بأحسن من عبرات الأقلام في خدود الكتب.

وقال العتابي: الأقلام مطايا الفِطَن.

وتخاير[1] غلامان في بعض الدواوين، فقاما إلى أستاذهما يعرضان عليه خطوطهما، فكره أن يفضِّل أحدهما على الآخر؛ فقال لأحدهما: أما خطُّك أنت فوَشْيٌ محُوك. وقال للآخر: وأما خطك أنت فذهبٌ مسْبُوك؛ تكافأتما في غاية، وتوافيتما في نهاية.

وقال آخر: دخلت الديوان، فنظرت إلى غلام بيده فلم كأنه قضيب عِقيان، وعليه مكتوب:

وا بـــأبي! وا بـــأبي ... مِـن كـفٍّ مـن يكتـب بي

وقال أبو هِفان يصف القلم:

وإذا أَمَـرَّ على المهـارق كفّـه ... بأناملٍ يَحمِلْن شَخْتاً مُرْهَفـا[2]
ومُقصَّـراً ومُطـوَّلا ومُقطَّعـاً ... ومُـوَصَّلا ومُشتّتـاً ومُـؤلَّفـا
كـالحيــة الرّقشـــاءِ إلا أنــه ... يَستنزلُ الأروى إليه تَلطُّفـا[3]
يهفـو بـه قلم يَمُـــجُّ لَعــابَــه ... فيعود سيْفـاً صـارمـاً ومثقَّفـا

وقال آخر في وصف الدواة:

---

(١) تخاير: تفاخر.

(٢) الشخت: الدقيق الضامر. (٣) الأروى: أنثى الوعول.

ومُسْودّة الأرجاءِ قد خُضْتُ جالها ... وروَّيت مِن قعْرٍ لها غير مُنْبَط
خَمِيصَ الحشا يَروَى على كلِّ مَشْرب ... أميناً على سرِّ الأمين المسلَّط

وقال بعض الكتَّاب:

وما روْضُ الربيعِ وقد زهاهُ ... ندى الأسحارِ يَأرَجُ بالغَداةِ
بأضْوَعَ أو بأَسْطَعَ من نسيمٍ ... تُؤَدِّيه الألاقةُ مِن دَواة

وقال آخر في وصف محبرة:

ولُجَّةِ بحرٍ أجمِّ العُبا ... بِ بادٍ وأمواجَهُ تَزخرُ
إذا غاص فيه أخو غوْصةٍ ... سريعُ السِّباحةِ ما يَفْتُرُ
فأنفِسْ بذلك مِن غائص ... بديع الكلام له جوْهرُ
وأكرمُ ببحرٍ له لُجّةٌ ... جواهرُها حكَمٌ تنثر

وقال ثمامة بن أشرس: ما أثرتْه الأقلام، لم تطمع في درسِهِ الأيام. ونظر المأمون إلى جارية من جواريه تَخُطّ خطّاً حسنا، فقال فيها:

وزادت لدينا حُظْوةً حين أطرقت ... وفي إصبعيها أسمرُ اللون أهْيَف
أصمٌّ سميع، ساكنٌ مُتحرِّكٌ ... ينال جَسيماتِ المنى وهو أعجف[1]

وقال بعض الكتاب:

إذا ما التقَيْنا وآنتضَيْنا صوارماً ... يكاد يُصِم السامعين صريرُها
تساقَط في القِرْطاس منها بدائعٌ ... كمثْلِ اللآلي نظمُها ونثيرُها

قال بشر بن المعتمر: القلب معدِن، والحلم[2] جوهر، واللسان مستنبط، والقلم صائغ، والخط صيغة.

وقال سهل بن هارون: القلم لسان الضمير، إذا رعف[3] أعلن أسراره وأبان آثاره.

---

(١) أعجف: رقيق. (٢) الحلم: العقل. (٣) رعف: خرج من أنفه الدم.

وقالوا: حُسْن الخط يناضل عن صاحبه، ويوضح الحجة، ويمكّن له درْك البغية.

وقال آخر: الخط الرديء زمانة[1] الأديب.

وقال الحسن بن وهب: يحتاج الكاتب إلى خلال: منها جُودة بَرْيِ القلم، وإطالة جلْفَتِه، وتحريف قَطَّته، وحُسْن التأني لآمتطاء الأنامل، وإرسال المدّة بقدر اتساع الحروف، والتحرز عند فراغها من الكسوف، وترك الشكل على الخطأ والإعجام على التصحيف، واستواءُ الرسوم، وحلاوة المقاطع.

وقال سعيد بن حميد: من أدب الكاتب أن يأخذ قلمه في أحسن أجزائه، وأبعد ما يتمكن المداد فيه، ويعطيه من القرطاس حقه.

وقال عبد الله بن عباس: كلّ كتاب غير مختوم فهو غُفل.

وفي تفسير قول الله تعالى: ﴿إني أُلقِيَ إليّ كتابٌ كريمٌ﴾[2] قال: مختوم.

ورفع إلى عبد الله بن طاهر قصة قد أكثر صاحبها إعجامها، فقال: ما أحسن ما كتبت إلا أنك أكثرت شُونِيزَها[3].

وقال أبو عبيدة: لا يقال كأس إلا إذا كان فيها شراب، وإلا فهي زجاجة، ولا مائدة إلا إذا كان عليها طعام، وإلا فهي خِوَان؛ ولا قلم إلا إذا بُري، وإلا فهي قصبة.

وقال آخر: جلوس الأدباء عند الوراقين، وجلوس المخّمنين عند النخاسين، وجلوس الطفيليين عند الطباْخين.

وكتب علي بن الأزهر إلى صديق له يسأله أقلاماً يبعث بها إليه:

أما بعد، فإنا على طول الممارسة لهذه الكتابة التي غلبت على الاسم، ولزمت لزوم

---

(١) الزمانة: العاهة.

(٢) سورة النمل الآية ٢٩.

(٣) الشونيز: الحبة السوداء.

الوسم؛ فحلت محل الأنساب، وجرت مجرى الألقاب، وجدنا الأقلام الصُّحْرِيَّة أسرع في الكواغد، وأمَرَّ في الجلود، كما أن البحرية منها أساس في القراطيس، وألين في المعاطف، وأشدُّ لتصريف الخط فيها؛ ونحن في بلد قليل القصب رديئه، وقد أحببت أن تتقدم في اختيار أقلام بَحْرية، وتتأنق في انتقائها قَبلك، وتطلبها في مظانِّها ومنابتها، من شطوط الأنهار، وأرجاء الكروم، وأن تتيمم في اختيارك منها الشديد المُحْص[1]، الصلبة المقصّ، النقية الجلود، القليلة الشحوم، المكتنزة اللحوم، الضيقة الأجواف، الرزينة المحمل؛ فإنها أبقى على الكتابة، وأبعد من الجفاء، وأن تقصد بانتقائك الرِّقاق القُضْبان، المقومات المُتون، المُلْس المعاقد، الصافية القشور، الطويلة الأنابيب، البعيدة ما بين الكعوب، الكريمة الجواهر، المعتدلة القوام، المستحكمة يبساً وهي قائمة على أصولها، لم تُعَجل عن إبَّان ينعها، ولم يؤخَّرْ إلى الأوقات المخوفة عليها من خصَرالشتاء[2]،وعفن الأنداء؛ فإذا استجمعت عندك أمرت بقطعها ذراعا ذراعا، قطعا رقيقا؛ ثم عبأت منها حزما فيما يصونها من الأوعية، ووجهتها مع من يؤدي الأمانة في حراستها وحفظِها وإيصالها، وكتبت معه رقعة بعِدَّتها وأصنافها بغير تأخير ولا توان، إن شاء الله تعالى.

قولهم في الحبر

قال بعض الكُتَّاب: عَطِّرُوْا دفاتر آدابكم بجيِّد الحبر، فإن الأَدب غواني والحبر غوالي.

ونظر جعفر بن محمد إلى فتى على ثيابه أثر المداد وهو يستره، فقال له:

لا تَجزعَنَّ منَ المداد فإنه ... عِطْرُ الرجال وحِلْيةُ الكتَّاب

---

(١) المحص: قوة الخلق مع ضمور.

(٢) خصر الشتاء: برده

وكيع وقريب له:

وأتى وكيع بن الجراح رجلٌ يمت إليه بحرمة، فقال له: وما حُرْمَتُك؟ قال له: كنتَ تكتب من محبرتي عند الأعمش. فوثب وكيع ودخل منزله، ثم أخرج له بضعة دنانير، وقال له: آعذُرْ فما أملك غيرها.

وفي الأقلام

أهدى ابنُ الحرون إلى رجل من إخوانه من الكتَّاب أقلاما؛ فكتب إليه:

إنه لما كانت الكتابة ـ أبقاك الله ـ أعظمَ الأمور، وقِوامَ الخلافة، وعمودَ المملكة؛ خصصتُك من آلتها بما يخِفُّ محمله، وتثقل قيمته، ويعظُم نفعهُ ويجلّ خطرُه؛ وهي أقلام من القَصب النابت في الصُّحر[1] الذي نَشِف في حر الهجير ماؤه، وسَتَرَهُ من تلويحه غِشاؤه؛ فهي كاللآلِيء المكنونة في الصَّدَف، والأنوار المحجوبة في السَّدف: تبرية القشور دريّة الظهور، فِضية الكسور؛ قد كَستْها الطبيعة جوهراً كالوشي المحبر، وفرند[2] الديباج المنيَّر.

قولهم في الصحف

نعَم الأنيسُ إذا خلَوْتَ كِتابُ ... تلْهو بـه إنْ ملّـكَ الأحبابُ
لا مُفْشياً سِراً إذا استَوْدعْتَه ... وتُفادُ منه حكْمةً وصوابُ

وقال آخر:

ولِكلِّ صاحب لذَّةٍ مُتَنَزَّه ... أبداً، ونُزهةُ عالِمٍ كُتُبُهْ

وقال حبيب:

مِدادٌ مثلُ خافِيةِ الغُراب ... وقِرْطاسٌ كرَقراقِ السَّراب

---

(١) الصحر: جمع صحرة: وهي جوبة تنجاب وسط الحرة وتكون أرضاً لينة تطيف بها حجارة.

(٢) الفرند: الثوب.

وألفــاظٌ كــألفــاظِ المثــاني وخـطٌّ مثْـلُ وشْـمِ يَـدِ الكَعـابِ
كتبْتُ ولو قدرْتُ هوىً وشوْقاً إليك لكنتُ سطْراً في الكتابِ

وقال في صحيفة جاءته من عند الحسن بن وهب:

لقـد جَلّـى كِتـابُـك كـلَّ بَـثّ جِـوٍ وأصـاب شـاكِلَةَ الرَّمـيِّ[1]
فضَضْتُ خِتـامَـه فتبلَّجَـت لي غـرائبُـه عـنِ الخَبرِ الجِلـيِّ
وكـان أغـضّ في عيْني وأنْـدَى على كبـدي مِنَ الزهـرِ الجنِـيِّ
وأحسَنَ مـوْقعـاً عِنـدي ومنِّـي مِـنَ البُشْـرَى أتـتْ بعـدَ النَّعِـيِّ
وضُمِّـن صَـدْرُه مـا لم تضَمَّـنْ صـدورُ الغـانيـات مـنَ الحُلِـيِّ
فكـائِـنْ فيـه مـن مَعنًـى خطيرٍ وكـائـن فيــه مـن لفـظٍ بهِيِّ
فيـا ثلْـجَ الفـؤادِ وكـان رضْفـاً ويـا شِبَعِـي بِـرَوْنقـه وريِّـي
فكـم أفصحـت عـن بـرٍ جليـلٍ بـه ووأيـت مـن وأيٍ سنِـيِّ
كتْبـتَ بـه بلا لفـظٍ كـريـهٍ على أُذنٍ ولا خَـطٍ قمِـيِّ[2]
رسـالـةَ مـن تَمتَّـعَ مُنْـذ حينٍ ومتَّعَنـا مـنَ الأدب الرَّضِـيِّ
لئِـن غـربْتَهـا في أرض بكْـرٍ لقـد زُفَّـت إلى قلـبٍ وفِـيِّ
وإن يكُ مـن هـدايـاكَ الصَّفـايـا فـرُبَّ هـدِيَّـةٍ لـك كـالهدِيِّ[3]

وقال ابن أبي طاهر في آبن ثوابة:

في كلِّ يومٍ صدورُ الكتْبِ صـادِرةُ من رأيِهِ ونَدَى كفَّيْـهِ عـن مَنَـلِ
مِن خطِّ أقلامِهِ خطّ القضاءُ على الـ ـأعداءِ والموْتُ بين البيضِ والأسَلِ
لعـابُهـا عِلـل في الصـدرِ تنفُثُـه وربما كـان فيـه النَّقْـعُ لِلغُلَـلِ
كأنّ أسطارَها في بطْـنِ مُهْـرَقِهـا نَوْرٌ يُضاحِكُ دمْعَ الواكِفِ الخضلِ[4]

وقال البحتري في محمد بن عبد الملك الزيات:

---

(١) جوٍ: شديدٍ.
(٢) الوأي: الوعد. وقميء: الصغير الذليل.
(٣) الهديّ: العروس.
(٤) الواكف: المطر المنهمل.

قد تصرفتَ في الكتابة حتى عطّل الناسُ فنَّ عبدِ الحميدِ
في نظامٍ مِن البلاغةِ ما شَـ ـكّ امْرُؤٌ أنّه نظامُ فريدِ
وبديعٌ كأنه الزهرُ الضّا حِكُ في رونقِ الربيعِ الجديدِ
ما اغْتَدتْ منه في بُطونِ القراطيـ ـس وما حُمِّلَت ظهورُ البَريدِ
حُجَجٌ تُخْرسُ الألدّ بألفا ظٍ فُرادَى كالجوْهَرِ المعدود
حُزْنَ مُستعمَلَ الكلامِ اختياراً وتَجنَّبْن ظُلمةَ التّعْقيدِ
كالعذارى غدوْن في الحُللِ البيـ ـض إذا رُحْنَ في الخطوب السُّود

وقال عليّ بن الجهم في رقعة جاءته بخط جيِّد:

ما رُقعةً جاءَتْك مَثْنيةً كأنها خدٌّ على خدِّ
ساهِمةُ الأسطُر مصروفةٌ عنْ جِهةِ الهزْلِ إلى الجدِّ
يا كاتِباً أسْلمني عتبُهُ إليك، حسبي مِنك ما عندي!

وقال محمد بن إبراهيم بن محمد الشيباني: رفع أبان بن عبد الحميد اللاحقي إلى الفضل بن يحي بن خالد، رقعةً بأبياتٍ له يصِفُ فيها قامتَه، وكثافة لحيتِه، وحلاوةَ شمائله، وبراعة أدبه، وبلاغَة قلمه؛ فقال:

أنا مِن بُغْيَةِ الأمير وكَنزٌ مِن كُنوز الأميرِ ذو أرباحِ
كاتبٌ حاسِبٌ أديبٌ لبيبٌ ناصحٌ زائدٌ على النُّصّاحِ
شاعرٌ مُفْلِقٌ أخف مِن الرِّيـ ـشَةِ ممّا يكونُ تحت الجناحِ
لي في النّحو فِطنةٌ ونفاذٌ أنا فيه قِلادة بوشاحِ[1]
لو رمَى بيَ الأميرُ أصلَحَه اللهُ رِماحاً صدَمْتُ حدّ الرِّماحِ
ثم أروى من ابنِ سيرينَ في الفِقْـ ـهِ بقوْلٍ مُنوّر الإفصاحِ
لستُ بالضّخمِ في رُوائي ولا الفدْ مِ ولا بالمجعَّد الدَّحداحِ[2]
لِحْيَةٌ كثّة وأنفٌ طويلٌ واتِّقادٌ كشعلةِ المِصباحِ

(١) الوشاح: كرسان من لؤلؤ وجوهر منظومان يخالف بينهما معطوف أحدهما على الآخر.
(٢) الدحداح: القصير.

وكثيرُ الحديثِ مِنْ مُلَحِ النا س بصيرٌ بخافياتٍ مِلاح
كم وكم قد خَبأتُ عِندي حديثاً هُو عند الأمير كالتُّفاحِ
أيْمَنُ الناسِ طائراً يومَ صيْدٍ في غُدُوٍّ وبُكرةٍ أو رواح
أعلمُ الناسِ بالجوارحِ والصّيْـ ـدِ وبالخُرْدِ الحِسانِ الملاحِ
كلَّ هذا جَمعْتُ والحمدُ للهِ على أنني ظريفُ المُزاحِ
لستُ بالنّاسِك المُشَمِّر ثوْبيْـ ـهِ ولا الْفاتِكِ الخليعِ الوقاحِ
لو دعاني الأميرُ عايَنَ منّي شمّرياً كالبلبلِ الصدّاحِ (١)

قال: فدعاه فلما دخل عليه أتاه كتاب من أرمينية، فرمى به إليه، وقال له: أجب. فأجاب بما في غرضه وأحسن، فأمر له بألف ألف درهم؛ وكنا نَراه أولَ داخل وآخر خارج؛ وكان إذا ركب فرِكابُه مع ركابه.

قال محمد بن يزيد: فبلغ هذا الشعرُ أبا نُوَاس، فقال:

أنتَ أوْلى بقِلّةِ الحظِّ منّي يا مُسَمَّى بالبلبلِ الصدّاحِ
قد رأَوْا منهُ حين غَنّى لديهم أخرَسَ القوْلِ غيْرَ ذي إفصاحِ
ثم بالرِّيشِ شبّه النَّفس في الخِـ ـفّةِ مّما يكونُ تحتَ الجناحِ
فإذا الشّم من شماريخِ رضْوى خِفّة عِنْدَهُ نوى المِسْباحِ (٢)
لم يكُن فيكَ غيرُ شيْئَيْنِ مِمّا قلتَ في نعْتِ خَلْقِك الدّحداحِ
لحيةٌ جعْدةٌ وأنفٌ طويلٌ وسِوى ذاك ذاهِبٌ في الرياحِ
فيك ما يَحملُ الملوكَ على السُّخْـ ـفِ ويُزري بالماجِدِ الجحْجاحِ (٣)
باردُ الطرْفِ، مُظْلِم اللّبِّ، تيا هٌ، مُعيدُ الحديثِ، سَمْجُ المُزاح

قال: فبعث إليه أبان بأن لا تذيعها وخذ الألف ألف درهم! فبعث إليه أبو نواس: لو أعطيتني مائة ألف ألف درهم لم أجد بُداً من إذاعتها. فيقال: إن الفضل

(١) الشمري: الماضي في الأمور، المجرب. (٢) الشمراخ: العنقود عليه عنب. والمسباح: يريد به المسبحة.
(٣) الجحجاح: السيد السمح الكريم.

ابن يحيي لما سمع شعر أبي نواس قال: لا حاجة لي في أبان، لقد رُمِيَ بخمس في بيت لا يقبَلهُ على واحدة منهن إلا جاهل. فقيل له: كذَب عليه. فقال: قد قيل ذاك. فأقصاه؛ وإنما أغرى أبا نواس بهذا الكاتب: أبانِ بن عبد الحميد اللاحقي، أن الفضل بن يحيي أعطاه مالاً يفرِّقه في الشعراء، ويعطي كل واحد على قدره؛ فبعث إلى أبي نواس بدرهم زائف ناقص، وقال: إني أعطيت كل شاعر على مقدار شعره، وكان هذا أوفرَ نصيبك عندي. فهجاه لذلك.

توقيعات الخلفاء

عمر بن الخطاب رضي الله عنه

كتب إليه سعد بن أبي وقاص في بنيان يبنيه، فوقَّع في أسفل كتابه: آبنِ ما يُكنّك[1] من الهواجر وأذى المطر.

ووقع إلى عمرو بن العاص: كن لرعيتك كما تحبُّ أن يكون لك أميرك.

عثمان بن عفان رضي الله عنه

وقع في قصة قوم تظلموا من مروان بن الحكم وذكروا أنه أمر بِوَجْءِ[2] أعناقهم: ﴿فإن عصوْك فقل إني بريءٌ مما تعملون﴾[3].

ووقع في قصة رجل شكا عيلة عليه: قد أَمَرْنا لك بما يُقيمك، وليس في مال الله فضل للمسرف.

علي بن أبي طالب كرم الله وجهه

وقع إلى طلحة بن عبيد الله: في بيته يؤتى الحكم.

---

(١) يقال كنّ الشيء: أي استتر.

(٢) يقال وجأه باليد والسكين: أي ضربه.

(٣) سورة الشعراء الآية ٢١٦.

ووقع في كتاب جاءه من الحسن بن علي رضي الله عنه: رأيُ الشيخ خير من مشهد الغلام.

ووقع في كتاب سلمان الفارسي ـ وسأله كيف يحاسَب الناس يوم القيامة؟ـ: يُحاسَبون كما يُرزَقون..

ووقع في كتاب الحصين بن المنذر إليه يذكر أنّ السيف قد أكثر في ربيعة: بقية السيف أنْمَى عددا.

وفي كتاب جاءه من الأشتر النخعي فيه بعض ما يكره: مَن لك بأخيك كلّه؟

وفي كتاب صعصعة بن صُوحان يسأله في شيء: قيمة كلِّ امرىءٍ ما يُحسن.

معاوية بن أبي سفيان

كتب إليه عبد الله بن عامر في أمر عاتبه فيه، فوقع في أسفل كتابه: بيت أمية في الجاهلية أشرف من بين حبيبٍ في الإسلام، فأنت تراه.

وفي كتاب عبد الله بن عامر يسأله أن يُقْطِعَه مالا بالطائف: عشْ رَجباً[1] تَرَ عَجَباً.

وفي كتاب زياد يخبره بطعن عبد الله بن عباس في خلافته: إن أبا سفيان وأبا الفضل كانا في الجاهلية في مِسلاخ[2] واحد، وذلك حلْفٌ لا يَحُله سوء أدبك.

وكتب إليه ربيعة بن عِسل اليربوعي يسأله أن يعينه في بناء داره بالبصرة باثنى عشر ألف جذع: أدارُك في البصرة، أم البصرة في دارك؟

يزيد بن معاوية

وقع في كتاب عبد الله بن جعفر إليه يستميحه لرجال من خاصته: آحكُم لهم

(١) يريد عش رجباً بعد رجب.

(٢) المسلاخ: الجلد.

بآمالهم إلى منتهى آجالهم. فحكم [لهم] بتسعمائة ألف؛ فأجازها.

وكتب إليه مسلم بن عقبة المري بالذي صنع أهلُ الحرّة، فوقع في أسفل كتابه: ﴿فلا تأسَ على القوم الفاسقين﴾[1].

وفي كتاب مسلم بن زياد عامله على خراسان وقد استبطأه في الخراج: قليلُ العتاب يُحْكم مرائر الأسباب، وكثيرُه يَقطع أواخيَ الانتساب.

ووقع إلى عبد الرحمن بن زياد وهو عامله على خراسان: القرابة واشجة، والأفعال متباينة؛ فخذْ لرَحِمك من فعلك.

وإلى عبيد الله بن زياد: أنت أحد أعضاء ابن عمك، فاحرص أن تكون كلَّها.

عبد الملك بن مروان

وقع في كتاب أتاه من الحجاج [يشكو إليه نفراً من بني هاشم ويُغريه بهم] جنِّبْني دماءَ بني عبد المطلب، فليس فيها شفاءٌ من الطلب.

وكتب إليه الحجاج يخبره بسوء طاعة أهل العراق وما يقاسي منهم، ويستأذنه في قتل أشرافهم، فوقع له: إنّ من يُمن السائس أن يأتلف به المختلفون، ومن شُؤمه أن يختلف به المؤتلفون.

وفي كتاب الحجاج يخبره بقوّة ابن الأشعث: بضَعْفك قويَ، وبخُرقك طلع.

ووُقع في كتاب ابن الأشعث:

فما بالُ مَن أسعى لأجْبُرَ عظْمَه حِفاظاً، وينْوي من سَفاهته كَسْرِي؟

ووقع أيضاً في كتاب:

كيف يَرجون سِقاطي بعدَما شمِل الرأسَ مشيبٌ وصَلَعْ

---

(١) سورة المائدة الآية ٢٦٠.

الوليد بن عبد الملك

كتب إليه الحجاج لما بلغه أنه خَرق فيما خلّف له عبد الملك، ينكر ذلك عليه ويعرّفه أنه على غير صواب، فوقع في كتابه: لأجْمَعنّ المال جمعَ من يعيش. أبدا، ولا فرِّقنَّه تفريق من يموت غدا.

ووقع إلى عمر بن عبد العزيز، قد رأب الله بك الداء، وأوذم[1] بك السِّقاء.

سليمان بن عبد الملك

كتب قتيبة بن مسلم إلى سليمان يتهدّده بالخلع، فوقع في كتابه:

زعَم الفَرزدَق أنْ سيقتُلَ مِربَعاً   أبْشر بطُول سلامةٍ يا مِربَعُ

ووقع في كتابه أيضا: العاقبة للمتقين.

وإلى قتيبة أيضاً جواب وعيده: ﴿وإن تصبِروا وتتَّقوا لا يضُركم كيدُهم شيئا﴾[2].

عمر بن عبد العزيز

كتب بعض العمال إليه يستأذنه في مَرَمَّة مدينته، فوقع أسفل كتابه: آبنِها بالعدل، ونقِّ طُرُقها من الظلم.

وإلى بعض عماله في مثل ذلك: حصِّنْها ونفْسَك بتقوى الله.

وإلى رجل ولاه الصدقات، وكان دمياً فعدل وأحسن: ﴿ولا أقولُ للذين تَزدري أعيُنُكم لن يُؤتيَهمُ اللهُ خيرا﴾[3].

وكتب إليه صاحب العراق يخبره عن سوء طاعة أهلها، فوقع له: آرضَ لهم ما تَرضى لنفسك، وخذْ بجرائمهم بعد ذلك.

وإلى عدي بن أرطاة في أمر عاتبه عليه: إنّ آخِرَ آيةٍ أُنزلتْ ﴿واتَّقوا يوماً تُرجَعون فيه إلى الله﴾[4].

---

(١) أوذم: شدّ.

(٢) سورة هود الآية ٣١.

(٣) سورة آل عمران الآية ١٢٠.

(٤) سورة البقرة الآية ٢٨١.

وإلى عامله على الكوفة ـ وكتب إليه أنه فعل في أمرٍ كما فعل عمر بن الخطاب ـ: ﴿أولٰئك الذين هَدى اللهُ فبهداهمُ ٱقتَدِهْ﴾[1] .

وإلى الوليد بن عبد الملك ـ وعمرُ عامله على المدينة ـ فوقع في كتابه: اللهُ أعلم أنك لست أوّل خليفة تموت .

وأتاه كتاب عديّ يخبره بسوء طاعة أهل الكوفة، فوقع في كتابه: لا تَطلب طاعة من خذل عليّاً، وكان إماماً مرضياً .

وإلى عامله بالمدينة وسأله أن يُعطيَه موضعاً يبنيه، فوقع: كن من الموت على حذر .

وفي قصة متظلم: العدل أمامك .

وفي رقعة محبوس: تُبْ تُطلَق .

وفي رقعة رجل قَتل: كتاب الله بيني وبينك .

وفي رقعة متنصِّح: لو ذكرت الموت شغلك عن نصيحتك .

وفي رقعة رجل شكا أهل بيته: أنتما في الحق سيّان .

وفي رقعة امرأة حُبس زوجُها: الحقُّ حَبسه .

وفي رقعة رجل تظلم من ابنه: إن لم أُنْصِفْك منه فأنا ظلمتُك .

يزيد بن عبد الملك

وقع إلى صاحب خراسان: لا يغرنَّك حسنُ رأي، فإنما تفسِده عثرة. وإلى صاحب المدينة: عثرت فاستقِل .

وفي قصة متظلم: ﴿سيَعْلَمُ الذِين ظَلموا أيَّ مُنقلَبٍ ينْقلِبون﴾[2] .

وفي قصة متظلم شكا بعض أهل بيته: ما كان عليك لو صَفَحْتَ عنه واستوصَلْتني .

---

(١) سورة الأنعام الآية ٩٠ .

(٢) سورة الشعراء الآية ٢٢٧ .

هشام بن عبد الملك

في قصة متظلم: أتاك الغوث إن كنت صادقاً، وحلَّ بك النكال إن كنت كاذباً؛ فتقدّم أو تأخر.

وفي قصة قوم شكوا أميرهم: إن صح ما آدَّعيْتم عليه عزلناه وعاقبناه.

وإلى صاحب خراسان حين أمره بمحاربة الترك: احذر لياليَ البَيات[1].

وإلى صاحب المدينة وكتب يخبره بوثوب أبناء الأنصار: آحفظ فيهم رسول الله ﷺ، وهَبْهم له.

وقع في رقعة محبوس لزمه الحدّ: نزل بحدِّك الكتابُ.

ووقع في قصة رجل شكا إليه الحاجة وكثرةَ العيال، وذكر أن له حرمة: لعيالِك في بيت مال المسلمين سهم، ولك بحرمتك منّا مثْلاه.

وإلى عامله على العراق في أمر الخوارج: ضَعْ سيفك في كلاب النار، وتقرب إلى الله بقتل الكفار.

وإلى جماعة يشكون تعدي عاملهم عليهم: لنُفْوِّضنَّكم في خصمكم دونكم.

وفي كتاب عامله يخبره فيه بقلة الأمطار في بلده: مُرْهُم بالاستغفار.

وإلى سهل بن سيار: خَفِ الله وإمامَك، فإنه يأخذك عند أول زَلة.

يزيد بن الوليد بن عبد الملك بن مروان

وقع إلى مروان [بن محمد]: أراك تُقدّم رجلاً وتؤخِّر أخرى، فإذا أتاك كتابي هذا فاعتمد على أيِّهما شئت.

وإلى صاحب خراسان في المسوِّدة: نَجم أمرٌ أنت عنه نائم، وما أراك منه أو منّي بسالم.

مروان بن محمد

كتب إلى نصر بن سيار في أمر أبي مسلم: تحوُّل الظاهر يدل على ضعف الباطن، والله المستعان.

---

(١) يقال: أتاهم الأمر بياتاً: أي فجأة في جوف الليل.

ووقع إلى ابن هبيرة أمير خراسان: الأمر مضطرب، وأنت نائم، وأنا ساهر.
وإلى حوثَرَة بن سُهيل حين وجهه إلى قحطبة: كن من بيات المارقة على حذَر.
ووقع حين أتاه غَرَقُ قحطبة وانهزام ابن هبيرة: هذا والله الإدبار، وإلا فمن رأى ميّتاً هزم حيّاً؟
وفي جواب أبيات نصر بن سيار إذ كتب إليه.

أرى خَلَل الرَّمادِ وميض جمرٍ ويوشك أن يكون له ضِرام[1]

الحاضر يرى ما لا يرى الغائب، فآحسم الثؤلول[2].
فكتب نصر: الثّؤلول قد امتدت أغصانه، وعظمت نكايته.
فوقع إليه: يداك أُوكَتَا وفُوكَ نفخ.

توقيعات بني العباس

السفاح

كتب إليه جماعة من أهل الأنبار يذكرون أن منازلهم أُخِذَت منهم وأُدخلت في البناء الذي أمر به ولم يعطوا أثمانها، فوقع: هذا بناءٌ أُسِّس على غير تقوى ثم أمر بدفع قِيَم منازلهم إليهم.

ووقع في كتاب أبي جعفر وهو يحارب ابن هبيرة بواسط: إن حلْمَك أفسد علْمَك، وتراخيك أثر في طاعتك، فخذلي منك، ولك من نفسك.

ووقع إليه في ابن هبيرة بعد أن راجعه فيه غير مرة: لست منك ولستَ مِنِّي إن لم تقتله.

وجاءه كتاب من أبي مسلم يستأذنه في الحجِّ وفي زيارته، فوقع إليه: لا أحول بينك وبين زيارة بيت الله الحرام أو خليفته، وإذنُك لك.

ووقع في كتاب جماعة من بطانته يشكون احتباس أرزاقهم: من صبر في الشدة شارك في النعمة. ثم أمر بأرزاقهم.

---

(١) الضرام: الإشتعال.

(٢) الثؤلول: بثر صغير صلب مستدير، يظهر على الجلد كالحمّصة أو دونها وهنا بمعنى الخراج.

وإلى عامل تُظُلِّم منه: ﴿وما كنْتُ متَّخِذَ المضِلّينَ عَضُدا﴾[1] .

وفي قوم شكوا غرق ضياعهم في ناحية الكوفة: ﴿وقيل بُعْداً للقوم الظّالمين﴾[2] .

أبو جعفر

وقع في كتابه إلى عبد الله بن علي عمه: لا تجعل للأيام فيَّ وفيك نصيباً من حوادثها .

ووقع إليه أيضاً: ﴿آدْفع بالتي هيَ أحْسَنُ فإذا الذي بينكَ وبيْنَه عداوة كأنه ولِيٌّ حميم، وما يلقَّاها إلا الذين صبرُوا وما يلقَّاها إلا ذو حظّ عظِيم﴾[3] فاجعل الحظ لك دوني يكن لك .

ووقع إلى عبد الحميد صاحب خراسان: شكوتَ فأشكيناك، وعتَبْت فأعتبناك، ثم خرجت عن العامّة فتأهب لفراق السلامة .

وإلى أهل الكوفة وشكوا عاملهم: كما تكونون يُؤَمَّر عليكم .

وإلى قوم تظلموا من عاملهم: ﴿لا ينالُ عهْدِي الظالمين﴾[4] .

وفي قصة رجل شكا عيلة: سل الله من رزقه .

وفي قصة رجل سأله أن يبني بقُربه مسجداً فإن مُصلاه على بعد: ذلك أعظم لثوابك .

وفي قصة رجل قُطعت عنه أرزاقه: ﴿وما يفتح اللهُ للناسِ من رحْمة فلا مُمْسِكَ لها وما يُمسكْ فلا مرسِلَ له من بعدِهِ وهو العزيزُ الحكيم﴾[5]

وفي قصة رجل شكا الدّين: إن كان دينُك في مرضاة الله قضاه .

وإلى صارورةٍ سأله أن يحج: ﴿ولله على الناس حجُّ البيت مِن استطاع إليه سبيلاً﴾[6] .

---

(١) سورة الكهف الآية ٥١ .

(٢) سورة البقرة الآية ١٢٤ .

(٣) سورة هود الآية ٤٤ .

(٤) سورة فاطر الآية ٢ و ٣ .

(٥) سورة المؤمنون الآية ٩٦ . سورة فصلت الآية ٣٤ .

(٦) سورة آل عمران الآية ٩٧ .

وإلى صاحب مصر حين كتب يذكر نقصان النيل: طهِّر عسكرك من الفساد يعطك النيل القياد.

وإلى عامله على حمص، وجاء منه كتاب فيه خطأ: استبدل بكاتبك وإلا استُبْدل بك.

وإلى صاحب أرمينية: إن لي في قفاك عيناً، وبين عينيك عيناً؛ ولهما أربع آذان.

وإلى رجل استوصله: لا مانع لما أعطاه الله.

وفي كتاب أتاه من صاحب الهند يخبره أن جنداً شغبوا عليه، وكسروا أقفال بيت المال فأخذوا أرزاقهم منه: لو عدَلتَ لم يَشغبُوا ولو وفيت لم ينتهبوا.

المهدي

وقّع في قصة متظلمين شكوا بعض عماله: لو كان عيسى عاملَكم قدناه إلى الحق كما يقاد الجمل المخشوش. يريد عيسى ولده.

ووقع إلى صاحب أرمينية وكتب إليه يشكو سوء طاعة رعاياه: ﴿خُذِ العفْو وأْمُرْ بالعُرْف وأَعْرِض عن الجاهلين﴾[1].

وإلى صاحب خراسان في أمر جاءه: أنا ساهر وأنت نائم.

وفي قصة قوم أصابهم قحط: يقدّر لهم قوت سَنة القحط، والسنة التي تليها.

وإلى شاعر ـ أظنه مروان بن أبي حفصة ـ: أسرفت في مديحك فقصَّرنا في حِبائك.

وفي قصة رجل من الغارمين، خذ من بيت مال المسلمين ما تقضي به دَينك وتقر به عينك.

وفي قصة رجل شكا الحاجة: أتاك الغوْث.

وإلى رجل من بطانته استوصل: ليت إسراعنا إليك يقوم بإبطائنا عنك.

---

(١) سورة الأعراف الآية ١٩٩.

وفي قصة قوم تظلموا من عاملهم وسألوا إشخاصه إلى بابه: قد أنصف القارَةَ[1] من راماها.

وفي قصة رجل حُبس في دم: ﴿ولكُمْ في القِصاص حياةٌ يا أولي الألباب﴾[2].

وإلى صاحب خراسان وكتب إليه يخبره بغلاء الأسعار: خذهم بالعدل في المكيال والميزان.

وإلى يوسف البَرَم حين خرج بخراسان: لك أماني ومؤكَّد أيماني.

موسى الهادي

كتب إلى الحسن بن قحطبة في أمر راجعه فيه: قد أنكرناك منذ لزمت أبا حنيفة، كفاناه الله.

وإلى صاحب أفريقية في أمر فَرَط منه: يا بن اللخناء أني تتمرَّس[3].

هارون الرشيد

وقع إلى صاحب خراسان: داو جُرْحَك لا يتسع.

وإلى عامله على مصر: احذر أن تُخْرب خِزانتي وخزانة أخي يوسف فيأتيك مني ما لا قِبَلَ لك به، ومنَ الله أكثر منه.

ووقع في قصة رجل من البرامكة: أنبتته الطاعة وحصدته المعصية.

وإلى عامله على فارس: كن مني على مثل ليلة البيات.

وإلى عامل خراسان: إن الملوك يؤثر عنهم الحزْم.

وإلى خُزيمة بن خازم إذ كتب إليه أنه وضع السيف حين دخل أرض أرمينية: لا أمّ لك! تَقتل بالذنب من لا ذنب له؟

وفي قصة محبوس: من لجأ إلى الله نجا.

وفي قصة متظلم: لا يجاوَز بك العدل، ولا يقصَّر بك دون الإنصاف.

---

(١) القارة: قبيلة عربية عرفت بالجاهلية بالحذق في الرماية.

(٢) سورة البقرة الآية ١٧٩.

(٣) يقال تمرَّس الرجل: إذا مارس الفتن وخرج على إمامه.

وإلى صاحب السِّند إذ ظهرت العصبية: كل من دعا إلى الجاهلية تَعَجَّلَ إلى المنية.

وإلى عامله على خراسان: كل من رفع رأسه فأزِله عن بدنه.

وفي رقعة متظلم من عامله على الأهواز، وكان بالمتظلم عارفاً: قد ولَّيْناك موضعه، فتنكبْ سيرته.

وفي كتاب بكار الزُّبيري إليه؛ يخبره بسرٍّمن أسرار الطالبيِّين: جزى الله الفضل خيْرَ الجزاء في اختياره إياك وقد أثابك أمير المؤمنين مائة ألف بحسن نيتك.

وإلى محفوظ صاحب خراج مصر: يا محفوظ، اجعل خرج مصر خَرجاً واحداً، وأنت أنت.

وإلى صاحب المدينة: ضع رجليك على رقاب أهل هذا البطن فإنهم قد أطالوا ليلي بالسهاد، ونفَوْا عن عيني لذيذ الرقاد.

ووقع إلى السندي بن شاهك: خَفِ الله وإمامك، فهما نجاتُك.

وإلى سليمان بن أبي جعفر في كتاب ورد عليه منه يذكر فيه وثوب أهل دمشق استحَيْت بشيخ ولده المنصور، أن يهرب عمن ولَدَهُ كندة وطيء؛ فهلا قابلتَهم بوجهك، وأبديت لهم صفحتك، وبذلت لهم نصيحتك، وكنت كمروان ابن عمك أذ خرج مصلتاً سيفه متمثلاً ببيت الجحاف بن حكيم:

مُتقلِّـديـن صَفـائحــاً هنــديَّــةً يَتركْنَ من ضربوا كمن لم يـولَـدِ

فجالد به حتى قُتل؛ لله أَمٌّ ولدتْه، وأبٌ أنهضه.

وكتب متملك الروم إلى هارون الرشيد: إني متوجه نحوك بكل صليب في مملكتي، وكلِّ بطلٍ في جندي. فوقع في كتابه: ﴿وسيَعْلَمُ الكافرُ لِمَنْ عُقْبى الدار﴾(١).

وكتب إليه يحي بن خالد من الحبس حين أحس بالموت: قد تقدم الخصم إلى موقف الفصل، وأنت بالأثر، والله الحكم العدْل، وستَقْدُمُ فتعلم. فوقع فيه الرشيد:

---

(١) سورة الرعد الآية ٤٢.

الحكم الذي رضيته في الآخرة لك، هو أعْدى الخصم في الدنيا عليك، وهو من لا يُردُّ حكمه، ولا يُصرفُ قضاؤه.

المأمون

وقع إلى علي بن هشام في أمر تظلم: من علامة الشريف أن يَظلم من فوقه، ويظلمه من دونه؛ فأي الرجلين أنت؟

وإلى هشام: لا أُدنيك ولك ببابي خصم.

وإلى الرستمي في قصة مَن تظلم منه: ليس من المروءة أن تكون آنِيَتُك من ذهب وفضة، وغريمك خاوِ وجارُك طاو[1].

وفي قصة متظلم من عمرو بن مسعدة: يا عمرو، عَمِّر نعمتك بالعدل؛ فإن الجوْر يهدمها.

وفي قصة متظلم من أبي عباد: يا ثابت، ليس بين الحق والباطل قرابة.

وفي قصة متظلم من أبي عيسى أخيه: ﴿فإذا نفخ في الصُّور فلا أنسابَ بينهم يوْمئذٍ ولا يتساءلونَ﴾[2].

وفي قصة لمتظلم من حميد الطوسي: يا أبا غانم، لا تغتَّر بموضعك من إمامك، فإنك وأخسَّ عبيده في الحق سيَّان.

وإلى طاهر صاحب خراسان: آحمدْ أبا الطيب، إذ أحلك الخليفة محل نفسه فمالك موضعٌ تسمو إليه نفسُك إلا وأنت فوقه عنده.

وفي كتاب بشر بن داود: هذا أمانٌ عاقدت الله في مناجاتي إياه.

وفي كتاب إبراهيم بن جعفر في فَدَك[3] حين أمره بردّها؛ قد أرضيت خليفة الله في فدك، كما أرضى الله رسوله فيها.

وفي قصة متظلم من محمد بن الفضل الطوسي: قد احتملنا بَذاءك وشكاسَةَ خلُقك، فأما ظلمك للرعية فإنا لا نحتمله.

---

(١) طاو: أي جائع.

(٢) سورة المؤمنون الآية ١٠١. (٣) فدك: قرية بالحجاز.

ووقع إلى بعض عماله: طالع كلَّ ناحية من نواحيك وقاصية من أقاصيك بما فيه استصلاحها.

وكتب إليه إبراهيم بن المهدي في كلام له: إن غفَرْت فبفضلك، وإن أخذْت فبحقك. فوقع في كتابه: القدرة تُذْهب الحفيظة، والندم جزءٌ من التوبة وبينهما عفو الله.

ووقع في رقعة مولى طلب كسوة: لو أردت الكُسوة لَلزمْت الخدمة، ولكنك آثرْت الرُّقاد فحظُّك الرؤيا.

ووقع في يوم عاشوراء لبعض أصحابه وقد وافتْه الأموال: يؤمر له بخمسمائة ألف لطول همته، ولثمامة بن أشرس بثلثمائة ألف لتركه ما لا يعنيه، ولأبي محمد اليزيدي يؤمر له بخمسمائة ألف لكبره، وللمعلي بخمسمائة ألف لصحيح سنَته، ولإسحاق بن إبراهيم بخمسمائة ألف لصدق لهجته، وللعباس بخمسمائة ألف لفصاحة منطقه، ولأحمد ابن أبي خالد بألف ألف لمخالفة شهوته، ولإبراهيم بن بويه كذلك لسرعة دمعته، وللمرْيسي بثلثمائة ألف لإسباغ وضوئه، ولعبد الله بن بشر بمثلها لحسن وجهه.

توقيعات الأمراء والكبراء

زياد

وقّع إلى بعض عماله: قد كنت على الذُّعّار وإخالك ذاعرا.

وكتبت إليه عائشة في وَصاة برجل، فوقع في كتابها: هو بَيْنَ أبويه.

وإلى صاحب خراسان في أمر خالفه فيه: استر بعض دِينِك ببعض، وإلا ذهب كله.

وإلى عامله بالكوفة أمِطِ الحدودَ عن ذوي المروءات.

وفي قصة متظلم: أنا معك.

وفي قصة قومٍ رفعوا على عامل رفيعة[1]: من أماله الباطلُ قَوَّمَه الحق.

---

(١) الرفيعة: ما رفع به على الرجل.

وفي قصة مستمنح: لك المُواساة.
وإلى عامله في خوارج خرجوا بالبصرة: النساءُ تُحارِبُهم دونك.
وفي قصة سارق: القطع جزاؤك.
وفي قصة امرأة حُبس زوجها: حُكْمهُ إلى الله.
وفي قصة قوم نَقبوا: تُنقَبُ ظُهورُهم.
وفي قصة نبّاش: يُدْفَنُ حيّاً في قبره.
وفي قصة متظلم: الحقُّ يَسعُك.
وفي قصة متنصح: مهلاً فقد أبلغت إسماعي.
وفي قصة متظلم: كُفِيتَ.
وفي قصة رجل شكا إليع عقوقَ ابنه: ربما كان عقوقُ الولد من سوءِ تأديبِ الوالد!
وفي قصة رجل شكا الحاجة: لك في مال الله نصيبٌ أنت آخِذُه.
وفي قصة رجل جارح: الجروح قصاص.
وفي قصة محبوس: التائبُ من الذَّنْبِ كمن لا ذنب له.
وفي قصة قوم شكوا غرق ضياعهم: لا تعرَّضَ فيما تفرّد الله به.
وفي قصة قوم اشتكوا اجتياح الجراد لزروعهم: لا حكم فيما استأثر الله به.

الحجاج بن يوسف

وقع في كتاب أتاه من قتيبة بن مسلم يشكو كثرة الجراد، وذهاب الغلات، وما حل بالناس من القحط: إذا أزفَ خراجُك فانظر لرعيتك في مصالحها، فبيتُ المال أشدُّ اطلاعاً لذلك من الأرمَلة واليتيم وذي العَيلة.

وفي كتاب قتيبة إليه أنه على عبور النهر ومحاربة الترك: لا تخاطِرْ بالمسلمين حتى تعْرفَ موضِعَ قدمك، ومرمى سهامك.

وفي كتاب صاحب الكوفة يخبره بسوء طاعتهم وما يقاسي من مداراتهم: ما ظنُّك

بقومٍ قَتلوا من كانوا يعبدونه ؟

وفي قصة محبوس ذكروا أنه تاب: ﴿ما على المُحْسنين من سبيلٍ﴾[1].

وإلى قتيبة: خُذْ عسكرك بتلاوة القرآن، فإنه أمْنَعُ من حُصُونك.

وفي كتابه إلى بعض عماله: إياك والملاهي حتى تستنظف[2] خراجَك.

وفي كتاب إلى ابن أخيه: ما ركب يهوديٌّ قبلك مِنْبراً.

وفي كتابه إلى يزيد بن أبي مسلم: أنت أبو عبيدة هذا القَرْنُ.

أبو مسلم

وقع في كتاب سليمان بن كثير الخزاعي: ﴿لكل نبإٍ مستَقر وسوف تعلمون﴾[3].

وإلى أبي العباس في يزيد بن عمر بن هبيرة: قَلَّ طريقٌ سهل تُلْقَى فيه الحجارةُ إلا عاد وعْراً؛ واللهِ لا يَصلُحُ طريقٌ فيه ابنُ هبيرة أبداً.

وإلى ابن قحطبة: لا تنسَ نصيبك من الدنيا.

وإليه: ﴿ادعُ إلى سبيل ربِّكَ بالحِكمةِ والموْعِظَةِ الحَسنَةِ﴾[4].

وإليه: ﴿ولا تَركنوا إلى الذينَ ظلَموا فتمَسَّكُم النارُ﴾[5].

وإلى محمد بن صول وكتب إليه بسلامة أطرافه: ﴿وأمّا بنِعْمة ربكَ فحدِّث﴾[6].

وكتب إليه قحطبة: إن بعض قُوّاده خرج إلى عسكر بن ضُبارة راغباً فوقّع في كتابه: ﴿ألم تَرَ إلى الذينَ بدّلوا نعمَةَ اللهِ كُفراً وأحلّوا قوْمَهُم دارَ البوارِ جَهنَّم يَصْلوْنَها وبئْسَ القرارُ﴾[7].

وإلى عامله ببلخ: لا تؤخر عمل اليوم لغد.

وإلى أبي سلمة الخلال حين أنكر نيته: ﴿وإذا لَقُوا الذين آمنوا قالوا آمنّا وإذا خَلْوا إلى شياطِينِهم قالوا إنّا معكُم﴾[8].

---

(١) سورة التوبة الآية ٩١.

(٢) يقال: استنظف الوالي ما عليه من الخراج: أي استوفاه.

(٣) سورة الأنعام الآية ٦٧.

(٤) سورة النحل الآية ١٢٥.

(٥) سورة هود الآية ١١٣.

(٦) سورة الضحى الآية ١١.

(٧) سورة ابراهيم الآية ٢٨.

(٨) سورة البقرة الآية ١٤.

جعفر بن يحي

وقع في قصة محبوس: ﴿لِكلِّ أجلٍ كِتابٌ﴾[1] .

وفي مثله: العدل يُوبقه، والتوبة تطْلِقه .

وفي قصة متنصح: بعضُ الصدق قبيح .

وفي رجل شكا بعضَ عُمَّاله: قد كثر شاكوك، وقل شاكروك؛ فإما عدلت، وما اعتزلت .

وفي قصة رجلٍ شكا بعض خدمه: خذ بأذُنه ورأسه فهو مالك .

وإلى عامل فارس في رجل كتب إليه بالوصاة: كن له كأبيه لو كان مكانك .

وإلى عامل مصر في رجل من بطانته يوصيه: إنه رغب إلى شعبك فارغب في اصطناعه .

وفي قصة متظلم من بعض عماله: إني ظلمتك دونه .

وفي قصة محبوس: الجناية حبسته والتوبةُ تطْلِقه .

وإلى قوم: عيْنُ الخليفة تكلؤكم ونظرُه يَعُمُّكم .

وفي رقعة صرورة استأذنه في الحج: من سافر إلى الله أنجح .

وفي قصة رجل شكا عزوبة: الصومُ لك وجاءٌ[2] .

وفي رقعة رجل سأل ولاية: لا أُوَلي بعض الظالمين بعضا .

وفي قصة رجل سأل أن يُقفل ابنه فقد طالت غيبته عنه: غيبةُ يوسف ﷺ كانت أطْوَل .

وفي قصة رجل تظلم من عماله: إنَّا لَمِثْلُه حتى نُنصفك .

وفي قصة مستمنح قد كان وصله مراراً: دعِ الضرع يَدِرُّ لغيرك كما درَ لك .

وإلى الفضل بن الربيع وجاءه منه كتابٌ غَمَّه وكربه: كثرة ملاحاة الأوِدّاء، رُبما أراقت الدماء .

وإلى منصور بن زياد في أمر عاتبه فيه: لم نزرعك لنحصدَك .

---

(١) سورة الرعد الآية ٣٨ .

(٢) الوجاء: شبيه بالخصاء .

وإلى بعض عماله: اجعل وسيلتك إلينا ما يَزيدك عندنا.

وإلى بعض ندمائه: لا تبعد من ضمِّك.

ووقع إلى متنصل من ذنب: حكم الفلتات خلاف حكم الاصرار.

الفضل بن سهل

كتب إلى أخيه الحسن: آحمد الله يا أخي، فما يبيت خليفة الله إلا على ذكرك وإلى طاهر: لخيرٍ ما آتضعْت.

وإليْه: لشرّما سَمَوْتَ.

وإلى هرثمة وأشار عليه برأي: لا يُحَلّ ما عقدت.

وفي قصة متظلم: كفى بالله للمظلوم ناصرا.

وفي قصة نقب بيت المال: يُدْرَأ عنه الحد إن كان له فيه سهم.

ووقع إلى حاجبه: تمهَّل وتسهَّل.

وإلى صاحب الشرطة: تَرفَّق تُوفَّق.

وإلى رجل شكا غلبة الدَّيْن: قد أمرنا لك بثلاثين ألفاً وسنَشفعُها بمثلها، ليرغب المستمنحون.

وفي قصة متظلم: طِبْ نفْساً فإنّ الله مع المظلوم.

وإلى رجل شكا إليه الدَّيْن: الدَّين سوء يهيض الأعناق، وقد أمرنا بقضائه.

وفي قصة قوم قطعوا الطريق: ﴿إنما جزاءُ الذين يُحارِبون اللهَ ورسولَه ويَسعوْن في الأرض فساداً أن يُقتَّلوا أو يُصلَّبوا أو تُقطَّعَ أيديهم وأرجلَهم من خلافٍ أو يُنْفوْا من الأرض، دلك لهم خزيٌ في الدنيا ولهم في الآخرةِ عذابٌ عظيمٌ﴾[1].

(١) سورة المائدة الآية ٣٣.

وفي أمريءٍ قاتل شهد عليه العدول فشُفع فيه: كتاب الله أحقُّ أن يُتْبع.

وفي قصة رجل شُهد عليه أنه شتم أبا بكر وعمر: يُضرَب دون الحدّ ويُشهر ضربهُ.

الحسن بن سهل ذو الرياستين

وقَّع في قصة متظلم: يُنْظَر فيما رَفع، وإنَّ الحق منيع، وإلاّ فشفاء السقيم دواءُ السقم.

وفي قصة قوم تظلموا من والِيهِم: الحقُّ أولى بنا، والعدل بُغْيَتنا، وإن صح ما ادّعيتم عليه صرفناه وعاقبناه.

وفي قصة آمرأة حُبس زوجُها: الحق يَحبسه والإنصاف يُطلقه.

وفي رقعة رائد: قد أمرنا لك بشيء هو دون قدرك في الاستحقاق، وفوق الكفاية مع الاقتصاد.

وكتب إليه رجل من الشعراء يقول له:

رأيتُ في النوم أني راكبٌ فرساً ... ولي وصِيفٌ وفي كفّي دنانيرُ
فقال قومٌ لهم فهْمٌ ومعرفة ... رأيتَ خيراً وللأحلامِ تعبيرُ
روِّياك فسِّر غداً عند الأمير تَجدْ ... تعبيرَ ذاك وفي النوم التَّباشير

فوقع في أسفل كتابه ﴿أضغاثُ أحلامٍ وما نحن بتأويلِ الأحلامِ بعالِمِيْن﴾[1] وأطلق له ما التمسه.

ودخل بعض الشعراء على عبد الملك بن بشر بن مروان فأنشده:

أغْفيْتُ عند الصبح نومَ مسهَّدٍ ... في ساعةٍ ما كنتُ قبلُ أنامُها
فرأيتُ أنك رُعْتني بوليدةٍ ... رُعْبوبَةٍ حسَنٍ عليَّ قيامُها[2]

---

(١) سورة يوسف الآية ٤٤.

(٢) رعبوبة: بيضاء حسنة رطبة حلوة.

وببَــدرةٍ حُمِلَــتْ إليَّ وبغلــةٍ دَهماءَ مُشرِفــةٍ يَصِــلُّ لجامهـــا
فـدعـوْت ربي أن يُثيبــك جنــةَ عِوضاً يَصيبك بَـردُهـا وسلامهـا
تلك المنابرُ يـا بنَ مـرْوان النَّـدى أضحتْ وأنت خَطيبهـا وإمـامهـا

فقال له: أبشر في كل شيء أصبت إلا البغلة، فإني لا أملك إلا شُهبا، فقال له: امرأتي طالق إن كنت رأيتُها إلا شهبا، إلا أني غَلِطت.

طاهر بن الحسين

وقَّع في كتاب رجل تظلم من أصحاب نصر بن شَبيب: طلبَ الحق في دار الباطل.

وفي قصة رجل طلب قبالةَ[1] بعض أعماله: القبالة مفتاح الفساد، ولو كانت صلاحا ما كنتَ لها موضعا.

وإلى السِّندي بن شاهك وجاءه منه كتاب يستعطفه فيه: عِشْ ما لم أرَاك.

والى خُزيمة بن خازم: الأعمال بخواتيمها، والصنيعة باستدامتها وإلى الغاية ما جرى الجواد، فحُمد السابق وذُم الساقط.

وإلى العباس بن موسى الهادي واستبطأه في خراج ناحيته:

وليس أخو الحاجات مَن بات نـائماً ولكن أخوها مَن يَبيت على رَحْـلِ

وفي رقعة متنصح ﴿سننظر أصدَقتَ أم كنت من الكاذِبين﴾[2].

وفي قصة محبوس: يُطلَق ويعتق.

وفي رقعة مستوصل: يُقام أوَدُه.

وكتب أبو جعفر إلى عمرو بن عبيد: أبا عثمان، أعِنّي بأصحابك، فإنهم أهل

(١) القبالة: الكفالة. (٢) سورة النحل الآية ٢٧.

العدل وأصحاب الصدق والمؤثرون له . فوقع في كتابه : آرفع علَمَ الحق يتبْعْك أهله .

توقيعات العجم

وقَّع أردشير في أزمة عمت المملكة: من العدل أن لا يفرح الملِك ورعيَّته محزونون . ثم أمر ففُرِّق في الكور جميع ما في بيوت الأموال .

ورفع رجل إلى كسرى بن قباذ رقعة يخبره فيها أنّ جماعة من بطانته قد فسدتْ نيَّاتهم وخبُثت ضمائرهم، منهم فلان وفلان؛ فوقع في أسفل كتابه: إنما أمْلك ظاهر الأجسام لا النيات، وأحكم بالعدل لا بالهوى، وأفحص عن الأعمال لا عن السرائر.

ووقع كسرى في رقعة مدح: طوبي للممدوح إذا كان للمدح مستحِقا، وللداعي إذا كان للإجابة أهلا .

وكتب إليه متنصح أنّ قوما من بطانته اجتمعوا للمنادمة، فعابوه وثلموه، فوقَّع: لئن كانوا نطقوا بألسنة شتى لقد اجتمعت مساويها على لسانك فجُرحُك أرغَب[1] ، ولسانك أكذب .

ورفع إليه جماعة من بطانته رقعة يشكون فيها سوء حالهم، فوقع: ما أنصفكم مَن إلى الشَّكِيَّة أحوجكم . ثم فرّق بينهم ما وسعهم وأغناهم .

ووقع أنو شروان إلى صاحب خراجه: ما آستُغْزِر الخراج بمثل العدل، ولا آستُنزر بمثل الجوْر.

ووقع في قصة رجل تَظلم منه: لا ينبغي للملِك الظَّلم ومن عنده يُلتمس العدل، ولا يبخل ومن عنده يُتوقع الجود . ثم أمر بإحضار الرجل وقعد معه بين يدي المُوبذ[2] .

ووقع في قصة محبوس: من رَكِبَ مَا نُهِيَ عنه حيل بينه وبين ما يشتهي .

---

(١) أرغب: أوسع . (٢) الموبذ: فقيه الفُرس .

ودفع إليه بعض خدمه رقعة يخبره فيها بكثرة عياله، وسوء حاله، فعرف كذبه، فوقع: إن الله خفف ظهرك فثَقَّلْتَه، وأحسن إليك فكَفَرْتَه فتب إلى الله يَتُبْ عليك.

ووقع في قصة رجل سعى إليه بباطل: باللسان آحفظ رأسك.

ووقّع في قصة رجل ذكر أن بعض قرابة الملك ظلمه وأخذ ماله: لا تصلح العامة إلا ببعض الحيف على الخاصة؛ فإن كنت صادقاً أَبَحْتُكَ جميع ما يملكه. فلم يتظلم بعدها أحد من قرابته.

فصول في المودّة

كتب عبد الرحمن بن أحمد الحراني إلى محمد بن سهل:

أعزك الله، إن كل مجازاة قاصرة عن حق السابق إلى افتتاح الود، وقد علمت أني استقبلتك من الإقبال عليك بما لم تَسْتدعه، واعتمدتك من الرغبة فيك بما لم توله.

وفصل لأبي علي البصير: قد أكد الله بيننا من الودِّ ما نأمن الدهر على حل عقده ونقض مِراره، وما يستوي منه ثقتنا بأنفسنا لك وثقتُنا بما عندك.

وفصل له: الحال فيما بيننا يحتمل الدالة، ويوجب الأنس والثقة، وبسط اللسان بالاستزادة؛ وأنا أمت إليك بالحرمة المتقدمة، والأسباب المؤكدة، التي تحل صاحبها محل خاصة الأهل والقرابة.

وفصل لإبراهيم بن العباس: المودّة يجمعنا حبلها، والصناعة تؤلفنا أسبابها، وما بين ذلك من تراخ في لقاء، أو تخلف في مكاتبة، موضوع بيننا، يوجب العذر فيه.

وفصل لسعيد بن عبد الملك: أنا صَبٌّ[1] إليك، سامي الطرف نحوك، وذكرك ملصقٌ بلساني، وآسمك حُلْو على لهواتي، وشخصك ماثلٌ بين عينيّ، وأنت أقرب الناس من قلبي، وآخذُهم بمجامع هواي.

---

(١) صبّ: مشتاق.

وفصل له: لنحن أحقّ بابتدائك بما ابتدأتنا به من الصلة، إلا أنك أحق بالفضل الذي سبقتَ إليه.

وفصل لسعيد بن حميد: إني أهديت مودّتي رغبة إليك، ورضيت بالقبول منك مثوبة، فصرتَ بقبولها قاضيا لحق، ومالكا لرق، وصرت بالتسرع إلى الهدية، والتنظّر للمثوبة، مرتهن اللسان بالجزاء، واليدين بالوفاء.

وفصل له: إني صادفت منك جوهرَ نفسي، فأنا غير محمود على الانقياد لك بغير زمام، لأن النفس يقودها بعضُها بعضا.

وقال أبو العتاهية:

وللقلـب على القلـب دليـل حين يلقـاهُ
وللنـاس مـن النـاس مقـاييسٌ وأشبـاه

وفصل له: لساني رطْبٌ بذكرك، و[مكانك من قلبي] معمور بمحبتك، حضرتَ أو غِبت، سرْتَ أو أقْمتَ. كقول أخي أبي دلف:

لعمري لئِن قرّت بقربـكَ أعيُـنٌ لقد سخنَتْ بالبيْـنِ منـكَ عيـونٌ
فسِرْ أو فقِف، وقفٌ عليك مـودّتي مكانُـك مـن قلبي عليـكَ مَصـون

وفصل لإبراهيم بن المهدي: كتابي إليك كتاب مخبر وسائل، فأما الإخبار فعن تصرُّف الخطوب بما يوجب العذرَ عند صديقي العزيز علي في إبطائي بالتعد له، وأما السؤال فعن إمساك هذا الأخ الودود المودود عن مثل ذلك وإن العذر كاشف ما سلف، مصلح لما استأنف.

فصول في الزيارة

كتب الحسين بن الحسن بن سهل إلى صديق له:

نحن في مأدُبة لنا تشرف على روضة تُضاحك الشمس حسنا، قد باتت السماء

تكلّها، فهي شرقة بمائها، حالية بنوّارها[1]، فبادر إلينا لنكون على سواء من استمتاع بعضنا ببعض؛ فكتب إليه:

هذه صفة لو كانت في أقاصي الأطراف لوجب انتجاعها[2]، وحثّ المطيّ في ابتغائها؛ فكيف في موضع أنت تسكنه، وتجمعُ إلى أنيق منظرِه، حُسْن وجهك وطيب شمائلك! وأنا الجواب!

وفصل: كتب إسحاق بن إبراهيم الموصلي إلى أحمد بن يوسف في المصير إليه وعند أحمد بن يوسف إبراهيم بن المهدي؛ فكتب:

عندي من أنا عنده، وحُجّتنا عليك إعلامنا إياك.

وفصل: إنه من ظَميء شوقه من رؤيتك، استوجب الرِّيَّ من زيارتك. ثم كتب تحت هذا:

سر إلينا تَفديك نفسي من السُّو ء فقد طال عهدُنا بالتلاقي
واجعلَنْ ذاك - إن رأَيْتَ - جوابي فلقد خِفتُ سطوةَ الإشتياق

وفصل: إلى الله أشكو شدة الوحشة لغيبتك، وفرْطَ الحزن من فراقك، وظلم الأيام بعدك؛ وأقول كما قال بعض المحدثين:

غضارة دنيا أظلم العيْشُ بعدها وعند غروب الشمس يُعرف فقدُها

وفصل: الشوق إليك وإلى عهد أيامنا التي حسنت بك كأنها أعياد، وقصرَت كأنها ساعات - يُفَوّت الصفاء؛ ومما يجدّده ويكثر دواعيه، تصاقُبُ الديار، وقربُ الجوار، تمم الله لنا النعمة المجددة فيك، بالنظر إلى الغرة المباركة التي لا وحشة معها، ولا أنس بعدها.

وفصل: مثلُنا أعزك الله في قرب تجاورنا وبُعد تزاورنا، ما قيل في أهل القبور:

هُم جيرة الأحياء، أما مزارُهم فدانٍ، وأمّا الملتقى فبعيدُ!

---

(١) النوّار: الزهر. (٢) انتجاعها: أي قصدها لطلب المعروف.

وكل علة معك محتملة، وكل جفوة مغفورة، للشغف بك، والثقةِ بحسن نيتك؛ وسنأخذ بقول أبي قيس بن الأسلت:

ويُكرمُها جاراتُها فيزرْنَها وتعتلُّ عن إتيانِهنَّ فتُعْذَرُ

وفصل: كتب حكيم إلى حكيم: يا أخي، إن أيام العُمُرِ أقلُّ من أن تحتمل الهجر! والسلام.

فصل: كتب أحمد بن يوسف: لا تجوز قطيعةُ الصديق؛ لأنها لا تخلو من أحد وجهين إما ضعف في نفس الاختيار، وإما ملل؛ وكلاهما حجة فيه.

وفصل: طال العهد بالاجتماع حتى كدنا نتناكر عند الالتقاء؛ وقد جعلك الله للسرور نظاما، وللأنس تَماما، وجعل المشاهِدَ موحِشةً إذا خلتْ منك.

وكتب الحسن بن وهب إلى محمد بن عبد الملك الزيات:

أوجبَ العذْرَ في تراخي اللقاء ما تَوالي من هذهِ الأنواء[1]
فسلامُ الإله أُهديه منيّ كلَّ يومٍ لسيِّد الوزَراء
لست أدري ماذا أقولُ وأشكو من سماءٍ تعوقُني عن سماء
غير أني أدعو على تلك بالثُّكـ ـلِ وأدعو لهذهِ بالبقاء

وقال آخر:

أزُور محَمَّداً فإذا التقيْنا تكلمَتِ الضمائِرُ في الصدورِ
فأرجعُ لم أَلُمه ولم يَلُمني وقد رضِيَ الضمير عنِ الضَّمير

فصول في وصاة

كتب الحسن بن وهب إلى مالك بن طوق في ابن أبي الشيص:

كتابي إليك خططتُه بيميني، وفرّغت له ذهني، فما ظنك بحاجة هذا موقعها مني،

(١) الأنواء: جمع النوى: وهو البعد.

أتُراني أقبل العذر فيها، وأُقصِّر في الشكر عليها؟ وابن أبي الشيص قد عرفته ونسبَه وصفاتِه، ولو كانت أيدينا تنبسط ببِرِّه ما عدانا إلى غيرنا، فاكتف بهذا منا.

وفصل: كتابي إليك كتاب معْنِيّ بمن كَتب له، واثقٍ بمن كُتِب إليه، ولن يَضيع بين الثقة والعناية حاملُه.

وفصل: كتب العتابي فكاد أن يختل بالمعنى من شدة الاختصار، فكتب:

حامل كتابي إليك أنا، فكن له أنا! والسلام.

وفصل للحسن بن سهل: فلان قد استغنى باصطناعك إياه عن تحريكي إياك في أمره، فإن الصنيعة حرمة للمصنوع إليه ووسيلة إلى مصطنعِه، فبسط الله يدك بالخيرات، وجعلك من أهلها، ووصل بك أسبابها.

وفصل له: موصِّل كتابي إليك أنا، فكن له أنا، وتأملْه بعين مشاهدتي وخُلَّتي، فبلسانه أشكرُ ما أتيت إليه، وأذم ما قصرت فيه.

فصول في عتاب

كتب أحمد بن يوسف:

لولا حسنُ الظن بك ـ أعزَّك الله ـ لكان في إغضائك عني ما يَقْبضني عن الطَّلْبة إليك، ولكن أمسكَ برمقٍ من الرجاء علمي برأيك في رعاية الحق، وبسْط يدك إلى الذي لو قبضتها عنه، لم يكن له إلا كرمُك مذكِّراً، وسودَدك شافعا فصل: أما بعدَ البرء من مريض داؤه في دوائه، وعلّته في حميَتِه! أنا منك كالغاصِّ بالماء لا مساغ له.

وكما قال الشاعر:

كنت مِن كُربَتي أفرُّ إليهم ... وهُمُ كُربَتي، فأين الفرارُ؟

فصل: أنا منتظر واحدة من اثنتين: عُتْبي تكون منك، أو عقبي تغني عنك!

فصل: أما بعد، فقد كنت لنا كلَّك، فاجعل لنا بعضك، ولا نرضى إلا بالكل لك منا.

فصل: أنا أُبقي على وُدِّك من عارض يغيِّره، أو عتاب يقدح فيه، وآمل عائدا من حسن رأيك، يغني عن اقتضائك.

فصل: ألهمك الله من الرشد بحسب ما منحك من الفضل. لو أن كل من نازع إلى الصرْم قلَّدناه عِنان الهجر، لكُنَّا أولى بالذنب منه ولكن نَرُدُّ عليك من نفسك ونأخذ لها منك.

فصل: لعبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر ذي الجناحين.

أما بعد، فقد عاقني الشك في أمرك عن عزيمة الرأي فيك؛ ابتدَأْتني بلطف عن غير خبرة، وأعقبْته جفاءً من غير ذنب؛ فأطمعني أوّلك في إخائك، وآيسني آخرك من وفائك؛ فسبحان من لو شاءَ لكشف من أمرك عن عزيمة الرأي فيك؛ فأقمنا على ائتلاف أو افترقنا على اختلاف!

فصل: إذا جعلت الظنَّ شاهدا تعدل شهادته بعد أن جعلته حكما يحيف في حكومته، فأين الموئل من جَوْرك؟ ولست أسلك طريقا من العتب عليك إلا شدّة ما أنطوى عليه من مودتك، ولا سبيل إلى شكايتك إلا إليك، ولا استعانة إلا بك، وما أحقَّ من جعلك على أمر عونا أن تكون له إلى النجاح سبباً!

وقال الشاعر:

عجبْتُ لقلبك كيف انقلبْ ... ومن طول وُدِّك، أنى ذهَبْ

وأعجبُ من ذا وذا أنني ... أراك بعيْن الرّضا في الغضب!

وفصل: إن مسألتي إليك حوائجي مع عتبك عليَّ من اللؤم وإن إمساكي! عنها في حال ضرورة إليها مع علمي بكرمك في السخط والرضا، لعجزٌ؛ غير أني أعلم أن أقرب الوسائل في طلب رضاك، مساءلتُك ما سنح من الحاجة؛ إذ كنت لا تجعل

عتبك سبباً لمنع معروفك.

وفصل: لو كانت الشكوك تختلجني في صحة مودّتك وكريم إخائك ودوام عهدك، لطال عتبي عليك، في تواتر كتبي وآحتباس جواباتها عني؛ ولكن الثقة بما تقدم عندي، تعذرك وتُحسن ما يُقبِّحه جفاؤك، والله يديم نعمته لك ولنا بك.

وفصل لابن المدبر: وصل كتابك المفتتح بالعتاب الجميل، والتقريع اللطيف؛ فلولا ما غلب عليَّ من السرور بسلامتك، لتقطعت غماً بعتابك، الذي لطف حتى كاد يخفى عن أهل الرقة والفطنة، وغلظ حتى كاد يفهمه أهل الجهل والبله؛ فلا أعدَمَني الله رضاك مجازيا به على ما آستحقَّه عتبُك، فأنت ظالم فيه، فهو وليُّ المخرج منه.

وقال أبو الدرداء: إعتاب الأخ خيرٌ من فقده.

وقال الشاعر:

إذا ذهب العِتابُ فليس وُدٌّ ... ويبقى الوُدُّ ما بقي العِتابُ

وقال آخر في غير هذا المعنى:

إذا كنت تغضب من غير ذنبِ ... وتعتِب في كلِّ يومٍ عليَّا
طلبْتُ رضاك، فإنْ عزَّني ... عددْتُك مَيتاً وإن كنت حيَّا
ولا تُعجَبَنَّ بما في يديْك ... فأكثر منه الذي في يديَّا!

وفصل في عتاب: العتاب قبل العقاب؛ فليكن إيقاعك بعد وعيدك، ووعيدك بعد وعدك.

وفصل: قد حميت جانب الأمل فيك، وقطعت أسباب الرجاء منك وقد أسلمني اليأس منك إلى العَزاء عنك؛ فإن ترغب من الآن فصفْحٌ لا تثريب معه، وإن تماديت فهجْرٌ لا وصل بعده.

فصول في التنصل

كتب ابن مُكرم: لاوَ عظيمِ أملي فيك ما أتيت فيما بيني وبينك ذنباً مخطئاً ولا متعمِّدا، ولعل فلتة لم أُلق بالا، فأوطيء لها اعتذارا، وإلا تكن فنَفْثة حاسد زخرفها على لسان واشٍ، نبذها إليك في بعض غِرّاتك، أصابت مني مقتلا وشفَتْ منه غليلا.

وفصل: ليس يُزيلُني عن حُسن الظنَّ بك فعلٌ حَملك الأعداءُ عليه، ولا يقطعني عن رجائك عَتْب حَدَثَ عليَّ منك؛ بل أرجو أن تتقاضى كرمَك إنجاز وعدك، إذ كان أبلغ الشفعاء إليك، وأوجب الوسائل لديك.

وفصل: أنت ـ أعزك الله ـ أعلم بالعفو والعقوبة من أن تجازيني بالسوء على ذنب لم أَجْنِه بيد ولا لسان، بل جناه علي لسان واش، فأما قولك: إنك لا تُسهِّل سبيل العذر؛ فأنت أعلم بالكرم وأرعى لحقوقه وأعرف بالشرف وأحفظ لذماماته[1] من أن تردّ يدَ مؤمِّلك صِفْراً من عفوك إذا التمسه، ومن عذرك إذا جعل فضلك شافعاً فيه وذريعة له.

وفصل لإبراهيم بن العباس: الكريم أوسع ما تكون مغفرته إذا ضاقت بالمذنب معذرته.

وفصل: يا أخي، أشكو إلى الله وإليك تحامل الأيام عليّ، وسوء أثر الدهر عندي، وأني معلق في حبائل مَن لا يَعرِف موضعي، ولا يحلُو عنده موقعي، أطلب منه الخلاص فيزيدني كلفا، وأرتجي منه الحق فيزداد به ضناً، فالثواءُ ثواءُ مقيم، والنية نية ظاعن والزَّماع[2] زَماع مرتحل؛ ما أذهَب إلى ناحية من الحيلة إلا وجَدْت من دونها مانعاً من العوائق؛ فأحمل الذنب على الدهر وأرجع إلى الله بالشكوى، وأسأله جميل العقبى وحسن الصبر.

---

(١) الذمامات: جمع ذمامة، وهي العهد. (٢) الزماع: المضاء في الأمر والعزم عليه.

فصول في حسن التواصل

للمفْضّل أن يخص بفضله من شاء، وله الحمد فيما أعطى، ولا حجة عليه فيما منع، وكن كيف شئت، فإني قد أوليتك خالصة سريرتي، أرى ببقائك بقاء سروري، وبدوام النعمة عندك دوامها عندي.

وفصل: قد أغنى الله بكرمك عن الذريعة إليك والاستعانة عليك؛ لأن حسن الظن بالله فيك، وتأميل نجح الرغبة إليك فوق الشفعاء عندك.

وفصل: قد أفردتك برجائي بعد الله، وتعجلت راحة اليأس ممن يجود بالوعد ويضن بالإنجاز، ويحب أن يفضَّل ويزهد في أن يُفْضِل، ويعيب الكذب ولا يصدق.

وفصل: ضَعْني ـ أكرمك الله ـ من نفسك حيث وضعت نفسي من رجائك. أصاب الله بمعروفك مواضعه، وبسط بكل خير يدك.

وفصل: لا أزال ـ أبقاك الله ـ أسأل الكتاب إليك، فمرة أتوقف توقف المخفف عنك من المئونة، ومرة أكتب كتاب الراجع منك إلى الثقة والمعتمد منك على المِقَة[1]؛ لا أعدمَنا الله دوام عِزِّك، ولا سلَب الدنيا بهجتَها بك ولا أخلانا من الصنع لك؛ فإنا لا نعرف إلا نعمتك، ولا نجد للحياة طعماً إلا في ظلك؛ ولئن كانت الرغبة إلى بَشَر من الناس خساسة وذلاً، لقد جعل الله الرغبة إليك كرامة وعزّاً؛ لأنك لا تعرف حُرّاً قعد به دهرُه، إلا سَبقْت مسألته بالعطية وصُنْت وجهه عن الطلب والذِّلة.

وفصل: لي عليك حق التأميل والشكر، بما ابتدأت من المعروف، ولك عليّ حق الاصطناع والفضل، والتنويه بالاسم والشكر؛ وليس يمنعني علمك بزيادة حقك على ما أبلغه من شكرك، من مساءلتك المزيد؛ إذ كنت قد انتهيت إلى ما بلغه المجهود، وخرجت من منزلة الإضاعة والتقصير، وإذ كنت تسمح بالحق عليك، وتطيب نفساً

(١) المقة: المحبة.

عن حقك اليسير، ولا تكلف أحداً شكرك على الكثير.

فصل: لك ـ أصلحك الله ـ عندي أيادٍ تشفع لي إلى محبتك، ومعروفٌ يوجب عليك الرَّبَّ[1] والإتمام.

فصل: أنا أسأل الله أن يُنْجِزَ لي ما لم تزل الفِراسةُ[2] تعِدُنيه فيك.

فصل: قد أجلَّ اللهُ قدْرَكَ عن الاعتذار، وأغناك في القول عن الاعتلال، وأوجب علينا أن نقنع بما فعلت، ونرضى بما أتيت، وصَلت أو قطعت.

فصول في الشكر

كتب محمد بن عبد الملك الزيات كتاباً عن المعتصم إلى عبد الله بن طاهر الخراساني، فكان في فصل منه.

لو لم يكن من فضل الشكر إلا أنك لا تراه إلا بين نعمة مقصورة عليك، أو زيادة منتظرة له، لكفى.

ثم قال لمحمد بن إبراهيم بن زياد: كيف ترى؟ قال: كأنها قُرطان بينهما وجهٌ حسن.

وفصل للحسن بن وهب: منْ شَكَرك على درجة رفعْتَه إليها أو ثروةٍ أقْدَرْتَهُ إياها؛ فإن شكري لك على مهجة أحييْتَها، وحُشاشةٍ أبقيْتَها، ورمق أمسكْت به وقُمْتَ بين التلف وبينه؛ فلكل نعمة من نعم الدنيا حد يُنْتهى إليه، ومدًى يُوقفُ عنده، وغايةٌ من الشكر يسمو إليها الطَّرْف، خلا هذه النعمة التي قد فاقت الوصف، وطالت الشكرَ وتجاوزت قدره. وأنت من وراء كل غاية، رددت عنا كيد العدو، وأرغمت أنف الحسود؛ فنحن نلجأ منك إلى ظل ظليل، وكنف كريم؛ فكيف يشكر الشاكر، وأين يبلغ جهدُ المجتهد؟

---

(١) الرَّبّ: الزيادة. (٢) الفراسة: المهارة في تعرف بواطن الأمور من ظواهرها.

وقال إبراهيم بن المهدي يشكر المأمون:

رَدَدْتَ مـالي ولم تَمنُـنْ علَـيّ بِـه ... وقبلَ ردِّكَ مالي قـد حقَنْـتَ دمِـي
فـأيـنَ مِنـك وقـد جلَّلْتني نعَماً ... هي الحيَاتَان من موْتٍ ومن عُـدُم
فلو بَذَلتُ دمي أبْغِـي رضـاكَ بِـه ... والمالَ حتى أَسُلَّ النَّعْلَ من قـدَمِـي
ما كان ذاك سِوَى عاريَّةٍ رجعَـتْ ... إليكَ لوْ لم تُعِرْها كنتَ لم تُلَـم[1]
البرُّ بي منك وطَّي العُذْر عِنـدك لي ... فيما أتيْـتُ فلم تعتِـبْ ولم تَلمِ
وقامَ عِلْمك بي يَحْتَـجُّ عِنْـدَك لي ... مقامَ شـاهـدٍ عـدْلٍ غيْـرِ مُتَّهَـمِ

فصول في البلاغة

كتب الحسن بن وهب إلى إبراهيم بن العباس: وصل كتابك، فما رأيت كتاباً أسهل فنوناً، ولا أملسَ متوناً، ولا أكثر عيوناً، ولا أحسنَ مقاطعَ ومطالعَ منه: أنجزْتَ فيه عِدَةَ الرأي، وبشرى الفِراسة، وعاد الظنُّ يقيناً، والأمل مبلوغاً، والحمد لله الذي بنعمته تتِمُّ الصالحات.

فصل: الكلام كثيرة فنونه، قليلةٌ عيـونُـه؛ فمنـه مـا يُفَكِّـهُ الأسماع، ويُـؤْنس القلوب، ومنه ما يُحمِّل الآذان ثقلاً، ويملأ الأذهان وحْشة.

فصول من المدح

كتب ابن مكرم إلى أحمد بن المدبر:

إنَّ جميع أكفائك ونظرائك يتنازعون الفضل، فـإذا انتهـوا إليـك أقـروا لـك ويتنافسون في المنازل، فإذا بلغوك وقفوا دونك؛ فزادك الله وزادنا بك وفيك وجعلنا ممن يقْبَلُه رأيُك ويُقدِّمُه اختيارُك، ويقع من الأمور بموقع موافقتك، ويجري فيها على سبيل طاعتك.

---

(١) العارية: الأمانة، أو الشيء العار.

وفصل له: إن من النعمة على المثني عليك، أن لا يخاف الإفراط، ولا يأمن التقصير، ويأمن أن تلحقه نقيصة الكذب، ولا ينتهي به المدح إلى غاية إلا وجد فضلَك تجاوزها، ومن سعادةِ جَدِّك أن الداعيَ لا يعْدَمُ كثرة المشايعين[1] له والمؤمِّنين معه.

وفصل: إن مما يُطمعني في بقاء النعمة عندك، ويزيدني بصيرة في العلم بدوامها لديك، أنك أخذتَها بحقها، واستوجبتها بما فيك من أسبابها؛ ومن شأن الأجناس أن تتآلف وشأن الأشكال أن تتعارف، وكل شيء يتقلقل[2] إلى معدنه، ويحنّ إلى عُنصُره، فإذا صادف منبته ونزل في مغرِسِه، ضرب بعرقه، وسمّق بفرعه، وتمكن تمكن الإقامة. وتفتَّك تفتُّك الطبيعة.

وفصل: إني فيما أتعاطى من مدحك، كالمخبر عن ضوء النهار الزاهر، والقمر الباهر، الذي لا يخفى على كل ناظر؛ وأيقنت أني حيث انتهى بي القول، منسوب إلى العجز، مقصر عن الغاية، فانصرفت من الثناء عليك إلى الدعاء لك؛ ووكلت الإخبار عنك إلى علم الناس بك.

وفصل لمحمد بن الجهم: إنك لزمت من الوفاء طريقة محمودة، وعرفت مناقبها وشهرت بمحاسنها؛ فتنافس الإخوان فيك، يبتدرون ودك، ويتمسكون بحبلك؛ فمن أثبت الله له عندك ودّاً فقد وُضعتْ خُلتُهُ موضع حِرزها.

وفصل لابن مكرم: السيف العتيق إذا أصابه الصدأ استغنى بالقليل من الجلاء، حتى تعود جدّته ويظهر فِرندُه[3]، للين طبيعته، وكرم جوهره؛ ولم أصف نفسي لك عجباً، بل شكراً.

وفصل له: زاد معروفَك عندي عظماً أنه عندك مستور حقير، وعند الناس مشهور كبير.

(١) المشايع: المتبع.

(٢) يتقلقل: يتحرّك يوذهب. (٣) الفرند: السيف.

أخذه الشاعر فقال:

زادَ معروفَـكَ عِنـديَ عِظَمَـا　　أنَّـهُ عنــدَكَ مسْتــورٌ حقيرُ
تتَنــاســاهُ كــأن لم تــأتِــه　　وهْوَ عِندَ الناسِ مشهـورٌ كبيرُ

وفصل للعتابي: أنت أيها الأمير وارث سلفك، وبقية أعلام أهل بيتك، المسدود به ثلمهم[1]، المجدد به قديم شرفهم، والمُحْيا به أيامُ سعيهم. وإنه لم يَخْمل[2] من كنتَ وراثه، ولا درست آثار من كنت سالكَ سبيله، ولا آمَّحَتْ أعلام من خلفتَه في رتبته.

فصول في الذمّ

كتب أحمد بن يوسف:

أما بعد، فإني لا أعرف للمعروف طريقاً أوْعَرَ من طريقه إليك، فالمعروف لديك ضائع، والشكر عندك مهجور، وإنما غايتُك في المعروف أن تَحْقِرَه، وفي وليِّه أن تكفره.

وكتب أبو العتاهية إلى الفضل بن معن بن زائدة:

أما بعد، فإني توسلت إليك في طلب نائلك بأسباب الأمل، وذرائع الحمد، فراراً من الفقر، ورجاءً للغنى، فازددت بها بُعْداً مما فيك تقرَّبْتُ، وقرباً مما فيه تبعَّدت، وقد قسمتُ اللائمةَ بيني وبينك؛ لأني أخطأتُ في سؤالك، وأخطأتَ في منعي؛ أَمِرْتُ باليأس من أهل البخل فسألتُهم، ونُهيتَ عن منع أهل الرغبة فمنعتَهُمْ؛ وفي ذلك أقول:

فررْتُ مِنَ الفقر الذي هو مُدْركـي　　إلى بُخلِ محظورِ النَّـوالِ مَنـوعِ
فأعطَبني الحِرمانَ غِـبَّ مَطـامِعي　　كـذٰلِـكَ مـن يلقـاهُ غيرَ قنــوعِ

---

(١) الثلم: النقص والتفلّل.　　(٢) يخمل: ينحط ويخفى.

وغيرُ بديعٍ منْعُ ذي البُخلِ مالَـهُ   كما بذْلُ أهلِ الفضلِ غير بديـعِ
إذا أنتَ كشّفْت الرِّجال وجدْتَهـم   لأعراضِهم مـن حـافِـظٍ ومُضيـعِ

وفصل لإبراهيم بن المهدي: أما بعد، فإنك لو عرفت فضل الحسن لتجنبت شَين القبيح، ورأيتك آثرُ القولِ عندك ما يضرك فكنت فيما كان منك ومنا، كما قال زهير بن أبي سلمى:

وذِي خطَلٍ في القوْلِ يحْسب أنَّـهُ   مُصيب فما يُلْمِم به فهْـوَ قـائلُـهْ[1]
عبأْت لـه حِلْماً وأكـرمْـتُ غيْـرَهُ   وأعرَضْت عنه وهـو بـادٍ مقـاتلـهْ

فصل: إن مودة الأشرار متصلة بالذلة والصغار، تميل معها وتصرَّف في آثارها؛ وقد كنت أُحِلَّ مودّتك بالمحل النفيس، وأُنزلُها بالمنزل الرفيع، حتى رأيت ذلتك عند القِلّة، وضرعتك عند الحاجة، وتغيُّرك عند الاستغناء، واطِّراحك لإخوان الصفاء؛ فكان ذلك أقوى أسباب عذري في قطيعتك، عند من يتصفح أمري وأمرك بعين عدل لا تميل إلى هوى، ولا ترى القبيح حسناً.

فصل للعتابي: تأَتَّيْنا إفاقتك من سكرتك، وترقَّبْنا انتباهك من رقْدتك، وصبَرنا على تجوُّع الغيظ فيك، حتى بان لنا الياسُ من خيرك، وكشف لنا الصبرُ عن وجه الغلط فيك؛ فها أنا قد عرفتك حق معرفتك في تعدّيك لطَورك، وآطراحك حقَّ من غَلِط في اختيارك.

فصول في الأدب

كتب سعيد بن حميد:

إنّ من أمارات الحزم صحة الرأي في الرجل: يترك التماس ما لا سبيل إليه، إذا كان ذلك داعيةً لغنى لا عزة له، وشقاءً لا دَرَك فيه؛ وقد سمحتَ في أمر تُخبرُك

(١) الخطل: الكلام الفاسد الكثير المضطرب.

أوائله عن أواخره، ويُنْبيك بدؤه عن عواقبه، لو كان لهذا المخبِرَ الصادق مستمعٌ حازم. ورأيتُ رائد الهوى قد مال بك إلى هذا الأمر ميلاً أيأس من رغب فيك، ودل عدوَّك على معايبك، وكشف له عن مَقاتلك، ولولا علمي بأنّ غلظ الناصح يؤدّي إلى نفع في اعتقاد صواب الرأي، لكان غير هذا القول أولى بك، والله يوفقك لما يحب، ويوفق لك ما تحب.

وفصل: أنت رجلٌ لسانك فوق عقلك، وذكاؤك فوق عزمك؛ فقدِّم على نفسك من قدَّمك على نفسه.

وفصل: من أخطأ في ظاهر دنياه وفيما يؤخَذ بالعين، كان أحرى أن يُخطىء في أمر دينه وفيما يؤخذ بالعقل.

وفصل: قد حسدك من لا ينام دون الشفاء، وطلبك من لا ينام دون الظَفر، فاشدد حيازيمك[1] وكن على حذر.

وفصل: قد آن أن تدع ما تسمع لما تعلم، ولا يكن غيرُك فيما يبلِّغه أوثق من نفسك فيما تعرفه.

وفصل: لست بحال يرضى بها حرّ، أو يقيم عليها كريم وليس يرضى لك بهذا إلا من لا ينبغي لك أن ترضى به.

وفصل: أنت طالب مَغْنَم، وأنا دافع مغرم[2]، فإن كنت شاكراً لما مضى، فاعذر فيما بقى.

وفصل للعتابي: أما بعدُ، فإن قريبك من قرب منك خَيْرُه، وابن عمك من عمَّك نفعه، وعشيرك من أحسَنَ عِشرتك، وأهدى الناس إلى مودّتك مَن أهدى برَّه إليك.

فصول إلى عليل

ليست حالي ـ أكرمك الله ـ في الاغتمام بعلتك حالَ المشارك فيها بأن ينالني

(١) يقال: اشدد للأمر حيازيمك: أي وطن نفسك عليه. (٢) المغرم: أسير الدين.

نصيب منها وأسلم من أكثرها، بل اجتمع على منها أني مخصوصٌ بها دونك، مُؤْلَم منها بما يؤلمك؛ فأنا عليل مصروف العناية إلى عليل كأني سليم؛ فأنا أسأل الله الذي جعل عافيتي في عافيتك، أن يخصَّني بما فيك، فإنها شاملة لي ولك.

وفصل: إنّ الذي يعلم حاجتي إلى بقائك، قادرٌ على المدافعة عن حوبائك[1]؛ فلو قلتُ إنّ الحق قد سقط عني في عيادتك لأني عليل بعلتك، لقام بذلك شاهد عدلٍ في ضميرك، وأثرٌ بادٍ في حالي لغيبتك؛ وأصدق الخبر ما حققه الأثر، وأفضل القول ما كان عليه دليل من العقل.

وفصل: لئن تخلفتُ عن عيادتك بالعذر الواضح من العلة، لَمَا أغفلَ قلبي ذكرَك، ولا لساني فحصاً عن خبرك فحْصَ مَن تقسَّم جوارحه وصَبُك[2]، وزاد في ألمها ألمُك؛ ومن تتصل به أحوالك في السراء والضراء، ولما بلغتني إقامتك كتبت مهنئاً بالعافية، مُعفياً من الجواب إلا بخبر السلامة إن شاء الله.

ولأحمد بن يوسف: قد أذهب الله وصَبَ العلة ونصَبَها، ووفَّر أجرَها وثوابها، وجعل فيها من إرغام العدوّ بعُقباها، أضعاف ما كان عنده من السرور يقبح أولاها.

فصول إلى خليفة وأمير

منها: كتب الحجاج بن يوسف إلى عبد الملك بن مروان:
يا أمير المؤمنين، إن كل من عنَّيت به فكرتك فما هو إلا سعيد يوثر أو شقي يوتر.

كتب الحسن بن سهل يصف عقل المأمون: وقد أصبح أميرُ المؤمنين محمودَ السيرة، عفيف الطعمة، كريمَ الشيمة، مبارَك الضريبة[3]، محمودَ النقيبة، مُوفِّياً بما أخذ اللهُ عليه، مضطلعاً بما حمَّله منه، مؤدّياً إلى الله حقَّه، مقرّاً له بنعمته، شاكراً لآلائه، لا

---

(١) الحوباء النفس.
(٢) وصبك: مرضك.
(٣) الضريبة: الطبيعة.

يأمر إلا عدلاً؛ ولا ينطق إلا فصلاً عِبْئاً لدينه وأمانته؛ كافاً ليده ولسانه.

وكتب محمد بن عبد الملك الزيات: إنّ حقَّ الأولياء على السلطان: تنفيذ أمورهم، وتقويم أوَدهم[1]، ورياضة أخلاقهم، وأن يميز بينهم، فيقدّم محسنَهم، ويؤخر مسيئهم؛ ليزدادَ هؤلاء في إحسانهم، ويزدجرَ هؤلاء عن إساءتهم.

وفصل له: إن من أعظم الحقِّ حقَّ الدين، وأوجب الحُرمة حُرمةَ المسلمين؛ فحقيق لمن راعى ذلك الحق وحفظ تلك الحرمة، أن يُراعى له حسب ما راعاه الله، ويحفظ له حسب ما حفظ الله على يديه.

وفصل له: إن الله أوجب لخلفائه على عباده حقَّ الطاعة والنصيحة، ولعبيده على خلفائه بسطَ العدل والرأفة، وإحياءَ السُّنَن الصالحة؛ فإذا أدّى كلٌّ إلى كلٍّ حقَّه، كان ذلك سبباً لتمام النعمة، واتصال الزيادة، واتساق الكلمة، ودوام الألفة.

وفصل: ليس من نعمة يجدّدها الله لأمير المؤمنين في نفسه خاصة، إلا اتصلت برعيته عامّة، وشملت المسلمين كافة، وعظم بلاء الله عندهم فيها، ووجب عليهم شكره عليها: لأن الله جعل بنعمته تمام نعمتهم، وبتدبيره وذَبِّه[2] عن دينه حِفْظ حريمهم، وبحياطته حقْن دمائهم وأمْن سبيلهم؛ فأطال الله بقاءَ أمير المؤمنين، مؤيّداً بالنصر، معزَّزاً بالتمكين، موصول البقاء للنعيم المقيم.

فصل: الحمد لله الذي جعل أمير المؤمنين معقودَ النية بطاعته، منطويَ القلب على مناصحتهم، مشحوذَ السيف على عدوّه؛ ثم وهب له الظفَر، ودوَّخ له البلاد، وشرَّد به العدو، وخصه بشرف الفتوح شرقاً وغرباً، وبراً وبحراً.

وفصل: أفعال الأمير عندنا معسولة[3] كالأماني، متصلة كالأيام؛ ونحن نواتر الشكر لكريم فعله، ونواصل الدعاء له مواصلة بره؛ إنه الناهض بكلنا، والحامل

---

(١) أودهم: اعوجاجهم. (٢) الذب: الدفاع.

(٣) معسولة: صادقة.

لأعبائنا، والقائم بما ناب من حقوقنا.

وفصل: أما بعد، فقد انتهى إلى أمير المؤمنين كذا فأنكره، ولا يخلو من إحدى منزلتين، ليس في واحدة منهما عذر يوجب حجة ولا يزيل لائمة: إما تقصير في عملك دعاك للإخلال بالحزم والتفريط في الواجب، وإما مظاهرة لأهل الفساد ومداهنة لأهل الريب؛ وأية هاتين كانت منك لمحلة النكر[1] بك، وموجبة العقوبة عليك، لولا ما يلقاك به أمير المؤمنين من الأناة والنظرة، والأخذ بالحجة، والتقدم في الإعذار والإنذار؛ وفي حسن ما أقلت من عظيم العثرة، ما يوجب اجتهادك في تلافي التقصير والإضاعة، والسلام.

وكتب طاهر بن الحسين حين أخذ بغداد إلى إبراهيم بن المهدي:

أما بعد، فإنه عزيز عليّ أن أكتب إلى أحد من بيت الخلافة بغير كلام الإمرة وسلامها؛غير أنه بلغني عنك أنك مائل الهوى والرأي للناكث المخلوع، فإن كان كما بلغني فقليلٌ ما كتبت به كثير لك، وإن يكن غير ذلك فالسلام عليك أيها الأمير ورحمة الله وبركاته؛ وقد كتبت في أسفل كتابي أبياتاً فتدبرها:

رُكوبُكَ الهوْلَ مالم تلـقَ فـرصَتـهُ ... جهلٌ رمَى بك بالإقحامِ تغريـرُ[2]
أهْون بدنيا يصيبُ المخطِئـونَ بها ... حظَّ المصيبينَ، والمغْـرُورُ مَغْـرورُ
فازرَع صواباً وخذْ بالحزْمِ حيطتـهُ ... فلـن يُـذمَّ لأهـلِ الحزْمِ تَـدبيرُ
فإن ظفِرْت مصيباً أو هلكـتَ بـه ... فأنت عندَ ذوي الألبـابِ معـذُور
وإن ظفِرت على جهلٍ ففـزتَ بـه ... قالوا جهُـولٌ أعـانتـه المقـادِيـر!

فصل للحسن بن وهب: أما بعد، فالحمد لله مُتمم النِّعم برحمته، الهادي إلى شكره بفضله؛ وصلى الله على سيدنا محمدٍ عبده ورسوله، الذي جمع له من الفضائل ما فرّقه في الرُّسل قبله، وجعل تُراثَه راجعاً إلى من خصه بخلافته، وسلم تسليما.

(١) النكر: الأمر الشديد.

(٢) يقال: استجهله، إذا حمله على شيء ليس من خلقه فيغضبه.

فصول لعمرو بن بحر الجاحظ

منها فصول في عتاب .

أما بعد ، فإن المكافأة بالإحسان فريضة ، والتفضل على غير ذوي الإحسان نافلة .

أما بعد فليكن السكوت على لسانك إن كانت العافية من شأنك .

أما بعد ، فلا تزهد فيما رَغِب إليك ، فتكون لحظِّك معانداً ، وللنعمة جاحداً .

أما بعد ، فإن العقل والهوى ضدان ، فقرينُ العقل التوفيق ، وقرينُ الهوى الخذْلان ، والنفس طالبة ، فبأيهما ظفرتْ كانت في حزبه .

أما بعد ، فإن الأشخاص كالأشجار ، والحركات كالأغصان ، والألفاظ كالثمار .

أما بعد ، فإن القلوب أوعية والعقول معادن ، فما في الوعاء ينفد إذا لم يمدّه المعدن .

أما بعد ، فكفى بالتجارب تأديبا ، وبتقلب الأيام عظة ، وبأخلاق من عاشَرت معرفة ، وبذكرك الموت زاجراً .

أما بعد ، فإن احتمال الصبر على لذع الغضب ، أهون من إطفائه بالشتم والقذَع .

أما بعد ، فإن أهل النظر في العواقب أُولو الاستعدادِ للنوائب ؛ وما عظمت نعمةُ امرىءٍ إلا استغرقت الدنيا هِمَّته ، ومن فرّغ لطلب الآخرة شغله جعل الأيام مطايا عمله والآخرة مقيلَ مُرْتَحِله .

أما بعد ، فإن الاهتمام بالدنيا غيرُ زائد في الرزق والأجل ، والاستغناء غير ناقص للمقادير .

أما بعد ، فإنه ليس كل من حلُم أمسك ، وقد يستجهل[١] الحليم حتى يستخفه الهُجر .

أما بعد ، فإن أحببت أن تتم لك المقة[٢] في قلوب إخوانك فاستقل كثيراً مما توليهم .

---

(١) يقال : استجهله ، إذا حمله على شيء ليس من خلقه فيغضبه . (٢) المقة : المحبة .

أما بعد، فإن أنظر الناس في العاقبة، مَن لطف حتى كف حرب عدوه بالصفح والتجاوز، واستلّ حقدَه بالرفق والتحبب.

وكتب إلى أبي حاتم السجستاني وبلغه عنه أنه نال منه:

أما بعد، فلو كففت عنا من غربك لكنا أهلاً لذلك منك، والسلام.

فلم يعد أبو حاتم إلى ذكره بقبيح.

وله فصول في وصاة:

أما بعد، فإن أحق من أسعفته في حاجته، وأجبته إلى طلبَته، من توسل إليك بالأمل، ونزع نحوك بالرجاء.

أما بعد، فما أقبح الأحدوثةَ من مستمنح حَرمته، وطالب حاجة رددْته، ومثابِر حجبتَه، ومنبسط إليك قبضتَه، ومقبِل إليك بعنانه لويتَ عنه، فتثَّبت في ذلك ولا تُطع كل حلافٍ مَهين، همَّاز[1] مشاءٍ بنميم.

أما بعد، فإن فلانا أسبابه متصلة بنا، يلزمنا ذمامه وبلوغ موافقته من أياديك عندنا، وأنت لنا موضع الثقة من مكافأته، فأولنا فيه ما نعرف موقعنا من حسن رأيك، ويكون مكافأةً لحقّه علينا.

أما بعد، فقد أتانا كتابك في فلان، وله لدينا من الذمام ما يُلزمنا مكافأته ورعاية حقه، ونحن من العناية بأمره على ما يُكافىء حرمته ويؤدّي شكره.

وله فصول في استنجاز وعد:

أما بعد، فقد رسَفنا[2] في قيود مواعيدك، وطال مقامنا في سجون مَطْلك[3]، فأطلقنا ـ أبقاك الله ـ من ضيقها وشديدِ غمِّها بنَعَم منك مثمرةٍ أو [لا] مريحة.

أما بعد، فإن شجرَ مواعيدك قد أورقت، فليكن ثمرُها سالماً من جوائح المطل.

---

(١) يقال: همزات الشيطان: خطراته ووساوسه.

(٢) رسفنا: غُللنا. (٣) المطل: التسويف وعدم الوفاء بالوعد.

أما بعد، فإن سحائب وعدك قد بَرقت، فليكن وبلُها[1] سالماً من صواعق المطل والاعتلال.

وله فصول في الاعتذار.

أما بعد، فنعم البديلُ من الزّلة الاعتذار، وبئس العوَضُ من التوبة الإصرار.

أما بعد، فإن أحق ما عطَفْت عليه بحلمك من لم يتشفّع إليك بغيرك.

أما بعد، فإنه لا عوض من إخائك، ولا خلَفَ من حُسن رأيك، وقد انتقمت مني في زلتي بجفائك، فأطلق أسير تشوقي إلى لقائك.

أما بعد، فإنني بمعرفتي بمبلغ حلمك وغاية عفوك، ضمنت لنفسي العفو من زلتها عندك.

أما بعد، فإن من جحد إحسانك بسوء مقالته فيك، مكذِّب نفسَه بما يبدو للناس منه.

أما بعد، فقد مسني من الألم ما لم يشفِه غيرُ مواصلِتك، مع حبسك الاعتذار من هفوتك؛ ولكن ذنبك تغتفره مودّتُك، فامنن علينا بصلتك، تكن بدلاً من مَساءتك، وعوضاً من هفوتك.

أما بعد، فلا خير فيمن استغرقت موجدته[2] عليك قدرك عنده ولم يتسع لهنات[3] الإخوان.

أما بعد، فإن أولى الناس عندي بالصفح، مَن أسلمه إلى ملكك التماسُ رضاك من غير مقدرة منك عليه.

أما بعد، فإن كنت ذممتني على الإساءة، فلم رضيت لنفسك المكافأة!

وله فصول التعازي:

أما بعد، فإن الماضيَ قبلك الباقي لك، والباقي بعدك المأجور فيك: ﴿وإنّما يوفى الصّابرون أجْرهُم بغَيْر حسابِ﴾[4].

---

(١) الوبل: المطر.

(٢) الموجدة: الغضب.

(٣) الهنة: خصلات الشرّ.

(٤) سورة الزمر الآية ١٠.

أما بعد، فإن في الله العزاءَ من كل هالك، والخَلَف من كل مصاب، وإنه مَن لم يتعز بعزاء الله تنقطع نفسه من الدنيا حسرة.

أما بعد، فإن الصبر يعقبه الأجر، والجزعَ يعقبه الهلع؛ فتمسك بحظك من الصبر، تنل به الذي تطلب، وتدرك به الذي تأمُل.

أما بعد، فقد كفى بكتاب الله واعظاً، ولذوي الألباب زاجراً؛ فعليك بالتلاوة تنجُ مما أوعد الله به أهل المعصية.

صدور إلى خليفة

وفق الله أمير المؤمنين بالظفر فيما قلّده، وأيده وأصلح به، وعلى يديه.

أكرم الله أمير المؤمنين بالظفر، وأيده بالنصر في دوام نعمته، وحاط الرعية بطول مدّته.

صدور إلى ولي عهد

متّع الله أمير المؤمنين بطول مدّة الأمير، وأجرى على يديه فعلَ الجميل، وآنس بولايته المؤمنين.

مدّ الله للأمير النعمة، وأسعد بطول عمره الأمّة، وجعله غِياثاً ورحمة.

أكمل الله له الكرامة، وحاطه بالنعمة والسلامة، ومتّع به الخاصة والعامة.

متع الله بسلامتك أهل الحرمة، وجمع لك شمل الأمّة، واستعملك بالرأفة والرحمة.

صدور إلى والي شرطة

أنصف الله بك المظلوم، وأغاث بك الملهوف، وأيّدك بالتثبت، ووفّقك للصواب.

أرشدك الله بالتوفيق، وأنطقك بالصواب، وجعلك عصمة للدين، وحصناً للمسلمين.

أعانك الله على ما قلدك، وحفظك لما استعملك بما يرضى من فعلك.

سدّدك الله وأرشدك، وأدام لك فضل ما عوّدك.

رادك الله شرفاً في المنزلة، وقدراً في قلوب الأمّة، وزلفة[1] عند الخليفة.

نصر الله بعدْلِكَ المظلوم، وكشف بك كربة الملهوف، وأعانك على أداء الحقوق.

صدور إلى قاض

ألهمك الله الحجة، وأيّدك بالتثبت وردّ بك الحقوق.

ألهمك الله الاعتصام بحبله بالعلم، والتثبت في الحكم.

ألهمك الله الحكمة وفصل الخطاب، وجعلك إماماً لذوي الألباب.

زيَّن الله بفضلك الزمان، وأنطق بشكرك اللسان، وبسط يدك في اصطناع المعروف.

أدام الله لك الإفضال، وحقق فيك الآمال.

صدور إلى عالم

جعل الله لك العلم نوراً في الطاعة، وسبباً إلى النجاة، وزلفة عند الله.

نفع الله بعلمك المستفيدين، وقضى بك حوائج المتحرِّمين[2]، وأوضح بك سنن الدين، وشرائع المسلمين.

أدام الله لك التطول بإسعاف الراغب، وأنجح بك حاجة الطالب، وأمّنك مكروه العواقب.

---

(١) الزلفة: المنزلة القريبة.

(٢) المتحرّمين: يقال: تحرّم منه بحرمة أي تمنع وتحمّى بذمة.

صدور إلى إخوان

متّع الله أبصارَنا برؤيتك، وقلوبَنا بدوام أُلفتك، ولا أخلانا من جميل عشرتك، ووهب لك من كريم نفسك، بحسب ما تنطوي عليه مودتك، وأبهج الله إخوانك بقربك وجمع أُلفتهم بالأنس بك، وصرف الله عن أُلفتنا عواقب القدَر، وأعاذ صفْوَ إخائنا من المكدر، وجعلنا ممن أنعم الله عليه فشَكَر.

مَنَّ الله علينا بطول مدّتك، وآنس أيامَنا بمواصلتك، وهنأنا النعمة بسلامتك.

قرّب الله منا ما كنا نأمل منك، وجمع شمل السرور بك.

نزّه الله بقربك القلوب، وبرؤيتك الأبصار، وبحديثك الأسماع.

أقبل الله بك على أودّائك. ولا ابتلاهم بطول جفائك.

أزال الله حَرِدَنا من فتورك عنا، ورغبتَنا عنك من تقصيرك في أمورنا.

حفظ الله لنا منك ما أوحشنا فقده، وردّ إلينا ما كنا نألفه ونعهده.

رحم الله فاقة الحنين إليك، وما بي من تباريح الحزن عليك، وجعل حرمتنا منك الشفيع لديك.

يسّر الله لنا من صفحك ما يسع تقصيرنا، ومن حلمك ما يردُّ سخطك عنا.

زين الله أُلفتنا بمعاودة صِلتك، واجتماعَنا بزيارتك.

أعاد الله علينا من إخائك وجميل رأيك ما يكون معهوداً منك بالوفاء لك.

صدور في عتاب

أنصف الله شوقنا إليك من جفائك لنا، وأخذ لبِرِّنا بك من تقصيرك عنا.

وكتب معاوية إلى عمرو بن العاص وبلغه عنه أمر: وفّقك الله لرشدك؛ بلغني كلامك، فإذا أوّله بَطَر[1]، وآخره خَوَر[2]؛ ومن أبطره الغنى أذلَّه الفقر، وهما

---

(١) البطر: المغالاة في المرح والزهو عند حلول النعمة.

(٢) الخور: الضعف.

ضدان مخادعان للمرء من عقله، وأولى الناس بمعرفة الدواء من يَبين له الداء، والسلام.

فأجابه: طاولتك النعم وطاولت بك؛ علو إنصافك يؤمن سطوة جورك؛ ذكرتَ أني نطقت بما تكره وأنا مخدوع، وقد علمت أني ملت إلى محبتك ولم أُخدَع، ومثلك شَكَر مَسْعى مُعْتذر، وعفا زلّة معترف.

تم الجزء الرابع من كتاب العقد الفريد لابن عبد ربه،

ويليه إن شاء الله الجزء الخامس وأوله:

كتاب العسجدة الثانية في الخلفاء وتواريخهم وأيامهم.

فهرس

الصفحة | الموضوع | الصفحة | الموضوع

كتاب الواسطة في الخطب

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع

مؤسسة جواد للطباعة والتصوير
هاتف: ٢٧٧١٨٤ - ٢٧٦٥٣٨ - بيروت - لبنان